





ܥܕܬܐ ܣܘܪܝܝܬܐ ܬܪܝܨܬ ܫܘܒܚܐ

الكنيسة السريانية الارثوذكسية

بقلم

سويريوس يعقوب

متروبوليت بيروت ودمشق وتوابعهما للسريان

بيروت ١٩٥٧

ܢܘܼܬܐ ܡܠܝܬܐ ܗܘ ܗܘܼ ܕܠܐ ܗܘܼܐ ܒܕܡܐ ܢܒܥܐ
ܡܫܘܼܪܝ ܐܠܦܗܝ܆ ܐܠܐ ܒܗ ܗܘ ܫܡܝܫܐ ܕܠܒܫܐ
ܗܟܢ ܘ ܐܢܫܐ ܕ ܙܟܐ ܒܢܝܐ ܗܘ̈ܝ܆ ܕܡܫܝܚܐ
ܠܐ ܗܘܐ ܒܐܘܫܐ ܕ ܫܡܫܐ ܗܘܐ ܠܗ ܝܚܝܕܝܐ
ܐܠܐ ܢܗܘܐ ܒܠ ܡܢܝܢܘܬܐ ܒܠܒܐ ܦܫܝܛܐ
ܘܠܗܘܢ ܫܒܝܚܐ ܐܦ ܕܫܘܒܚܐ ܢܗܘܐ ܢܘܼܗܪܐ
ܦܐܪܐ ܕܠܐܠܗܐ ܡܛܠ ܒܢܘ̈ܗܝ ܢܗܘܐ ܕܒܢܝܐ
ܕܡܪܝܐ ܒܢܝܐ ܚܕܬܘܬܗ ܒܐܘܪܚܐ ܦܐܪܐ ܫܒܝܚܐ

✝ [illegible]

توطئة

•

سألنا بعضهم أن نكتب لمحة في الكنيسة السريانية الأرثوذكسية وأثرها في المجتمع البشري ، لذلك نضع هذه الضمامة العباقة بين يديك أيها القارىء الكريم لتستنشق منها عبير أمجاد هذه الكنيسة العريقة ، وتحني الرأس أمام عظمتها وصمودها كالطود الشامخ حيال طوارىء الزمان وطوارق الحدثان . ذلك أنها تأسست على صخرة الإيمان التي لن تقهرها أمخال الهاوية . وليس لنا من وراء ذلك سوى تمجيد الله وخدمة كنيسته .

بيروت ١٥ نيسان ١٩٥٧

+ **سويريوس**

١ - الكنيسة السريانية الأرثوذكسية

هي سليلة تلك الأمة العظيمة المتحدرة من آشور وآرام ابني سام بن نوح ، والمستوطنة منذ أقدم العصور بلاد سوريا ولبنان وفلسطين وما بين النهرين العليا والسفلى حتى خليج فارس شرقاً وقبرص غرباً . اعتنقت الدين المسيحي المبين في صدره على أيدي السيد المسيح ورسله ومبشريه الأولين ، فكانت أول كنيسة مسيحية ظهرت في أورشليم واليهودية وفلسطين . واستعملت في عبادتها : اللغة السريانية المقدسة ، لغتها الوطنية ، ولغة السيد المسيح ووالدته الطوباوية ورسله الأطهار (١) . بل بلغتها احتفلت المسيحية في أورشليم بالقربان المقدس لأول مرة . وقد تبنت الليتورجية الأولى ، ليتورجية القديس يعقوب أخي الرب أول أساقفة أورشليم ، التي دونت باللغة السريانية ، وعنها تناقلتها كنائس اليونان والرومان . وبلغتها سمعت أحداث البشارة الخلاصية لأول مرة ، وبها تناقش سنة ٥١ م المجمع الرسولي الأورشليمي أساس المجامع وأعظمها شرفاً .

---

(١) كتاب الظهور الالهي لاوسابيوس القيصري ٤ : ٦ .

٢ – مركز رئاستها

وكان مركز رئاستها مدينة أنطاكية عاصمة سوريا في صدر النصرانية ، حيث أسس القديس بطرس الرسول كرسيه الرسولي وصار أول بطاركته . ومع وجود جالية يونانية فيها إلى جانب الوطنيين السريان ، فقد استعملت كنيستها الطقس السرياني ، والليتورجية السريانية الآنفة الذكر . فبحق إذن نسمي الأبرشية الأنطاكية باسم الكنيسة السريانية .

٣ – حدود رئاستها

وامتدت رئاسة كرسيها الانطاكي إلى أقصى الشرق المسيحي على اختلاف أجناسه . وبعبارة أخرى على آسيا كلها . وقد أيد هذه الرئاسة مجمع نيقية سنة ٣٢٥ بقانونه السادس ، ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ بقانونه الثاني . وكان هذا الكرسي يرئس في أوج عزه اثني عشر كرسياً مطرانياً ومئة وسبعة وثلاثين كرسياً أسقفياً في الشرق الروماني وحده . وفي القرنين التاسع والعاشر كان يرئس عشرين كرسياً مطرانياً ومئة وثلاثة كراسي أسقفية . أي كان يخضع له أساقفة بلاد سوريا وفونيقي وبلاد العرب وفلسطين وقيليقية وقبرص وما بين النهرين وبلاد الفرس والهند . بل كانت الكنيسة السريانية الأرثوذكسية في عهد الخلفاء العباسيين ممتدة من الصين إلى أورشليم فقبرص .

٤ – الأعلام اللاتينية واليونانية فيها

ولا عبرة بوجود أسماء أعلام لاتينية أو يونانية لبعض البطاركة والأساقفة في أنطاكية وفي الأبرشيات السريانية الأخرى . ذلك أن السريان كغيرهم اتخذوا هذه الأسماء بتأثير الدولة اليونانية والأدب اليوناني السائد في الشرق يومذاك . منهم القديس « النوراني » ثالث بطاركة انطاكية (١٠٧ +) الذي مع كونه سرياني المحتد استبدل اسمه السرياني « باغناطيوس » اللاتيني الذي يعني « النوراني » أيضاً . وهكذا كان يفعل الكثير من الأدباء السريان الآراميين ، فيبدلون أسماءهم السريانية بأسماء يونانية . منهم برفيريوس الفيلسوف الصوري الآرامي (٢٣٣ – ٣٠٥) م الذي استبدل اسمه « ملكو » السرياني « ببرفيريوس » اليوناني (١) والقديس « أخسنايا » المنبجي (٥٢٣ +) الملفان السرياني الشهير الذي نقل اسمه السرياني عند تسقفه إلى فيلوكسينوس الاسم اليوناني . ولكي تتأكد من سريانية أولئك الآباء راجع « رحلة سيلفيا » إلى الأماكن المقدسة في ختام القرن الرابع تَرها تصف أسقف أورشليم بأنه مع كونه يعرف السريانية ، يخطب دوماً باليونانية ، فتنقل خطبه إلى السريانية مباشرة بواسطة كاهن يقف إلى جانبه (٢) . على أننا لا ننكر أن بعض بطاركة أنطاكية في

---

(١) تاريخ حمص تأليف الخوري عيسى أسعد طبعة حمص ١٩٢٩ص٣٨٢.

(٢) رحلة سيلفيا ٥ : ٥ .

القرون الأولى كانوا يونانًا جنسًا كما كان مثلا انيقطس بن يوحنا السرياني الحمصي (١) أسقفا لرومية (١٥٥ — ١٦٨ م) . ذلك ان الكنيسة المسيحية في صدرها كانت تتوخى العقيدة لا الجنسية .

٥ — مدينة الرها السريانية

واشتهرت بين المدن السريانية : مدينة الرها ، وهي من أقدم مدن الشرق وكانت عاصمة أمارة سريانية في ما بين النهرين العليا . يحكمها الملوك السريانيون المعروفون بالأباجرة الذين رفعوا رايتهم فوقها مدة أربعة قرون . تأسست سنة ١٣٢ ق. م. على يد الملك السرياني أريو ودالت سنة ٢٤٤ على عهد ملكها أفراهاط ابجر الحادي عشر . وكانت لغتها السريانية الفصحى (٢) . وقد عاصر السيد المسيح ملكها ابجر الخامس أوكومو الذي أنفذ إليه رسالة بالسريانية وتناول منه جوابًا مباركًا إياه ومدينته كما أثبت أوسابيوس القيسري (٣) والمؤرخون الثقات . وكان أدى أخو مار توما الرسول وأحد السبعين مبشرًا : بشيرها الخاص وأول أساقفتها . ثم أصبحت أم كنائس مابين النهرين وثالثة المتروبوليتيات اللائذة بالكرسي الأنطاكي . وفيها ألف ططيانس الفيلسوف السرياني نحو سنة ١٧٢ كتابه

(١) تاريخ حمص ص ٣٩٣ .

(٢) كتاب المدخل الى النحو السرياني لابن العبري .

(٣) تاريخه الكنسي ١ : ١٣ .

المشهور « دياطسرون » أي مزيج الأناجيل الأربعة . فاستعملته كنيستها والكنائس المجاورة حتى القرن الخامس . وفيها لمع برديصان الفيلسوف والشاعر السرياني المجيد (٢٢٢+) وانتشرت فيها وفي ضواحيها الكنائس والأديرة ولا سيما في جبلها الذي سمي « الجبل المقدس » لكثرة الأديرة والصوامع التي ازدان بها . ذكر المؤرخون أنه كان فيها ثلاثمئة دير ، يقيم فيها في عهد الملك ثاودوسيوس الثاني (٤٠٨ — ٤٥٠) تسعون الف راهب .

٦ - أثرها في التبشير بالانجيل

وحملت الكنيسة السريانية الأرثوذكسية مشعل الانجيل الوضاء إلى مختلف البلاد والشعوب . ولا سيما القبائل العربية : التغالبة والحميريين والقطريين وبني كندة وبني طي وعقيل وتنوخ والغساسنة والنمر وبني شيبان « ثعلبة » وبني بكر بن وائل في دياربكر وقسم من المناذرة . والفرس والأفغان والهنود وأهل الصين . كما كانت لها يد بيضاء على نصرانية الأرمن . وفي القرن السادس هدت جماً غفيراً من الأحباش بواسطة القس يوليان السرياني ، وثمانين الفاً من الوثنيين في بلاد آسيا الصغرى وقاريا وفروجيا ولوديا بواسطة مار يوحنا السرياني الآمدي أسقف أفسس . وبهمة الامبراطورة ثاودورة السريانية زوجة يوسطيذيان البيزنطي .

٧ – نشرها لغتها السريانية

واهتمت بنشر لغتها السريانية الوطنية بين مختلف الشعوب الشرقية . منها الكنائس العربية والفارسية والهندية التي استعملت الطقوس السريانية في عبادتها . فأتقن اللغة السريانية كثيرون منهم ونقلوا الكتاب المقدس منها إلى لغاتهم . ومنها أيضاً الكنيسة الأرمنية التي استعملت اللغة السريانية وكتبت لغتها المحكية بالأبجدية السريانية ، فنبغ بعض أساقفتها بالسريانية . بل أن ميسروب أحد علمائها اخترع الأبجدية الأرمنية بمساعدة الأستاذ دانيال السرياني . وقد رعاها بعض أساقفة سريان . منهم الأسقف دانيال سنة ٣٤٧ والجاثليق خريستوفوروس في أواسط القرن السادس (١) .

٨ – عنايتها بالكتاب المقدس

واجتهدت في نشر الكتاب المقدس بين مختلف الشعوب ، فقد غاص في محيطه الواسع ملافنتها العظام واستخرجوا لآلئه اللألاءة طوقوا بها جيد البشرية . وعلاوة على اهتمامهم البالغ به بلغتهم السريانية ، متناولين إياه درساً وترجمة وتفسيراً : فقد عنوا بنقله إلى بعض اللغات الحية أيضاً . ففي حدود سنة ٤٠٤ تعاون الملفان دانيال السرياني والأستاذ ميسروب الأرمني على نقله من السريانية إلى الأرمنية ، ونحو سنة ٦٤٣ نقل

---

(١) التاريخ الكنسي لابن العبري المقالة الثانية في ترجمة مار احودامه .

علماؤنا العرب من بني طي وتنوخ وعقيل : الانجيل المقدس من السريانية إلى العربية بأمر من بطريركنا القديس يوحنا أبي السدرات . إجابة إلى رغبة عمير بن سعد بن أبي وقاص الأنصاري أمير الجزيرة . وفي سنة ١٢٢١ نقله من السريانية إلى اللغة الفارسية الأستاذ يوحنا ابن القس يوسف السرياني التفليسي برسم السلطان علاء الدين بن كيخسرو بن قليج أرسلان . وفي أوائل القرن التاسع عشر نقله الراهب فيلبس السرياني الملباري من السريانية إلى المليالم — لغة ملبار الهند — وفي الربع الأول من القرن العشرين نقل الملفان الخوري متى السرياني الملباري العهد الجديد من السريانية إلى المليالم .

٩ — شهداؤها

وقدمت ألوفاً من الشهداء . إثباتاً لحقها وتأييداً لصدق إيمانها . أشهرهم بعد الرسل والمبشرين : مار اغناطيوس النوراني ثالث بطاركة أنطاكية الذي صار فريسة للوحوش في رومية سنة ١٠٧ ، ومار شربيل الرهاوي الذي نشر بالمنشار سنة ١٠٥ . والقديس سمعان أسقف أورشليم الذي صلب سنة ١٠٦ وشمشون أسقف حدياب (أربيل) الذي قتله المجوس سنة ١٢٣ لتعميده منهم خلقاً . والقديس بابولا الانطاكي سنة ٢٥١ ومار جرجس الطائر الصيت سنة ٣٠٣ ومار عززائيل السميساطي ، ومار قوزما ومار دوميان الطبيبان من بلاد العرب ومار كوريا ومار شمونا الناسكان الرهاويان سنة ٣٠٦

ومار حبيب الشماس الرهاوي والقديس بمفيلس القس البيروتي سنة ٣٠٩ ومار لوقيانس السميساطي مؤسس مدرسة أنطاكية اللاهوتية سنة ٣١٢ ومار سلوانس أسقف حمص الذي صار فريسة للوحوش في مسرح حمص سنة ٣١٢ ومار شمعون برصباعي (٣٤١ +) وشهدوست (٣٤٣ +) وبربعشمين (٣٤٦ +) مطارنة المشرق ومار آباي ومار بهنام بن سنحريب حاكم أثور ومار يوحنا ابن النجارين (أواخر القرن الرابع) ومار باسوس (٣٨٨ +) ومار برسهدي مطران دير مار متى الذي فتك به برصوم النصيبيني النسطوري سنة ٤٨٠ ومار فيلوكسينوس مطران منبج وملفان الكنيسة الذي خنقه البيزنطيون بالدخان سنة ٥٢٣ ومار أحودامه جاثليق المشرق (٥٧٥ +) والمفريان مار شمعون المانعمي (١٧٤٠ +) .

١٠ — رهبنتها

وعززت شأن الرهبنة — فلسفة الدين المسيحي — فأسست منذ القرن الرابع للميلاد . مئات من الأديار . في أصقاع كثيرة من ولاية الكرسي الأنطاكي ، أي في سواحل فلسطين الجنوبية وبادية الشام وبرية قورس والجزيرة . وجبال الرها والإزل (ماسيوس) المشرف على نصيبين وطورعبدين . وقردو . والفاف في العراق . وماردين وضواحي قيصرية قبادوقية والبنطس وملطية . وبلاد فارس والهند . انضوى إليها ألوف بل ربوات من الرجال والنساء عزفوا عن زهرات

الدنيا ونفضوا غبارها عن أقدامهم وروضوا نفوسهم على التقوى والبتولية والعفاف والتواضع والطاعة والصوم والصلاة فضلا عن اشتغالهم بصنوف العلوم . فأسدوا الى المجتمع البشري فضلا عميماً . ذلك أنهم هذبوا أخلاقاً . وهدوا أمماً إلى الدين المبين ، ورفعوا رايات الثقافة في كل الأصقاع . وطوقوا العلم بقلائد نفيسة . وخلدوا أصناف العلوم والفنون بمجلدات ضخمة . وإذا علمت أنه في القرن الخامس كان في جبل الرها وحده ثلاثمئة دير يقيم فيها تسعون الف راهب كما مر معنا . وفي القرن السادس أمضى رسالة الايمان مئة وخمسة وثلاثون رئيس دير في سوريا الجنوبية وحدها : أدركت ولا شك أن عدد الرهبان السريان بلغ في ذلك العصر الذهبي الستمئة الف ! ! !

١١ — أديارها

وأشهر هذه الأديار : دير مار متى على جبل الفاف شرقي الموصل ، وهو دير عظيم . أنشأه في أواخر القرن الرابع سنحريب حاكم أثور ووالد الشهيدين مار بهنام وأخته سارة . إجابة إلى رغبة مار متى الناسك السرياني . وقد بلغ عدد رهبانه في القرن التالي اثني عشر الفاً . واشتهرت مكتبته النفيسة في أواخر القرن السابع . وهي تحتفظ الآن بأجمل ترجمة للإنجيل المقدس من السريانية إلى العربية . تظن أنها الترجمة التي عملها بطريركنا يوحنا أبو السذرات كما أسلفنا . ودير قرتمين

المشهور شرقي مديات – طور عبدين – الذي عمره سنة ٣٩٧ الناسك السرياني مار صموئيل المعروف بالمشتيني وتلميذه مار شمعون القرتميني بحسب التصميم الذي أظهره له الملاك . وقد جاد القيصران هنوريوس وأرقاديوس لبنائه بمال جزيل . وأطلق عليه بعدئذ اسم رئيسه ومطرانه مار كبرئيل (٦٦٧ +) . وحوى خزانة كتب ثمينة اشتهرت منذ القرن الثامن . ودير مار توما في قنسرين على شاطىء الفرات الذي أنشأه سنة ٥٣٠ العالم السرياني مار يوحنا بن أفتونيا وقد عصف به الدهر في القرون الوسطى . ودير مار برصوم الشهير بقرب ملطية الذي صار كرسياً بطريركياً في القرن الحادي عشر ثم اندثر . ودير مار حنانيا المعروف بدير الزعفران شرقي ماردين . وهو دير كبير ، صار كرسياً بطريركياً منذ سنة ١٢٩٣ . ودير مار بهنام ويعرف بدير الجب في ولاية اثور الذي اغتصبته الفرقة المنفصلة عن الكنيسة السريانية سنة ١٨٣٨ . ودير مار باسوس في حمص الذي بلغ عدد رهبانه في القرن السادس ستة آلاف وثلاثمئة ، وطمست أخباره على تراخي الزمن . ودير مار مرقس في القدس وسيأتي الكلام عنه .

١٢ – نساكها

واشتهر بين نساكها الكثيرين : مار هيلاريون (٢٨٨ – ٣٧١) مؤسس الرهبنة في فلسطين وسوريا ، وهادي العرب أهل بلدة الخلصة جنوبي بحيرة لوط الذين حادثوه بالسريانية

نحو سنة ٣٥٠ . ومار ابراهيم الرهاوي – القيدوني (٣٦٦ +)
منصر قرية قيدونا . ومار يوليان الشيخ منشيء دير في جبل
حسماي بقرب الفرات في القرن الرابع ومجترح المعجزات. ومن
تلاميذه أقاق مطران حلب المشهور . وفي القرن التالي أنشأ
السريان باسمه ديراً بظاهر القريتين – حمص حوى شيئاً من
رفاته . وقد اغتصبته فرنسا المحتلة معتبرة إياه من أملاكها !
ومار متى الشيخ الأبجرشاطي – آمد في القرن الرابع صاحب
الدير المعروف باسمه في جبل الفاف – الموصل ، ومنصر
الشهيدين مار بهنام وأخته سارة ووالدهما سنحريب حاكم أثور
وكثيرين من كورة نينوى . وما زالت معجزاته الخارقة تتعاقب
حتى يومنا هذا . ومار عبدا مؤسس دير في المدائن عاصمة
الفرس . وهادي جمهور من المجوس إلى الدين المسيحي . ومن
تلاميذه عبديشوع الناسك السرياني الذي أنشأ دير مار توماً
جنوبي قطر . كان آهلا بمئتي راهب في حدود سنة ٣٩٠ .
ومار صموئيل الصوري – شمالي ماردين . المعروف بالمشتيني
الذي بنى دير قرتمين المشهور بدير مار كبرئيل سنة ٣٩٧ .
ومار مارون على ضفاف العاصي (٤١٠ م) ومار برصوم
(٤٥٧ +) رئيس النساك . العجائبي والمجاهد في سبيل
الإيمان الأرثوذكسي . الذي اجتذب إلى الدين المسيحي خلقا
كثيراً من الوثنيين واليهود وأنشأ بعض الكنائس . ومار شمعون
(سمعان) العمودي (٤٥٩ +) المتقشف والمبشر الذي هدى
إلى حظيرة يسوع كثيرين من العرب واللبنانيين وغيرهم .

مار قوما العمودي العجائبي الذي أحيى ميتاً .
و

١٣ - مدارسها

واشتغلت بجميع أصناف العلوم من لاهوتية وفلسفية ومنطقية وطبية ولغوية وتاريخية ورياضية وفلكية وما اليها . وأنشأت كثيراً من معاهد العلم كانوا يأتون إليها من كل فج عميق . وكان لها أثر بالغ في تاريخ الثقافة . أشهرها مدرسة انطاكية اللاهوتية التي أنشأها مار لوقيانس السرياني السميساطي سنة ٢٩٠ . وانحطت بظهور البدعة النسطورية سنة ٤٣٠ . ومدرسة نصيبين التي أسسها مار يعقوب النصيبيني في الربع الأول من القرن الرابع وعلم فيها ملفاننا الكبير مار أفرام السرياني حتى سنة ٣٦٣ التي فيها اضطر واساتذتها إلى مغادرة نصيبين هرباً من سابور الثاني الفارسي . ومدرسة الرها التي وسعها مار أفرام سنة ٣٦٣ وفتح فيها كنوزه العلمية حتى وافته المنية عام ٣٧٣ وقد لعبت دوراً مهماً في عالم اللاهوت والأدب والفلسفة . ونقل المؤلفات اليونانية اللاهوتية والفلسفية إلى اللغة السريانية حتى دعيت « أثينا سوريا » (١) وكان يؤمها الطلاب من جميع البلاد الشرقية ولا سيما الفارسية فسميت مدرسة الفرس . وفي سنة ٤٨٩ قوضها القديس قورا مطران الرها والملك المؤمن زينون لتغلغل التعليم النسطوري بين

(١) دائرة المعارف البريطانية طبعة ١١ ، مج ١٩ ص ٤٠٧ .

أساتذتها وطلابها . ومدرسة دير قرتمين التي فتحت أبوابها منذ منتصف المئة الخامسة وتخرج فيها أربعة بطاركة وسبعة وسبعون أسقفاً . وعلماء حتى القرن الحادي عشر . ومدرسة دير قنسرين التي كانت أكبر مدرسة لاهوتية علمية منذ القرن السادس حتى القرن التاسع فالحادي عشر . وتخرج فيها سبعة بطاركة . ومدرسة دير مار متى التي ازدهرت في النصف الثاني من القرن السابع حتى أواخر القرن الثالث عشر . ومدرسة دير مار حنانيا المعروف بدير الزعفران التي كانت مباءة للعلم زمناً مديداً وأنجبت واحداً وعشرين بطريركاً . ومدرسة دير مار برصوم التي اشتغلت بالعلم والثقافة منذ القرن الثامن حتى الثالث عشر وتخرج فيها خمسة بطاركة .

١٤ — علماؤها

وقد نبغ فيها جهابذة تثنى بهم الأصابع وتعقد عليهم الخناصر وكانوا المجلين في حلبة العلم . فاتخذ العرب الفاتحون كثيرين منهم أساتذة استعانوا بهم في نقل كثير من التآليف السريانية واليونانية إلى العربية وكانت في كل فن ومطلب . أشهرهم : ططيانس الفيلسوف (١٨٠م) ولوقيانس (٣١٢ +) مؤسس المدرسة الانطاكية . وأوسابيوس أسقف حمص (٣٥٩+) ومار أفرام نبي السريان وشمسهم (٣٧٣ +) والذهبي الفم (٤٠٧ +) أمير المنابر الذي لا يجارى . ومار بالاي الملفان ؛ ومار يعقوب السروجي (٥٢١ +) كنارة الروح المقدس وإكليل

الملافنة ، ومار فيلوكسينوس المنبجي (٥٢٣ +) من أقطاب الزمان ، وبولس الرقي (٥٢٨ +) من كبار الأدباء ، ومار وحنا التلي (٥٣٨ +) من ثقات علم الفقه . والقديس يسويريوس الانطاكي (٥٣٨ +) تاج السريان وأمير البيان ، و يوحنا بن آفتونيا (٥٣٨ +) من بلغاء الكتاب . وزكريا الفصيح المؤرخ والفقيه (القرن السادس) والجاثليق مار أحودامه (٥٧٥ +) الفيلسوف اللاهوتي . والقديس مار يعقوب البرادعي (٥٧٨ +) المجاهد الرسولي . ويوحنا الأفسسي (٥٨٧ +) المؤرخ الكبير والبشير الشهير ، وقس بن ساعده (٦٠٠ +) أسقف نجران الخطيب والحكيم . وساويرا سابوخت (٦٦٧ +) الفيلسوف والفلكي والرياضي ناقل الأرقام الهندية . والأخطل (نحو ٧١٠ م) الشاعر التغلبي المشهور . ومار يعقوب الرهاوي (٧٠٨ +) بحر العلماء وقطبهم ، وأنطون التكريتي الامام اللغوي (القرن التاسع) . والبطريرك ديونيسيوس التلمحري (٨٤٥ +) المؤرخ المعروف ، وايوانيس الداري (٨٦٠ +) اللاهوتي والمفسر القدير . ومار موسى بن كيفا (٩٠٣ +) الفيلسوف والمفسر وملفان البيعة ، ويحيى بن عدي (٩٧٤ +) شيخ الفلاسفة وإمام النقلة المجودين . والأسقف الرهاوي الفيلسوف مؤلف كتاب « علة كل العلل » (القرن العاشر) . وديونيسيوس بن صليبي (١١٧١ +) المفسر الطائر الصيت . والبطريرك مار ميخائيل الكبير (١١٩٩ +) المؤرخ المشهور . وسويريوس يعقوب البرطلي

(١٢٤١ +) اللاهوتي واللغوي . والبطريرك يوحنا بن المعدني (١٢٦٣ +) الخطيب المفوه والشاعر المجيد . والمفريان مار غريغوريوس بن العبري (١٢٨٦ +) دائرة معارف القرن الثالث عشر (١) .

١٥ – طلابها الجامعيون

وكان طلاب العلم السريان ، فضلا عن اغترافهم من مناهلهم العلمية الخاصة يتوافدون إلى كليات بيروت والاسكندرية للتخرج في الحقوق والآداب . ومن أشهر خريجي كلية بيروت الفقهية الطائرة الصيت من السريان بعد انقسام الكنيسة : أوكسون أخو أوسطاثاوس متروبوليت بيروت (٤٤٣ — ٤٦٠) (٢) . وأوغريس السميساطي الفيلسوف النبيل عراب القديس سويريوس الانطاكي . ومار سويريوس الانطاكي نفسه . وكان ثلاثتهم من أساتذة الكلية المذكورة . وزكريا الفصيح أسقف مدللي . ويوحنا روفس القس الانطاكي الذي كتب للبطريرك بطرس الثاني الانطاكي (٤٨٨ +) واليشع الليقي وزنودور الغزي وأنسطاس الرهاوي من رفاق مار سويريوس (٣) . والناسك الكبير توما ابن حاكم بلاد سوريا

---

(١) راجع اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية تأليف قداسة البطريرك أفرام الأول برصوم طبعة حمص سنة ١٩٤٣ .

(٢) تاريخ زكريا الفصيح مج ١ ص ١٨٢ .

(٣) سيرة مار سويريوس الانطاكي بقلم زكريا الفصيح .

وما بين النهرين (١) .

١٦ – نظريات علمائها

وانك لتجد عند هؤلاء نوابغ السريان كثيراً من النظريات التي هلل لها الغربيون حين أبرزها علماؤهم . منها نظرية هردر الفيلسوف الألماني « الانسان عالم صغير » التي تجدها عند مار أحودامه الجاثليق والشهيد السرياني في القرن السادس في كتابه « الإنسان عالم صغير » ونظرية غليليو الفلكي الايطالي القائلة بدوران الأرض التي تراها عند الأسقف السرياني الرهاوي في القرن العاشر في كتابه « علة كل العلل » . وفي هذا الكتاب نفسه ترى تماماً نظرية نيتشه الفيلسوف الألماني « الانسان الكامل » .

١٧ – أعيانها

وقد أنجبت الكنيسة السريانية الأرثوذكسية أبناء بررة ذادوا عن حياضها بكل ما أوتوا من قوة وحيوية . منهم : أبجر الخامس ملك الرها الذي راسل السيد المسيح ووطد دعائم المسيحية في بلاده . والملكة هيلانة الرهاوية (٣٢٦ +) ابنة قسيس قرية « فجي » السرياني (٢) وزوجة القيصر قسطنس

---

(١) سير نساك المشرق بقلم يوحنا الأفسسي .

(٢) تاريخ اغابيوس بن قسطنطين الرومي المنبجي من مؤرخي القرن العاشر للميلاد ، وتاريخ جرجس ابن العميد التكريتي السرياني (١٢٧٤ +) .

خلورس التي صرفت همتها في تأييد الدين المبين بعد تنصر ابنها قسطنطين الكبير . وأنشأت كنائس جليلة في أورشليم والأماكن المقدسة والرها وطنها وحلب وغيرها من البلدان ، واستحثت ابنها على عقد المجمع النيقاوي نصرة للحق . واكتشفت خشبة الصليب المقدس . والامبراطورة ثاودورة (٥٤٨ +) ابنة قسيس منبج السرياني (١) وزوجة القيصر يوسطينيان البيزنطي التي بذلت كل ما في وسعها في سبيل خير كنيستها السريانية . وسط المظالم الوحشية التي أثارها عليها البيزنطيون . والقائد السرياني المنبجي في جيش هرقل ومن أسرة البطريرك الانطاكي اثناسيوس الأول المعروف بالجمال (٦٣١ +) الذي استرجع سنة ٦١٤ خشبة الصليب من الفرس وسلمها إلى هرقل (٢). والزعيم الكبير بطرس بن يوسف الحمصي الذي شيد في حمص نحو سنة ٤٨٠ دير مار باسوس العظيم ، وأثثه وزينه وحبس عليه قرى كما مر معنا (٣) . واثناسيوس آل جوميا الرهاوي الذي جعله الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٨٥ — ٧٠٥) كاتباً ومدبراً لأخيه الفتى عبد العزيز حين أقره على إمرة مصر . وأصاب ثروة طائلة واقتنى أربعة آلاف عبد وقصوراً

---

(١) تاريخ الراهب القرتميني السرياني طبعة لوفان سنة ١٩٥٣ ص ١٩٢ والتاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٧٨ .

(٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٤١٨ — ٤١٩ .

(٣) سير الشهداء والقديسين طبعة بيجان مج ٤ ص ٤٧١ — ٥٠٥ (سيرة مار باسوس) .

ملكية وقرى وبساتين ، فشاد كنائس وديورة كثيرة فخمة في الرها ومصر منها هيكل فخم عجيب في الرها غشاه بالرخام وصفحه ذهباً وفضة ، وضع فيه صورة السيد المسيح التي كان قد بعث بها إلى أبجر الخامس ملك الرها (١) وإيوانيس آل الرصافي الرهاوي من كبار رجال الدولة الرومية وأعظم أغنياء الرها الذي أنزل في داره الملك الفارسي كسرى الثاني أبرويز ، واستعمل في مآدبه الآنية الذهبية والفضية فقط ، فكانت الموائد والصواني والصحون والملاعق والأقداح وكل حاجات المائدة من الذهب والفضة (٢) والرئيس ماروثا بن حبيب التكريتي الذي ابتاع في القرن الثامن « دير السريان » المشهور في مصر من البطريرك الاسكندري باثني عشر الف دينار . والكاتب علي بن سوار المعروف بابن الخمار البغدادي الذي جدد في القرن العاشر قبة كنيسة القيامة قبلة النصرانية (٣) وآل أبي عمران التكريتيون الذين استوطنوا مدينة ملطية سنة ٩٩١ وابتنوا فيها وفي ضواحيها أدياراً للرهبان والرواهب . وتعهدوا أهل البؤس بالصدقات نحسدهم على ثروتهم باسيليوس

---

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير مج ٢ ص ٤٤٧ — ٤٤٩ والتاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ١١٢ — ١١٣ والرهاوي المجهول مج ١ ص ٢٩٤ — ٢٩٥ .

(٢) التاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٩٢ — ٩٤ والرهاوي المجهول مج ١ ص ٢١٦ و ٢٢١ — ٢٢٤ .

(٣) راجع ما كتبه المؤرخ الرومي الملكي يحيى بن سعيد الانطاكي في ذيله على تاريخ سعيد بن بطريق ج ٢ ص ١٢٥ و ٢٤٠ .

الثاني قيصر الروم (٩٧٥ – ١٠٢٨) وألزمهم أن يضربوا سكة الدولة سنة ففعلوا ولم تنقص ثروتهم . ثم جاء اليهم بنفسه واستقرض منهم مئة قنطار ذهب أي نحو مليون دينار ذهب . وافتدى أحدهم من الأتراك خمسة عشر الف نفس من الأسرى بخمسة وسبعين الف دينار (١) .

١٨ – ذخائرها

واحتفظت بذخائر مسيحية شريفة كانت قبلة أبصار المؤمنين . منها صورة السيد المسيح التي أنفذها إلى أبجر الخامس ملك الرها منقوشة على منديل وكان لها شأن عظيم في الكنيسة السريانية ، حتى ابتنى لها الوجيه اثناسيوس آل جوميا الرهاوي هيكلا فخماً في الرها كما أسلفنا . وفي سنة ٩٤٢ طلبها ملك الروم من الخليفة المتقي بن المقتدر لقاء إطلاقه عدداً كثيراً من أسارى المسلمين فأرسلها (٢) . وزنار العذراء والدة الإله الذي حصل عليه مار توما الرسول عند انتقال العذراء إلى السماء . وكان قد حفظ أولا في الهند ثم نقل إلى الرها سنة ٣٩٤ ومنها إلى حمص في أواخر القرن التالي حيث أودع كنيسة السيدة العذراء التي أسسها البشير ميليا سنة ٥٩ م . والتي عرفت بعدئذ بكنيسة أم الزنار . وما زال فيها يحج إليه الناس من جميع الملل والنحل . وقد فحصته مديرية الآثار السورية في صيف ١٩٥٣ فحصاً

---

(١) التاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ١٩٧ و ١٩٨ .

(٢) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ٢٨٧ .

دقيقاً وصرحت بأنه من العصر الروماني (١) . ودير مار مرقس في القدس الذي هو بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس حيث أنجز المسيح الفصح الموسوي وغسل أقدام التلاميذ واستودعهم سر جسده ودمه ولفظ خطابه المشهور . وفيه كان الرسل يجتمعون . فأتاهم الرب بعد قيامته والأبواب مغلقة وأعطاهم سلطان الكهنوت . وبعد صعوده إلى السماء كان الرسل ومريم أم يسوع وإخوته مواظبين فيه على الصلاة فحل عليهم الروح القدس وكرسوه كنيسة باسم والدة الإله مريم (٢) . وفي كنيسة مار دودو الكبرى في باسبرينه — طور عبدين لم يزل جثمان الشهيد المفريان مار شمعون المانعمي السرياني (١٧٤١ +) محفوظاً لم يعتره خبال يزار تبركاً (٣) .

١٩ — الانشقاق الاول

في سنة ٤٣١ انعقد المجمع الأفسسي الأول وحرم نسطور لبدعته النكراء ، فحازبه نفر من أساقفة الشرق حرمتهم الكنيسة . وفي الربع الأخير من هذا القرن سلخ برصوم النصيبيني

---

(١) بيان بطريركي في زنار سيدتنا مريم العذراء . حمص ١٩٥٣ ص ٢٧ — ٢٩ .

(٢) راجع مؤلفنا « تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية » ج ١ ص ٩٢ — ٩٤ .

(٣) ترجمته بقلم قداسة البطريرك أفرام الأول برصوم في المجلة البطريركية السنة السادسة ص ٢٧ .

النسطوري من جسم الكنيسة السريانية معظم الكنائس في بلاد فارس والعراق بقوة المملكة الفارسية ولأغراض سياسيه . وفي سنة ٤٥١ انسلخ بعضهم من الكنيسة السريانية في المملكة الرومانية تابعين تعاليم نسطور الذي أيده الملك مرقيان النسطوري البيزنطي في المجمع الخلقيدوني . فأطلقت عليهم الكنيسة السريانية اسم « الملكيين » (١) لأنهم تركوا إيمان الآباء وتبعوا رأي مرقيان الملك . و « روما » و « خلقيدونيين » و « يونانيين » . أما العلامة ابن العبري فيسميهم « السريان الملكيين » (٢) وعلى تراخي الزمن وتمادي الأحقاب تركوا طقسهم الانطاكي السرياني القديم وبدلوا به الطقس البيزنطي الحديث ، وذلك في القرن العاشر . مستخرجين إياه من الأصل اليوناني إلى السرياني . وظلوا يقضون صلواتهم وطقوسهم البيعية باللغة السريانية وبخطهم السرياني الخاص المسمى « الملكي » حتى أواخر القرن السابع عشر ثم نقلوها إلى العربية وتبرأوا من السريانية (٣) . روى الكاتب حبيب زيات في كتابه « خزائن الكتب في دمشق وضواحيها » وفي المشرق البيروتية سنة ١٩١٠ ص ٣٣٣ أن راهبات دير الشاغورة

---

(١) تاريخ أغابيوس المنبجي طبعة شيخو ص ٣٧ ومقدمة تفسير القداس لابن صليبي والقائد الأمين لمكسيموس مظلوم ١ : ٦ .

(٢) منارة الأقداس ف ٣ ق ٦ اساس ٤ .

(٣) راجع مقالنا « من هو بطريرك انطاكية الشرعي » في مجلة المشرق الموصلية السنة الأولى ص ٨٥٣ .

بصيدنايا أحرقن مخطوطات سريانية شتى كانت تشمل عليها مكتبة الدير .

ولئن انفصل الملكيون عن الكنيسة السريانية الأرثوذكسية سنة ٤٥١ وأقاموا لهم بعض البطاركة بقوة الملك البيزنطي . بيد أنهم عادوا فاتحدوا ثانية مع الكنيسة في سنة ٤٧٦ . حتى ذا كانت سنة ٥١٩ انشقوا ثانية واستقلوا ببطاركة خلقيدونيين .

٢٠ - اضطهاداتها

كان لمجمع خلقيدون سنة ٤٥١ أسوأ الأثر في نفوس المؤمنين . فقامت بواسطته فتن في كل مكان واختل حبل الأمن في كثير من البلاد . وفي ٧ شباط سنة ٤٥٢ أصدر مرقيان ووالنطينس الثالث مرسوماً يقضي بعزل الاكليروس والموظفين في الجيش إذا هم خاصموا جهراً في موضوع الإيمان . وفي سنة ٤٥٣ أثار مرقيان أضطهاداً عنيفاً على الأرثوذكسيين فيه استشهد ألوف من الرهبان والكهنة والأساقفة والمؤمنين . وفي سنة ٥١٨ توفي الملك أنسطاس الأرثوذكسي وخلفه يوسطينس الخلقيدوني الذي أثار شدة عظيمة على الكنيسة السريانية الأرثوذكسية وشقيقاتها في الايمان لأغراض سياسية . فنفى أكثر من خمسين أسقفاً سريانياً في سوريا ولبنان وما بين النهرين وفلسطين . وطرد ألوفاً من الرهبان من أديرتهم ليحتلها الملكيون بدلا منهم . وقد كان للبطاركة الملكيين : بولس وأوفروسيوس وأفرام الآمدي ضلع كبير في ذلك الاضطهاد

العنيف الذي بز اضطهادات القياصرة الوثنيين (١) .

٢١ – عقيدتها الخالدة

تعترف الكنيسة السريانية الأرثوذكسية بثلاثة مجامع مسكونية هي المجمع النيقاوي المنعقد سنة ٣٢٥ بأمر الملك قسطنطين الكبير وبرئاسة القديس أوسطاثاوس بطريرك أنطاكية (٣٣٧+) ضد بدعة أريوس المنكرة الوهية السيد المسيح . والمجمع القسطنطيني الملتئم سنة ٣٨١ بأمر الملك ثاودوسيوس الأول وبرئاسة القديس ملاطيوس بطريرك انطاكية (٣٨١ +) ضد بدعة مقدونيوس المنكرة الوهية الروح القدس . والمجمع الأفسسي الأول المنعقد سنة ٤٣١ بأمر الملك ثاودوسيوس الثاني وبرئاسة القديس كيرلس بطريرك الاسكندرية (٤٤٤ +) ضد بدعة نسطور القائلة بالطبيعتين والأقنومين في السيد المسيح . وبأن العذراء مريم ليست والدة الإله . وتقبل الإيمان النيقاوي – القسطنطيني الذي ختمه المجمع الأفسسي حارماً كل من يدخل عليه زيادة أو نقصاناً . وتقبل كذلك المجمع الأفسسي الثاني الملتئم سنة ٤٤٩ بأمر الملك ثاودوسيوس الثاني وبرئاسة القديس ديوسقوروس بطريرك الاسكندرية (٤٥٧ +) تذييلا للافسسي الاول . وتحرم المجمع الخلقيدوني الملتئم سنة ٤٥١ بأمر الملك مرقيان النسطوري ، الذي قسم جسم المسيح إلى اثنين بتأييده هرطقة نسطور وقبوله أساطين النسطرة دون

---

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٦٦ – ٣١١ والتاريخ الكنسي لابن العبري في كلامه عن البطاركة المذكورين .

أن يحرموا مصنفاتهم النسطورية (١) . وقد حرمته الكنيسة السريانية الأرثوذكسية وشقيقاتها في الايمان سنة ٤٧٦ في المجمع القسطنطيني المنعقد بأمر الملك باسيليسكوس وبرئاسة القديس بطرس الثاني بطريرك أنطاكية (٤٨٨ +) والقديس طيمثاوس الثاني بطريرك الاسكندرية (٤٧٧ +) وحضور خمسمئة أسقف (٢) . وقد بعث إلى باسيليسكوس برسالة شكر ستمئة أسقف كانوا قد اجتمعوا في أفسس . كما وقع مرسومه في حرم المجمع الخلقيدوني مار بطرس الثاني الانطاكي والقديس طيمثاوس الثاني الاسكندري وبولس الأفسسي وأنسطاس الأورشليمي وأساقفة آسيا الصغرى والمشرق وغيرهم من الآباء وكانوا سبعمئة أسقف (٣) . وسنة ٤٨٢ في المجمع القسطنطيني المنعقد بأمر الملك زينون وبتأييد بطرس الثاني الانطاكي وبطرس منغوس الاسكندري وأقاق القسطنطيني (٤) . وسنة ٤٨٥ في المجمع الانطاكي الملتئم برئاسة البطريرك بطرس

---

(١) لقد نقضه ايضاً مجمع الخلقيدونيين الخامس في القسطنطينية سنة ٥٥٣ بحرمه أساطين النسطرة ومصنفاتهم النسطورية .

(٢) تاريخ الانشقاق تأليف جراسيموس مسرة متروبوليت بيروت للروم الأرثوذكس ج ٢ ص ٢٦٥ والخريدة النفيسة تأليف الأسقف أيسيدوروس السرياني القبطي ج ١ ص ٥٣٣ و ٥٨١ .

(٣) تاريخ زكريا الفصيح مج ١ ص ٢١١ - ٢١٣ و ٢١٥ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٤) تاريخ زكريا الفصيح مج ١ ص ٢٢٣ - ٢٣١ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٥٣٣ و ٥٤٩ و ٥٨٢ .

الثاني من أساقفة بلاد العرب ولبنان الفينيقي وسوريا وبلاد الفرات وقيليقية (١) . وسنة ٥٠٩ في المجمع القسطنطيني المنعقد بأمر الملك أنسطاس. والذي أحرق طومس لأون الروماني وقرار المجمع الخلقيدوني الأصلي بنصه وفصه (٢) . وتقبل هنوطيقون زينون نقضاً للمجمع الخلقيدوني . الذي قبله بطاركة أنطاكية والاسكندرية والقسطنطينية وأورشليم وغيرهم سنة ٤٨٣ . وتصرح بعقيدتها الخالدة القائلة بطبيعة واحدة من طبيعتين للسيد المسيح بدون اختلاط أو امتزاج أو تبلبل أو استحالة وفقاً لقول مار كيرلس الاسكندري والمجمع الأفسسي الأول سنة ٤٣١ (٣) لا كنهذيان المبتدع أوطاخي كما خلط وضلل بعض المغرضين من الكتبة البيزنطيين وغيرهم . تشهد بهذا مؤلفات القديسين فيلوكسينوس المنبجي وسويريوس الانطاكي ويعقوب السروجي وغيرهم من جهابذة الأرثوذكسية الذين عاصروا شقاق الكنيسة .

---

(١) تاريخ زكريا الفصيح مج ١ ص ٢٣٣ – ٢٣٥ .

(٢) رسائل مار يعقوب السروجي ص ٦٣ – ٨٣ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٥٩ – ٢٦٠ والتاريخ الكنسي لابن العبري في ترجمة فلابيانس الثاني والخريدة النفيسة ج ١ ص ٥٨٢ و ج ٢ ص ٧ .

(٣) تاريخ كلدو واثور مج ٢ ص ١٣٥ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٧٣ – ٤٨٢ وتاريخ جون جيزلر مج ١ ص ٣٩٩ و ٤٠٨ ودائرة المعارف النيويوركية Religion and Ethics تأليف جيمس هاستينكس ١٩١٥ مج ٨ ص ٨١٢ – ٨١٤ .

٢٢ — عقائدها الاخرى

فضلا عما تقدم تعترف أيضاً بالأمور التالية :

١ — بأقنوم واحد ومشيئة واحدة وفعل واحد للسيد المسيح من أقنومين ومشيئتين وفعلين كاعترافها بالطبيعة الواحدة تماماً . وفقاً لاعتراف الكنيسة المسيحية جمعاء قبل سنة ٤٥١ .

٢ — بانبثاق الروح القدس من الآب فقط كما نص الانجيل المقدس وصرح المجمع المسكوني الثاني سنة ٣٨١ .

٣ — ببتولية مريم العذراء قبل الولادة وحين الولادة وبعد الولادة معلنة أن إخوة الرب يعقوب ويوسي وشمعون الخ .. المذكورين في الانجيل المقدس هم أولاد يوسف من زوجة سابقة .

٤ — بتجسد الإله من مريم العذراء ولذلك تدعوها « والدة الإله » .

٥ — بصلب الإله المتجسد حقاً وتألمه بجسده ، وموته ودفنه وقيامته بينما لاهوته لم ينفصل عن نفسه أو جسده لحظة واحدة حين كان معلقاً على الصليب أو مدفوناً في القبر .

٦ — بالأسرار السبعة المعروفة ، وبالاستحالة الجوهرية في سر الأوخارستيا . وبسلطان الكاهن على غفران الخطايا وإمساكها . وبوجوب الصلاة عن أرواح الراقدين وتقديم ذبيحة القربان عن الأحياء والأموات المؤمنين . وبشفاعة القديسين وأم المؤمنين التي انتقلت إلى السماء نفساً وجسداً .

وتستنكر سعادة القديسين الحالية . ووجود المطهر ، وأوراق الغفرانات والحبل بالعذراء مريم بلا دنس .

٧ـ بخلق النفوس والأجساد سوية مستنكرة تناسخ الأرواح ، وبالقيامة العامة والدينونة التي يثاب أو يعاقب فيها الإنسان أبدياً تبعاً لما يفعله من الخير أو الشر بارادته وحريته المطلقة .

٨ ـ بأنها في جهاد متواصل مع العالم والشيطان تحت راية المسيح ، لذلك ترسم علامة الصليب على وجهها وتصلي سبع مرات في اليوم متجهة نحو الشرق بخشوع وركوع ما عدا أيام الآحاد والأعياد السيدية والخمسين (بعد القيامة) . وتستعمل البخور ، وتتلو الأسفار القدسية من العهدين معترفة بالأسفار المعتبرة عند بعضهم « أبو كريفا » ، وتمارس الوعظ . وتنشيء الكنائس بأسماء العذراء والدة الإله والرسل والشهداء والقديسين وتعيد لهم وتقبل صورهم للذكرى والاقتداء لا للعبادة ، وتحفظ يوم الأحد لأنه يوم الرب كما ورد في الكتاب . وتقدس الرهبنة وبتولية الرهبان والأساقفة . وتفرض الزواج على الكهنة خدمة الرعية ولا تأذن لهم بزواج ثان عند ترملهم بحسب التقليد الرسولي وقرار المجمع النيقاوي . وتمارس صيامات خمسة هي صوم الميلاد والباعوث (أو نينوى) والأربعين والرسل والسيدة العذراء فضلا عن يومي الأربعاء والجمعة على مدار السنة ما عدا أيام الخمسين . وفي سر الأوخارستيا تستعمل الخمير لا الفطير . والميرون يقدسه اليوم البطريرك وحده . ويُمسح به المعتمد حال خروجه من جرن

للمعمودية .

٢٣ - الانشقاق الثاني

في الربع الأول من القرن السابع انسلخ عن الكنيسة السريانية الأرثوذكسية رهبان دير مار مارون على أثر الاضطهاد الذي أثاره على الكنيسة السريانية هرقل البيزنطي (١). وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر انفصلت بمساعدة القنصل الفرنسي فرنسيس بارون : شرذمة من الكنيسة السريانية في حلب تابعة روما . برئاسة أخيجان الساحر (٢) الذي سمته بطريركاً . وكانت رسامته مطراناً من مطران ماروني في حلب . وبطريركاً من بطريرك الروم الأرثوذكس بعد أن أعاد رساماته السابقة من الشماسية حتى الأسقفية (٣) . ثم ما عتمت أن رجعت إلى الكنيسة قبل انتهاء هذا القرن . وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر ظهرت مرة أخرى برئاسة ميخائيل جروة مطران حلب باسم « الطائفة السريانية الكاتوليكية » واستولت على عدد من كنائسنا وأديرتنا في

---

(١) التاريخ الكنسي لابن العبري في ترجمة البطريرك اثناسيوس الأول المعروف بالجمال .

(٢) نهج وسيم للمطران جرجس شاهين السرياني الكاتوليكي ج ١ ص ٤١ و ٤٢ .

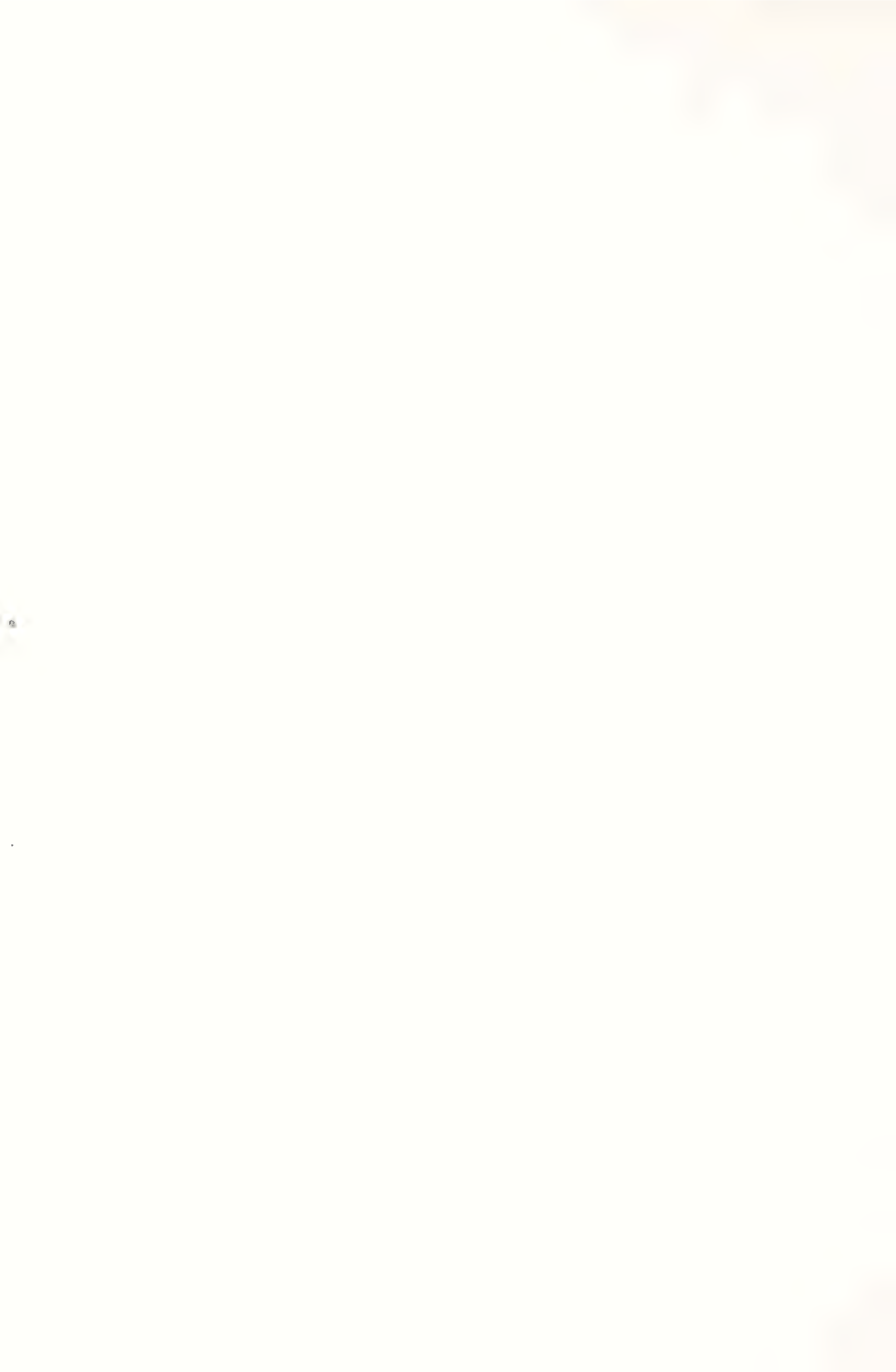
(٣) تاريخ الأزمنة للبطريرك اسطفانوس الدويهي الماروني ص ٣٥٦ و ٣٥٧ .

سوريا والعراق بتدخل الحكومة الفرنسية .

٢٤ - حالتها الحاضرة

كانت الكنيسة السريانية الأرثوذكسية في ما مضى مؤلفة من بضعة ملايين من النفوس . غير أنها من جراء الاضطهادات والحروب تضاءلت شيئاً فشيئاً حتى أضحى عدد نفوسها اليوم يربو على المليون وربع المليون. وهي منتشرة في سوريا ولبنان ومابين النهرين وفلسطين والعراق وتركيا ومصر والهند والأمريكتين. ولها كليات ومدارس عالية ، وإكليريكية . في الموصل والهند . ولها اثنتان وعشرون أبرشية مطرانية ، عشر منها في الهند .

يرئسها اليوم العلامة الكبير مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم بطريرك أنطاكية وسائر المشرق . خليفة القديس بطرس الرسول . والمئة والعشرون في عداد بطاركة أنطاكية الشرعيين أو المئة والحادي والأربعون بما فيهم غير الشرعيين . ولقبه « قداسة الحبر الأعظم » ويقيم حالياً في حمص - سوريا . غير أن مقر الكرسي الرسمي هو دير الزعفران في ماردين - تركيا وهو أعظم كرسي بطريركي في الشرق .



مطبعة دار الكتب - بيروت

الأجاجي

في

جهاد القديس مار فيلوكسينوس المنبجي

تأليف

اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

ܐܓܘܢܐ

ܕܩܕܝܫܐ ܡܪܝ ܦܝܠܘܟܣܝܢܘܣ ܕܡܒܘܓ

ܒܝܕ

ܐܝܓܢܐܛܝܘܣ ܝܥܩܘܒ ܬܠܝܬܝܐ

ܦܛܪ̄ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܘܕܟܠܗ ܡܕܢܚܐ



الأحاجي

في

جهاد القديس مار فيلوكسينوس المنبجي

تأليف

اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

١٩٧٠



إهداء الكتاب

إلى قطب الفضيلة ومشكاة الإيمان
إلى المجاهد العنيد في سبيل الكنيسة والإنسانية
إلى المجلّي في ميدان النسك ونكران الذات
إلى العالم العامل والمربي الكبير والمؤرخ الثقة
إلى اللاهوتي الحجة وإمام اللغة السريانية في القرن العشرين
إلى المثلث الرحمات مار فيلوكسينوس يوحنا دولباني
مطران ماردين وتوابعها نهدي هذا الكتاب

المؤلف

ܡܘܒܝܐ ܕܠܐ ܗܟܘܐ ܠܡܫܪܐ ܡܡܫܪܒܝܢ ܘܐܡܫܪܝܢ: ܕܗܐ
ܒܝܬ ܐ ܚܝܢ ܐܘ ܡܫܘܚܐ ܡܡܫܪܐ ܒܐܘܡܒܬܐ ܡܡܡܫܡܝܢ
ܠܬ ܡܒܝܬ ܢܝܩ ܕܡܢܘܚܐ ܟܪܝܗ ܦܝܠܠܘܒܡܣܝܘܣ
ܕܡܒܘܪܝ ܗܘ ܕܡܢ ܡܣܩܐ ܡܢܝܢܐܐ ܕܒܒܬܝ
ܒܬܒܐ ܒܡܫܠܟܐ ܕܡܕܚܐ ܒܝܬ ܘ ܕܡܫܪܒܐ ܡܡܒܕܘܩܝܢ
ܠܟܡܐܠܐ ܦܝܗܐ ܒܠܡܢܝܢ. ܟܫܪ ܦܝܠܠܬ ܗܘ ܒܝ ܠܠ ܕܡܒܘܢ
ܐܚܝܕ ܐܢܐ ܚܝܬ ܗܘܐ ܡܢ ܡܬܡܬܗܐ ܘܒܐܐ ܘܡܚܪܬܐ
ܡܠܬܠܬܐ ܗܘܐ ܕܝܚܡܘܢ ܢܡܢܬܐ ܢܠܟ ܡܘܡܩܐ
ܕܗܡܒܬܐ ܕܒܢܘ. ܡܒܝ ܠܒܘܢܝܪ ܟܠܬܐ ܗܘܠܐ ܡܓܝܐ
ܘܡܫܪܐ ܢܚܘܡܐ ܒܦܚܝܐ ܠܐܘܝܐ ܘܡܚܡܒܪܬܐ ܠܡܡܘܐܐ
ܕܠܠ ܒܡܠܐ ܟܚܘܢܝܐ ܗܘ ܡܠܐ ܒܗܘܐ ܕܡܒܬܡܐ ܡܒܐ
ܘܒܬܝܘܒܒܬܐ ܐܠܘܦ. ܡܘܕܝܢ ܒܡ ܠܠ ܗܘ ܒܡܝܢ

ܠܘܩܒܠ ܦܫܝܛܘܬܐ ܘܠܝܬܝܘܬܐ ܘܫܩܠܬܐ ܘܫܡܫܐ ܡܫܡܫܢ
ܢܦܫܐ ܗܢܘ ܕܡܥܒܕܐ ܚܕܬܐ ܘܠܡܫܝܚܐ ܠܟܠ
ܡܢ ܡܫܡܫܢܘܬܐ ܐܢܫܬܐ. ܡܢ ܟܠܗܘܢ ܕܝܢ
ܐܠܐ ܟܘܢܫܬܐ ܕܗܘܘ ܡܫܡܫܝܢ ܘܟܠܗܘܢ ܕܟܠ
ܫܡܫܐ ܐܬܐ ܡܫܡܫܢܘܬܐ ܗܘܘ ܕܫܪܝܬܐ ܕܗܘ ܐܬܐ
ܟܢܘܫܬܐ ܡܩܪܒܐ ܟܠ ܚܕ ܐܝܟ ܐܢܫ ܕܝܠܗ ܐܬܐ
ܘܡܫܬܐ ܟܕ ܬܒ ܗܘܐ ܘܐܬܟܢܫܘ ܕܐܬܐ ܡܢ ܫܡܫܐ ܕܝܢ
ܘܡܘܠܕܐ ܕܝܢ ܠܟܠܗܘܢ ܘܫܡܫܐ ܕܟܠ ܐܠܐ ܟܘܢܫܬܐ
ܐܝܟ ܕܐܘ ܫܡܫܐ ܘܟܠܗܘܢ ܐܘ ܕܝܢ ܟܘܢܫܬܐ ܕܫܡ ܕܝܢ
ܟܠܗ ܡܢܝܢ ܡܫܡܫܢ ܟܠܗ ܘ ܟܠܗܘܢ ܕܢܘܐ ܠܟܠܗܘܢ
ܗܘ ܠܡܫܝܚܐ ܕܫܡܗ ܘܟܠܗ ܐܪܐ ܕܫܡܗ ܟܠܗ ܟܠ

ܕܐܫܬܠܡ ܒܝܘܡ ܬܠܬܐ ܐܝܪ ܫ
ܡܫܝܚܝܐ



المقدمـــة

بعد حمد الله نقول :

نضع اليوم بين يديك أيها القارىء الكريم ترجمة مفصّلة للقديس مار فيلوكسينوس المنبجي ، وقد جمعناها بتعب جزيل من مصادر جمة مبثوثة في مختلف الخزائن شرقاً وغرباً • ومار فيلوكسينوس المنبجي هو من عرفت من أقطاب الزمان وأمراء البيان الذائدين بالمهج الغوالي عن ذمار الايمان • آتاه الله ما آتاه من توقد القريحة ونفاذ البصيرة وسداد الرأي وجَلَد على العمل المجدي ، ما أدهش جهابذة أهل النظر وخلب أَلبابَ أهل النهى • تنطق بذلك خطبـه الساحرة ورسائله الباهرة وبدائع مصنفاته الرائعة التي ضربت القياس العالمي جـودة واتقاناً (انظر ثبتهـا في اللؤلؤ المنثور ص ٢٢٨ ـ ٢٣٣) • وقـد أضحت ملفنته اللاهوتية وتفاسيره وفتاويه وآراؤه في الكمال المسيحي ، نبراسـاً وضاء لعلماء السريان في كل عصر ومصر • واحتلّت مكان الصدارة في تفاسير مار ديونيسيوس يعقوب ابن صليبي للعهدين ، وفي مصنفات مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري اللاهوتيـة والتفسيرية والفقهية والنسكية •

نفعنا الله بشفاعته وجعل عملنا هـذا لمجد اسمه ولخير شعبه بنعمته آمين •

دمشق في ٨/٤/١٩٧٠

المؤلف



الفصل الأول

حداثته ودراسته

وُلد من أبوين مسيحيين فاضلين[1] في بلدة تحل من كورة باجرمي ـ لواء السليمانية ـ العراق ، في الربع الثاني من القرن الخامس للميلاد ، وسُمي أخسنويو (أو أخسنايا)[2] وهو اسم سرياني معناه غريب . وكان له شقيق اسمه أدى ، كان معلّماً في مدرسة تلك البلدة[1] . وفي ميعة صباه ، أثار يزدجرد الثاني ملك الفرس (٤٣٨ ـ ٤٥٧) اضطهاداً عنيفاً على نصارى باجرمي وبلاشبار على شاطىء نهر ديالى ، بلغ عدد الذين استشهدوا فيه من الاساقفة والكهنة والمؤمنين ، ١٣٣٠٠٠ نسمة[3] . ومن جراء هذا الاضطهاد[4] هجر أبواه وسائر أفراد

---

(١) راجع سيرته المطولة بالسريانية والعربية ، وقصيدة ايليا القرتميني فيه بالسريانية .

(٢) في هذا الوقت بالذات كان أسقف كركوك يسمى أخسنايا (كلدو واثور للمطران أدى شير الكلداني ج ٢ ص ١٢٣) .

(٣) كلدو واثور ج ٢ ص ١٢٣ ـ ١٢٨ .

(٤) قصيدة ايليا القرتميني .

عشيرته وطنهم قاصدين طورعبدين ، وجاؤوا ناحية قلعة هيتم حيث استوطنوا بقعة شمالي قرية باسبرينة بازاء عربان • ولما بلغ أخسنويو روق الشباب ، انفرد في مكان يبعد عن أهله مسافة نصف ميل ، حيث شيد له كوخاً صغيراً أخلد فيه الى مناجاة الله ، صواما قواما ، حتى نحل جسمه واستناز لبّه واتحد مع الله عقله •

وذات يوم مرّ به رهبان أتقياء من أديار جبل قردو[٥] ، وهم في طريقهم الى دير قرتمين الشهير ، فرحب بهم وقام بخدمتهم خير قيام • وقد بعث فيه مرآهم الملائكي سروراً جمّا ، ما حفزه الى مرافقتهم الى هذا الدير ،حيث تبرّكوا جميعاً من أضرحة قديسيه • واذ استنشق منه عبير الطهر والقداسة ، وأسر قلبه بحسن نظامه ، قرر في قرارة نفسه التروض فيه على أعمال التقى والفضيلة• فانخرط في سلك طلاب مدرسته الدينية ، حيث شرح الله صدره للعلوم النافعة • فعكف مع أخيه أدى على درس العلوم الدينية وآداب اللغتين ، السريانية واليونانية ، حتى رفل منها باجمل حلة • ولما تلألأ فضله ، نُصّب رئيسا للمدرسة ولقّب برئيس الملافنة • فطارت له في

---

(٥) عُرف أيضا بجبل جودي •

الآفاق شهرة مستفيضة[1] • ومن أخص زملائه في هـذا الدير ، مار يوحنا مطران آمد (٤٨٤ ـ ٥٠٢) •

وبين سنتي ٤٥١ ـ ٤٥٧ انضم الملفان المترجم وأخوه الى مدرسة الرها الشهيرة ، ورئيسها يومذاك المعلم نرساي • فكدح في حيازة العلوم الفلسفية واللاهوتية حتى تسلّق قللها • ولكنه استنكر وأخوه مع غيرهما المبادىء النسطورية التي تشبث بها أساتذة المدرسة ومعظم تلامذتها[٦] • بل هو الذي فضح أمر نرساي وبرصوم (النصيبيني بعدئذ) وأقاق (الجاثليق بعدئذ) بتمسـكهم بآراء ثأودوروس المصيصي معلم نسطور ، وسبّب طردهم • وفي ٢٨ تشرين الثاني سنة ٤٥٧ هلك هيبا النسطوري مطران الرها ، فخلفه مار نونا الارثوذكسي . فطرد نرساي وتلامـذة المدرسـة الذين نافحوا عن بدعـة نسطور[٧] • فانتقل أخسنويو الى مدرسة دير تلعدا الكبير الشـهير في كورة انطاكية ، حيث قبض على ناصية اللغتين المذكورتين ، ولا سيما السريانية التي أحاط بكل شاردة وواردة منها حتى عُدّ من كبار أئمتها[١] • ثم ترهّب ورسم كاهنا •

---

(٦) رسالة مار شمعون الارشمي في برصوم النصيبيني وانتشار بدعة نسطور في بلاد الفرس ، وتقويض مدرسة الرها •

(٧) كلدو واثور ج ٢ ص ١٣٧ •

الفصل الثاني

سريانيته

قال المطران أدى شير الكلداني : « ان أخسنايا كان كلدانيا »[1] . ولا ندري ماذا أراد بقوله هذا ، مع العلم الاكيد ، ان هذا الاسم لم يكن معروفا في عهد أخسنويو شرقاً وغرباً . فان أراد به نسبته الى البلاد التي كانت خاضعة يوما لدولة عرفت حيناً بالكلدانيـة ثم دالت في القرن السادس قبل الميلاد ، قلنا ان تلك البلاد التي كانت من أجزاء المملكة الفارسية في عهد أخسنويو أي في القرن الخامس بعد الميلاد ، لم تكن عصرئذ معروفة بهذا الاسم ، بل لم تكن كذلك ولا عند انبلاج فجر المسيحية ، لكنها عرفت ببلاد الآراميين . وان أراد به نسبته الى الكنيسة التي في تلك البلاد ، قلنا ان تلك الكنيسة أيضا لم تكن معروفة بهذا الاسم ، بل باسم سريانية . تعزز قولنا هذا ثلاث شهادات من أعلام الكنيسة الكلدانية الشقيقة وهم ،

---

(١) كلدو واثور ج ٢ ص ١٦٤ .

المطارنة : توما أودو ، أوجين منا وأدى شير نفسه ٠

فالاول ، أثبت أن تلك البلاد ، كانت معروفة بالبلاد الآرامية الشرقية ، وان الآراميين الذين اعتنقوا الدين المسيحي ، سُمّوا سريانا شرقيين وغربيين ٠ واذ اعتنق هذا الدين المبين معظم أبناء الأمة الآرامية ، أخذ الاسم الارامي يتقلص شيئا فشيئا ، وحلّ محلّه الاسم السرياني حتى سُمّيت هذه الأمة بأسرها سريانية ، وسُمي لسانها سريانيا الى اليوم ٠ وقال : ان العامة في عهدنا ، تسمّي اللهجة السريانية الشرقية ، كلدانية ، وهَما[٢] ٠

والثاني ، أثبت أن جميع البلاد المعروفة اليوم بالسريانية ، سواء كانت شرقية أم غربية ، كانت معروفة في قديم الزمان بالآرامية ، وان اسم السريان دخل على الآراميين الشرقيين بعد المسيح على يد الرسل الذين تلمذوا هذه الديار ، اذ تركوا اسمهم الآرامي واتخذوا الاسم السرياني ليتميزوا عن بني جنسهم الآراميين الوثنيين ٠ ولذا أضحت لفظة الآرامي مرادفة للفظة الصابىء والوثني ، ولفظة السرياني مرادفة للفظة المسيحي والنصراني الى اليوم[٣] ٠

---

(٢) راجع مقدمة قاموسه السرياني ٠

(٣) راجع قاموسه السرياني ـ العربي « دليل الراغبين في لغة الآراميين » المقدمة و ص ٤٨٧ و ٤٨٨ ٠

والثالث ، أكد أن تلك البلاد كانت تُعرف عند ظهور المسيحية ببلاد الآراميين ، وأثبت استناداً الى ما ورد في تاريخ ايليا مطران نصيبين النسطوري (٩٧٥ـ١٤٠٦) وغيره ، ان الذين اعتنقوا المسيحية من أهلها سُمّوا سريانا ، وان الكنيسة بالذات سُميت سريانية في كل أجيالها ، وان لفظة سرياني ، كانت وما زالت الى يومنا هذا تعني نصراني . كما اعترف بأن الاسم الكلداني ظهر في العهد المسيحي لاول وهلة عند انضمام نساطرة قبرص الى الكنيسة الرومانية سنة ١٤٤٤ اذ أطلقه عليهم أوجين الرابع بابا رومية[٤] .

هذا من جهة . ومن الجهة الاخرى فان الكنيسة في تلك البلاد لم تكن يومذاك منفصلة عن الكنيسة الانطاكية كما أيد هو نفسه عند كلامه عن هذه الفترة بالذات قائلا: لما رأى مار يوحنان مطران كركوك ما ألمّ بقطيعه من الاضطهاد ، كتب الى بطريرك انطاكية طالباً دعاءه[٥] . بل ان افراج بهرام الخامس ملك الفرس (٤٢٠ـ٤٣٨)

---

(٤) كلدو واثور ج ٢ المقدمة .

(٥) فيه ص ١٢٤ .

عن الجاثليق داديشوع سنة ٤٢٢ بوساطة سفير ثأودوسيوس الثاني قيصر الروم[٦] ، كانت نتيجة وحدة الايمان التي كانت تربط الكنيسة في تلك البــلاد بالكنيسة التي في المملكة الرومانية ٠

فأخسنويو إذن لم يكن كلدانياً بل سريانياً أرثوذكسياً ٠



(٦) فيه ص ١١٦ ـ ١١٩ ٠

الفصل الثالث

كنيسته

كانت الأمواج الصاخبة تتقاذف كنيسته ، كنيسة انطاكية العظمى ، تريد تحطيمها على الشواطىء الصخرية. ذلك ان الاستعمار البيزنطي الغاشم ، طابت له السيطرة على سورية . فأمعن في تمزيق المواطنين وتبديد شملهم باسم الدين ، والدين من كل ذلك براء . ونتيجة لذلك اضطر البطريرك مكسيموس سنة ٤٥٥ الى اعتزال الكرسي الرسولي ليشغله الخلقيدونيون ، أولا من سنة ٤٥٦ حتى سنة ٤٦٨ ثم من سنة ٤٧١ حتى سنة ٤٧٥ ثم من سنة ٤٧٨ حتى سنة ٤٨٥ . ففي سنة ٤٦٨ اضطر مرطور الخلقيدوني الى التخلي عن الكرسي بسبب مقاومة المؤمنين الانطاكيين اياه لاجل عبارة « يا من صُلبت لاجلنا ». ولما رأى إصرارهم عليها ، خطب في الكنيسة قائلا : « انه متخلٍ عن هذا الاكليروس المتمرد وهذا الشعب العنيد وهذه الكنيسة التي شانها الرجس »[1] ، على حد تعبيره.

---

(١) تاريخ سورية للدبس مج ٤ ص ٣١٣ .

الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أن الارثوذكسيين كانوا هم الاكثرية الساحقة في انطاكية ٠ وكان يقود هذه الحركة القس بطرس الذي نُصّب مكانه باسم بطرس الثاني ، وهو المعروف بالقصّار ٠ وقد أخبرنا المؤرخ زكريا الفصيح المعاصر لمرطور ، أن مرطور كان نسطوري المذهب ، فناهض المرسوم الذي أصدره الملك لاون الاول سنة ٤٦٨ في وجوب تسمية الطوباوية مريم العذراء « والدة الاله » ، وكتابة اسمها في « الذبتيخا » سفر الحياة ٠ فتوجه بعض الرهبان الانطاكيين الى القسطنطينية حيث شكوه الى الملك ، فعزله[٢] ٠ وفي أعقاب ذلك نصّب الارثوذكسيون الانطاكيون مار بطرس الثاني المشاراليه ٠ بيد أن بطرس نُفي مرتين سنتي ٤٧١ و ٤٧٨ ٠

كان قلانديون آخر البطاركة الدخلاء في القرن الخامس ، أقامه البطريرك أقاق القسطنطيني سنة ٤٨٢ بايعاز من القيصر زينون[٣] ٠ وكان باطنا ، متمسكا بتعليم نسطور ، حتى انه في رسائله ، سمى القديس كيرلس الاسكندري ، « جاهلا »[٤] ٠ وإذ أراد إرضاء

---

(٢) تاريخه مج ١ ص ١٨٥ ٠

(٣) تاريخ سورية للدبس مج ٤ ص ٣١٥ ٠

(٤) تاريخ زكريا الفصيح مج ١ ص ٢٣٣ ٠

المؤمنين في انطاكية ، أدخل على التريصاجيون عبارة « أيها المسيح الملك الذي صُلبت لاجلنا » ، لتدل على توجيه الكلام الى السيد المسيح ، في ما زعم[٣] .

وفي هذه السنة بالذات ، أدرك أقاق المومأ اليه خطأ تعليم المجمع الخلقيدوني ، فندم ، وتبادل ومار بطرس منغوس الاسكندري ، رسائل أدت بالنتيجة الى اتحاد الكنائس الشرقية كلها بالايمان القويم . ذلك انه التمس من القديس بطرس أن يقبله في شركته ، فصلى بطرس لأجله وقبله ، بعد أن سبق فنبذ مذهب الطبيعتين وحرم المجمع الخلقيدوني وطومس لاون الروماني ، وجرّد نفسه من كل رتبة كهنوتية ، معتبرا ذاته شخصا علمانياً[٥] . وفي أعقاب ذلك عقد زينون مجمعاً في القسطنطينية وأصدر مرسوم الاتحاد المعروف بالهنوطيقون كما سيأتي .

---

(٥) راجع هـذه الرسائل في كتاب « الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة » للاسقف ايسيذورس ج ١ ص ٥٣٨ ـ ٥٥٦ .

الفصل الرابع

دفاعه عن هنوطيقون زينون

بعد أن ثمل الكاهن الجديد من خمرة العلوم اللاهوتية واللغوية في دير تلعدا الكبير معقل الارثوذكسية ، وتدرع بحجة المحجة القويمـــة ، نزل الى حومة النضـــال بلسانه الفصيح ويراعه السيال ، ما لفت اليه العقول والابصار.
لقد كان استنكاره للمبادىء النسطورية يوم كان في مدرسة الرها ، أول شرارة تطايرت من نار الغيرة الوقادة المتأججة في أعماق قلبه الكبير على المعتقد القويم ، فكانت من ثم باكورة لنضاله العنيد المجيـــد الذي رفع لـــه اسما بلغ السُّهى ، وعظّم لـــه شأنا في عالم الارثوذكسية ، وكلل هامتـــه باكليل المجد والفخار ، وأحاطها بهالة مكتظـــة بالانوار ، فلقّـبه آباء البيعة بكل حق ، بمختلف الالقاب ، منها « الملفان السامي النهى ، والعلامة العجيب ، والملفان الكبير ، والعارف بالله ، وبحر العلوم وملاذ السريان »[1].

---

(١) راجع سيرته وقصيدة ايليا القرتميني فيه .

في سنة ٤٨٢ عقد زينون مجمعا في القسطنطينية ، بغية توحيد صفوف الكنيسة ، اذ ساءه ماكان يعكر صفوها من انقسام مرير . وبعد استشارته أقاق الآنف الذكر[٢]، أصدر في السنة التالية مرسوم الاتحاد المشهور بالهنوطيقون، ضمّنه صورة الايمان نقضا للتي وضعت في المجمع الخلقيدوني[٣] ، وهذه خلاصته :

« بما أن الايمان الذي لا عيب فيه وحده ينجينا وأمور الجيش . لذلك قدّم الينا محبو الله رؤساء الأديار ورهبان آخرون ، عرائض ، ملتمسين فيها بدموع أن يتم اتحاد الكنائس المقدسة . فينضم بعضها الى بعض . الأعضاء التي فرقها عدو الخير منذ زمن . حتى قضى بعض المؤمنين بدون اقتبال سر العماد . وآخرون بدون تناول القربان المقدس، فضلا عن سقوط ربوات من القتلى الذين بدمهم الغزير تخضبت الارض والهواء . ولذلك قررنا نحن والكنائس الارثوذكسية في كل مكان ، ورؤساء الكهنة الذين يدبرونها ، ألا نعرف إيمانا آخر سوى الذي وضعه الآباء القديسون الذين اجتمعوا في افسس وحرموا نسطور والناسجين على منواله . فنحرم نحن أيضاً نسطور وأوطيخا

---

(٢) تاريخ زكريا الفصيح مج ١ ص ٢٢٤ .

(٣) دائرة المعارف النيويوركية Religion and Ethics مج ٨ ص ٨١٣ .

اللذين علّما خلافا للايمان المذكور ، ونقبل الفصول الاثني عشر التي كتبها الطيب الذكر ومحب الله كيرلس الذي كان رئيس أساقفة كنيسة الاسكندرية الجامعة • ونعتقد بأن الوحيد ابن الله والاله يسوع المسيح ، الذي نزل وتجسد حقا من الروح القدس ومن مريم العذراء والدة الاله ، والذي هو من طبع الآب باللاهوت ومن طبعنا بالناسوت[٤] ، هو ابن واحد لا أثنان[٥] ، وان العجائب والآلام التي احتملها في الجسد هي لهذا الوحيد ابن الله الواحد[٦] • أما الذين يميزون[٧] أو يبلبلون أو يقولون بالخيال[٤] ، فلا نقبلهم البتة • ذلك ان التجسد الحقيقي المنزه عن الخطيئة الذي من والدة الاله ، لم يزد على الابن شيئا • فقد ظل الثالوث ثالوثا وما بعد تجسد الاله الكلمة الواحد من الثالوث أيضا • اننا نكتب بهذا اليكم ، لا لنُعلن ايمانا جديدا ، لكن لنبيّن اننا نحرم كل من ارتأى أو يرتاي شيئاً آخر سواء أكان ذلك في مجمع

---

(٤) ضد أوطيخا •

(٥) ضد نسطور •

(٦) ضد طومس لاون الروماني •

(٧) يعنى النساطرة والخلقيدونيين •

خلقيدون أم في أي مجمع آخر ، ولا سيما نسطور وأوطيخا والذين ينسجون على منوالهما »[٨] ٠

فلما ذاع خبر الهنوطيقون في الكنيسة ، توجه القس الملفان أخسنويو الى انطاكيـــة ، حيث أبدى همة عالية وغيرة وقادة في شأنه وشأن المعتقد القويـــم ٠ واذ كان قلانديون الانطاكي الدخيل لا يزال متمســكا بالمجمـع الخلقيدوني رغم ارتـــداد راسمه أقاق القسطنطيني الى الارثوذكسية وكفره بهذا المجمع . أغاظه جهاد أخسنويو ، فطرده من انطاكيـــة[٩] ٠ أما قلانديون فافتضح أمر اشتراكه في مؤامرة عسكرية ضد زينون سنة ٤٨٥ فطرده من انطاكية ، وردّ اليها القديس بطرس الثاني اجابة الى إلحاح الشعب كله[١٠] ، فاستقبله الانطاكيون بالتهليل والتزمير استقبالا حافلا منقطع النظير ، معتبرين اياه بطرس الرســول نفســه[١١] ٠ وكان يرافقه مـــار أخسنويو[١٢] ٠

---

(٨) تاريخ زكريا الفصيح مج ١ ص ٢٢٧ ـ ٢٣١ ٠ هـــذا ومن افتراءات أدى شير الفاضحة قوله أن زينون دس في الهنوطيقون البدعة المنوفيسيتية (كلدو واثور ج ٢ ص ١٤٠) ٠

(٩) دائرة المعارف النيويوركية مج ٨ ص ٨١٤ ٠

(١٠) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٥٣ و ٢٥٤ ٠

(١١) تاريخ زكريا الفصيح مج ١ ص ٢٣٣ ٠

(١٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٦٢ ٠

الفصل الخامس

تقديمه صورة ايمانه للملك زينون

كان مار أخسنويو يذود عن ذمار الايمان القويم بكل ما أوتي من قوة وحيوية . استناداً منه الى آيات الله البينات والى مصنفات أئمة البيعة العظام . فكأن لا بد والحالة هذه من أن يصطدم مع أعداء هذا الايمان ، وهم النساطرة والخلقيدونيون يومذاك . واذ عجز هؤلاء عن ردّ براهينه الدامغة ، اتهموه لدى الملك زينون بتزييف الايمان . فسأله الملك أن يقدم له صورة إيمانه كتابة ، ففعل ، وذلك لتقريع الهراطقة من جهة ، ولبنيان المؤمنين المنافحين عنه من الجهة الأخرى .

ان عنوان هذه الرسالة ، هو « في تجسّد وتأنّس الاله الكلمة » . وفيها رد على والنطينوس وبرديصان اللذين زعما أن المسيح أتى بجسده من السماء . وفنّد سابيليوس وفوطينوس اللذين أنكرا تثليث الأقانيم المقدسة ، واريوس ومقدونيوس اللذين أنكرا ألوهة الابن والروح ،

وثأودوروس ونسطور اللذين أضافا أقنوما الى الثالوث ، وأبوليناريوس وأوطيخا اللذين قالا بتغير الاقنوم الثاني عند تجسده · كما انه حرم نسطور الذي قال بطبيعتين وأقنومين للمسيح ، وأوطيخا الذي أنكر حقيقة تجسّد الاله من العذراء·وقد رأينا تعريبها هنا عن السريانية، عسى أن تكون رادعا لاولئك الذين يتجنون على أمجاد كنيستنا وعقيدتها السمحاء ، تغطية لزيف عقيدتهم ·



الفصل السادس

صورة ايمانه[1]

ان الاله الكلمة الذي هو مساوٍ لله الآب في الطبع ، وقد ولد منه قبل الازمان والدهور ، وهو في كل حين إله ، وعند الله ، والله الكلمة ـ لانه مولود منه بدون ألم وهو معه بدون زمن ـ فقد تعلمنا وآمنا وتسلمنا عن تجسده وتأنسه كما يلي :

انه تجرد ووافى الى رحم العذراء دون أن ينتقل من عند الآب أو يبتعد عمن هو معه وعنده ومثله في كل حين ، بل يؤمَن به في كل مكان بانه إله ، تماما كالآب والروح القدس .

لقد شاء أن يُحيي البشر بتجرده وتجسده وتألمه وموته وقيامته ، فوافى الى العذراء دون أن يُحد ، وتجسد

---

(١) نُقلت من مخطوطة سريانية في المكتبة الفاتيكانية تحت رقم ١٣٥ .

فيها ومنها وصار انسانا دون أن يطرأ عليه تغيير · أي انــه لم يأت له بجسد من السماء كما هذى والنطينوس وبرديصان ، ولا تجسد من لا شيء ، اذ لم يبغ أن يخلص خليقة غير موجودة ، بل شاء فجدد التي كان قد خلقها ثم عتقت · ولا نذيع انه صار انساناً بتغير طبعه ـ لأن الله غير قابل التغير الذي هو من خصائص الطبع المخلوق ـ بل كما انه كائن بدون ابتداء ، كذلك حين « صار » لم يتغير · لانه انما صار انسانا باتخاذه ناسوتا ، لا انسانا ألصقه باقنومه ، وذلك لئلا يُدخل زيادة على الثالوث ، فيكون من ثم ابنا آخر بالنعمة غير الابن الطبيعي ·

فاذ أسجد للاله الكلمة الذي 'ولد وحيدا من الآب ، أومن بأنه تجسد حقا وولد من العذراء القديسة ، لأن الذي ولدته انما صار وتجسد فيهـــا ومنها · ذلك بأنها لم تلده روحانيا ـ فان هذا الميلاد قد حازه من الآب ـ وليس كما ولده الآب كذلك 'ولد من العذراء أيضا · فالآب ولده إلها وفقا لنظام الطبع والميلاد الازلي ، أما العذراء فولدته في الجســـد ، لكي بواسطة هذا الميـــلاد الجسدي نستحق نحن ذلك الميلاد الروحاني · وقد صار الكلمة ما لم يكن ، فظل ما لم نكن نحن ـ أي أولاد الله ـ فيما اننا لبثنا ما نحن في الطبع · فقد صرنا نحن أولاد

الله رغم ان طبعنا لم يتغير الآن · أما هـو فصار انسانا بالنعمة دون أن تتغير ألوهته ·

انني أعترف بأن أقنوم الكلمة هو واحد ، وانه هو نفسه انسان أيضا ، أي انـه إله صار انسانا ، لا بأنه سكن في انسان ، ولا انه شيد له هيكلا وحل فيه · ذلك بأن هياكله هي نحن ، وهو يسكن فينا بواسطة روحه · أجل ، انه لم يخلق لـه انسانا في العذراء قبل أن يحل فيها — فاتخذه من ثم أقنوما آخر — لانه لم يتحد بأقنوم انسان بل بطبعنا ، وذلك بواسطة تجسده من العذراء · انني لا أعرف في العذراء انسانا مقترنا بالله ، ولا أقنوما ملتصقا بأقنوم ، لكني أعرف بعين الايمان ، روحانيا صار جسدانيا بدون تحول · وكذلك لم تلد مريم (مولوداً) مضاعفا كقول نسطور ، بل الوحيد المتجسد ، الذي ليس نصفه إلها ونصفه انسانا ، بل كله إله لانه من الآب وكله انسان لانه صار من العذراء ·

وأعترف بصيرورة اتحاد الطبيعتين أي اللاهـوت والناسوت ، ولن أقسم اللذين اتحـدا معاً بنوع يفوق الوصف ، الى طبائع أو أقانيم أو أجزاء تخص هذا أو ذاك ، ولا أرى اثنين حيث صار واحدا ، ولا أفهم واحدا

حيث يعرفان اثنين • ذلك بأنه لم يتكون أولا انسان عُرف بعدده ، ثم اتخذه الله • فان قلنا هذا ، لا نكون قد اعترفنا بأن الناسوت هو ناسوت الله • فان كنا نؤمن بأن الجسد هو جسده لانه تأنس . فالناسوت إذن هو لاقنوم الله ، وليس أقنوما آخر لانسان • فانه ليس جسد كل منا إلها رغم اننا صرنا أولادا للآب واخوة للمسيح • وعلى هذا النمط لا يجوز أن يُتخيل وحده ما هو لذلك الناسوت ، سواء أأعتُبر أقنوما أم طبيعة ، اذ لم يصر أولا ناسوتا عُرف انه لشخص ما ، ثم اتخذه الله واختصه به •

انني أُصرّح مع يوحنا قائلا : « ان الكلمة صار جسدا وحل فينا » • وذلك ليس بتغير ، حاشا ، لان التغير هو نقيصة • أما الصيرورة فتدبير (الهي) • لقد علمني يوحنا و بولس انه « صار » ، اما انه « تغير » فلم يعلم به ولا واحد من الذين كانوا معاينين وخادمين للكلمة • كيف لا وان الكلمة الاله نفسه يعلم بواسطة النبي قائلا : « أنا هو الرب ولم أتغير » • وهكذا فحيث خيل انه تغير لانه تجسد ، هنالك شهد بالاحرى لحقيقة عدم تغيره • وكأني به بعد تجسده من العذراء ، يبكت الذين خيل لهم انه تغير لما « صار » قائلا : « أنا هو الرب ولم أتغير » •

ان الميلادين هما للابن الواحد ، أي الميلاد الذي من الآب وهذا الذي من العذراء · انهما للابن الواحد لا للطبيعتين · والا فليس هو واحداً · فاذا تُخيل طبيعة وطبيعة ، فمن البديهي أن يعرف بأقنوم وأقنوم أيضا · واذا تُخيل كذلك ، وجب أن يُتخيل أيضا انه ابنان ·

لقد تجسد أقنوم الابن بمشيئة الآب والروح القدس · ولم يبعده تجسده عن أن يؤمَن به بأنه مساوٍ لهما في الطبع · ذلك بأن الابن كان مولودا ، فولد الابن بالذات · لم يولد الآب ميلادا جسديا ، اذ هو في كل حين آب · ولا ُولد الروح القدس أيضا ، لانه لم ينبثق ابنا من الآب لكي يصير ابنا للعذراء · وهكذا فقد ُولد الذي كان مولوداً أي الابن ·

ويؤمَن بهذا الابن بالذات بالنسبة الى الميلادين · فقد صار حقا ابنا للعذراء ذاك الذي له اسم وفعل الابن من لدن الآب · وهكذا صار له كلا الامرين ، أي أن يصير وأن يولد أيضا · ولأنه كان ابنا ُولد ابنا أيضا ، وذلك لما صار انساناً بدون تغير ·

واذ كنا نسمع هذه الأمور من الاسفار (القدسية)، أي ان واحداً (فقط) تجسد ، وهو نفسه ُولد أيضا ،

وهو وحيد من الآب و بكر من العذراء ، فيقتضي أن نؤمن وجوبا بأنه هو نفسه يُعرف أيضا في جميع الامور الوضيعة والحقيرة التي تناسب الناسوت ·

اننا نعترف بالعذراء بأنها والدة الاله · كما اننا نؤمن بأن الكلمة الذي تجسد ـ بعد ان ُولد منها في الجسد ـ ُلفّ بالقُمط ، رضع اللبن ، اقتبل الختان ، حُمل على الركب ، نشأ في القامة وخضع للأبوين · كل هذه الامور نجمت وفقا للنمط الذي ُولد عليه · ذلك بأنه لم يكن محتاجا الى أن يقتات ـ وهو الذي يقيت من حيث انه إله ـ لكنه مارس جميعها لانه تأنس · كيف لا وهو كامل تام بطبعه وأقنومه · فعلى النمط إذن الذي « صار » عليه ، تربى أيضا · أجل ، له الامور العظيمة بالنسبة الى طبعه ، وله الامور الصغيرة لانه تجرد · له ما للآب لانه مساوٍ له في الالوهة ، وله ما لنا لانه صار مثلنا · له الامور المجيدة لانه رب المجد ، وله الامور الحقيرة لانه تجلى في الجسد · له انه جاع وله انه أكثر الخبز · انه جاع مبينا انه صار مثلنا · وانه أشبع الجياع معلنا أن سلطانه قائم · فلا طبعه تغير حين «صار» ولا قوة سلطانه تضاءلت ·

انه اعتمد من يوحنا في الاردن ، فشهد له الآب انه ابنه الحبيب • انني أتبين الثالوث علـى الاردن ، الآب يصرخ والابن يعتمد والروح يلوّح • وقد اعتمد الابن بصفته انسانا لا شبه انسان• ذلك بأنه بالنسبة الى الروح شبه حمامة ، والى الآب شبه الناسوت • أما بالنسبة الى الابن فحقيقة الناسوت • ان الذي رأيته في العماد ، اياه تبينت في الرحم • والذي عاينته في الرحم (البطن) ، اياه أتبين ممتداً على عود الصليب • أجل ، ان واحداً من الثالوث في الرحم (البطن) ، وواحدا مـن الثالوث في العماد ، وواحداً من الثالوث على عود الصليب •

اننا نؤمن بالابن الواحد والآب الواحـد والروح الواحد • ان الذي حقق التدبير (الخلاصي) من أجلنا وصُلب بين لصين ، ليس ابنا آخر غير الذي يُسجد له في الثالوث • فالذي شهد له الآب عند عماده قائلا : « هذا هو ابني الحبيب » هـو بعينه صرخ على الصليب قائلا : « يا أبتِ في يديك أستودع روحي » • فاذا كان قد دعا الله أباه ، فلا شك في انه ابنه • فالذي امتد على عود الصليب كانسان ، هو بعينه كان ضابطا الكائنات باشارته • اذ لم ينحل بالموت قوام حياة طبعه • فاذا كان وهو محمول

في الرحم (البطن) « كقدوس » ، يؤمَن به انه إله ، فمن الضرورة أيضا أن يُعترف به وهـو محبوس كميت في الهاوية ، انه الحي من الحي ، لكي لا يُظن أن ألوهته قد تغيرت لكونه « صار » . ولو ان حياة طبعه قد انتهت لكونه مات · فالصليب هو الكاروز بموت الله وبعدم مماته في آن واحد · ذلك بأنه حتى الصليب ، كان يؤمَن سماعيا بالله بأنه غير قابل الموت · بيد انه عرف في الصليب بالاختبار في كلا الأمرين · أي انه حين ذاق الموت ظلَّ حيّا أيضا ·

وليس ان الموت تسلق اليـه وأفنى حياته ، بل ان سلطان الموت نفسـه بطل بموته · حقا ان موتـه بعد « صيرورته » لعجب عجاب · ذلك ان الذي احتمل الموت من أجلنا لم يكن مائتا كواحد منا ، لانه من المحال أن يبطل سلطان الموت بمائت · أن يموت من هو قابل الموت ، فهذا أمر واضح لكل أحد · اما أن يُعترف بمن هو غير قابل الموت انه مات في الجسد ، فحدثٌ جرى مرة واحـدة على الصليب · أجل ان عدم ممات الله ، لا يمنعنا من الايمان بموته ، كما ان موته أيضا ، لا يضطرنا الى انكار عـدم مماته · لقد أُمسك الله من الموت ، وبهذا أبطله من كل ذي جسد من الناس ·

انه لم يمت بالروح ، لان الارواح لا تموت · هذا فضـــلا عن أن طبعه غير قابل الموت · و بما أن الجســـد يخضع لسلطان الموت ، فقد جُرِّب به (بالموت) جسديا · ليس ان الذي انحل هو جسد مقترن بالله أو انسان صار له هيكلا ، وان الكلمة الذي سكن فيه قد أقامه كما توهم الهراطقة ، بل ان الذي انحل كانسان ، هـــو عينه أقام ذاته كاله · أقامه أيضا الآب كقول بولس : « الله أبوه الذي أقامه من بين الاموات » · أقامه أيضا الروح القدس كقول (بولس) : « وقد حدد أن يكون ابن الله بالقوة بحسب روح القداسة بالقيامة من بين الاموات » (رو ١ : ٤) · أقام أيضا هو نفسه ذاته كما قال : « لي سلطان عـــلى نفسي أن أبذلها ، ولي سلطان أن آخذها أيضـــا » (يو ١٠ : ١٨) ·

ليس ان اللاهوت انفصل عن الجسد حين صرخ على الصليب قائلا : « يا أبت في يديك أستودع روحي » ، ولا أن انساناً قال للآب « إلهي إلهي لماذا تركتني » · فقد دعاه « أباه » ، لانه مساوٍ له في الطبع · وسماه « إلهه » ، لانه صار انسانا · ان الذي كان معلقا على الصليب حين استودع روحه في يدي أبيه ، قـــد قرّب بقية الارواح

البشرية الى الآب • وهو نفسه نزل في جسده الى الهاوية ، وحقق القيامة لاجساد البشرية جمعاء • فلسنا إذن نضع طبع الكلمة تحت الألم ، ولا نبشر بموت انسان غريب عنه ، لكننا نؤمن بأن من هو منزه عن الموت كاله ، هو نفسه جُرّب به كانسان ، وهو الابن الوحيد ، الواحد من الثالوث كما يبين قوله لتلاميذه : « اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » • فباسم ذاك الذي مات قد اعتمدت • وان الذي اعتمدت باسمه ، اياه أعرف أنه مات من أجلي • وان الذي اعتمدت باسمه وبموته ، أؤمن بأني اياه لبست من المعمودية كقول بولس • أجل ، اني لبست روحيا من الماء ، الروحاني الذي صار جسدانيا • واني أعترف بأن الحي الذي جُرّب بالموت جسديا ، هو نفسه الباعث وواهب الحياة • بحيث انني لا أنقص شيئا من الثالوث كهذيان سابيليوس وفوطينوس ، ولا أقسم أقانيمه كقول أريوس ومقدونيوس ، ولا أضيف اليه أقنوما آخر كرأي ثأودوروس ونسطور ، ولا أقول أن أحد أقانيمه تغير كزعم أبوليناريوس وأوطيخا •

انني أحرم نسطور المنافق ، وتعليمه الذي يميز

طبيعتين وأقنومين في المسيح الواحد ، وينسب العجائب الى الله والآلام الى الانسان ، وينكر جهرا سياسة الكلمة الذي تأنس (الخلاصية) · أحرم الى جانب هذا ، أوطيخا أيضا المبتدع ورأيه ، ذاك الذي ينكر التجسد الحقيقي الذي صار للاله من العذراء ، ويعتبر سر تجسده خيالا · وفيما انني أحرم هذه التعاليم ، أقبل الاسفار القدسية ، وأسلك وفقا لتقليد الآباء الذين تسلمت منهم الايمان الحق الرسولي ، الذي بواسطته استحققت الحياةوالحرية والتبني مع جميع المعتمدين ·

هذه الامور كتبتها باختصار وقدمتها لمسيحيتكم ، بناء على أمركم أيها الملكالتقي ، وذلك لتقريع الهراطقة الذين ينتقدون ايماني بالمسيح ، ولبنيان الذين يرتأون نظيري ، ويسعون بمحبة الله في المنافحة عني ·



الفصل السابع

خلاصة صورة ايمانه

تتلخص صورة ايمان القديس مار فيلوكسينوس المنبجي بالنقاط التالية :

١ ـ ان الاله الكلمة الذي هو تماما كالآب والروح القدس ، تجسد حقا في العذراء ، ومنها صار انسانا دون أن يطرأ عليه تغيير ·

٢ ـ انه اتخذ منها ناسوتا ، لا انسانا سبق تكوينه حلوله فيها فألصقه بأقنومه ·

٣ ـ ان الاله المتجسد هو ابن واحد ، له ميلادان ، أي ان الآب ولده إلها والعذراء ولدته في الجسد ·

٤ ـ ان الذي ولدته العذراء هو الوحيد المتجسد ، كله إله لانه من الآب وكله انسان لانه صار من العذراء ·

٥ ـ العذراء هي والدة الاله ·

٦ ـ لا يجوز أن ينقسم اللاهوت والناسوت اللذان

اتحدا معا بنوع يفوق الوصف ، الى طبيعتين وأقنومين ، وإلا وجب أن يُتخيل الابن الواحد انه ابنان وإلهان أيضا •

٧ ــ ان الكلمة بعد ولادته من العذراء في الجسد ، يجب أن يُعرف في جميع الامور الوضيعة والحقيرة التي تناسب الناسوت • وهكذا لُفّ بالقمط ، رضع اللبن ، اقتبل الختان ، حمل على الركب ، نشأ في القامة وخضع للأبوين ، الامور التي لم يكن محتاجا اليها لانه إله ، ولكنه مارسها لانه تأنس •

٨ ــ له الامور العظيمة بالنسبة الى طبعه وله الامور الصغيرة لانه تجرد • له ما للآب لانه مساوٍ له في الالوهة ، وله ما لنا لانه صار مثلنا •

٩ ــ اعتمد الابن في الاردن بصفته انسانا حقيقيا لا شبه انسان •

١٠ ــ ان الذي اعتمد هو الذي كان في الرحم ثم امتد على عود الصليب وهو واحد من الثالوث سواء أكان في العماد أم في الرحم أم على الصليب •

١١ ــ ان الذي صُلب بين لصين وحقق التدبير الخلاصي من أجلنا ، ليس ابنا آخر غير الذي يسجد له في الثالوث • وان الذي شهد له الآب عند عماده قائلا :

« هذا هو ابني الحبيب » هــو بعينه صرخ على الصليب قائلا : « يا أبتِ في يديك أستودع روحي » ·

١٢ ـ اذا كان وهو محمول في الرحم (البطن) ، يؤمَن به انه إله ، فمن الضرورة أن يُعترف به وهو ميت في الهاوية انه الحي من الحي ·

١٣ ـ ان الصليب هــو الكاروز بموت الله وبعدم مماته في آن واحد ·

١٤ ـ انه أبطل الموت بموته ، ومن المحال أن يبطل سلطان الموت بمائت ·

١٥ ـ ان عــدم ممات الله ، لا يمنعنا من الايمان بموته ،كما ان موته أيضا لا يضطرنا الى إنكار عدم مماته ·

١٦ ـ ان الذي انحل بالموت كانسان ، هو عينه أقام ذاته كاله ، وحقق القيامة لجميع البشر ·

١٧ ـ لا نضع طبع الاله الكلمة تحت الألم ،ولا نقول بموت انسان غريب عنه ، ولكننا نؤمن بأن من هو منزه عن الموت كاله ، هو نفسه جُرِّب به كانسان ، وهو الابن الوحيد ، الواحد من الثالوث الأقدس ·

الفصل الثامن

كشفه النقاب عن وجه المجمع الخلقيدوني

لقد أحس الآباء الارثوذكسيون منذ اللحظات الاولى لالتئام المجمع الخلقيدوني ، بالمساعي الكبيرة التي بذلتها السلطات البيزنطية لاقرار المعتقد النسطوري الذي شجبه المجمع المسكوني الثالث • لذلك لم يالوا جهدا في كشف النقاب عن وجه هذا المجمع ، سواء أفي أثناء التئامه أم بعد ارفضاضه ، مؤكدين ان المعتقد الذي أقره ، هو نفس المعتقد النسطوري في جوهره ، ولئن بان فارق طفيف في ظاهره • وكان مار أخسنويو من جملة أولئك الآباء الفطاحل الذين أظهروا الحقيقة الوضاءة بأجلى مظاهرها ، وذلك في تدبيجه الصفحات الناصعات في تسفيه التعليم النسطوري-الخلقيدوني وطومس لاون الروماني •

كان مار أخسنويو مقتبل الشباب في أثناء التئام المجمع الخلقيدوني • فلا بدع اذا ما رافق ماجرياته خطوة فخطوة ، واطّلع عن كثب على تلصصه واعوجاجه وانعراجه ، وتبين لجوءه الى أساليب التغرير والاغراء

والاكراه والرياء واللف والدوران . فنزل من ثم الى ميـــدان الجهاد ، وفي وطابـــه الوثائق الثابتة والحقائق الناصعة بل السهام الحادة النافذة الى سويداء هذا المجمع الذي فيـــه غـُمط الحق وذابت الحقيقة . ففي معرض الكلام عن البدعة النسطورية يقول[1] : « ان المؤلفات التي أنشئت منها هذه البدعة وقد وضعت قبل نسطور ، هي تفاســير ديودوروس (الطرسوسي) وثاودوروس (المصيصي) . وان التي وضعت في أيامه (قبل عزله) هي ردود ثـــاودوريطس (القورشي) وانـــدراوس (السميساطي) وأوثاريوس (التاوني) عـــلى القديس كيرلس (الاسكندري) . اما التي وضعت بعد عزله ، فهي كتابات فلابيانوس القسطنطيني والاساقفة الـــذين حاكموا أوطيخا ، وطومس لاون » . ويخلص الى القول : « ان المجمـــع الخلقيدوني وطومس لاون ومؤلفات ديودوروس وثاودوروس وثاودوريطس وانـــدراوس (وأوثاريوس) كلها تعزز بدعة نسطور » .

ثم تطرق الى ذكر المجمع المحلـّي الذي عقده فلابيانوس القسطنطيني ســـنة ٤٤٨ لمحاكمة أوطيخا وقال : « ان الـــذين حاكموا أوطيخا في القسطنطينية ، لـــم يعرفوا

(١) راجع رسالته الى رهبان دير سنون (الرها) وهي ٩٦ صفحة . أنفذها من منفاه .

كيف يشجبونه أو يشجبون بدعته ، فردّوا بسببه الى الكنيسة ، التعليم بالطبيعتين الذي كان قد حُرم مع نسطور. والى هذا التعليم بالذات مال لاون (الروماني)، فكتب الى فلابيانوس رسالته التي سُميت طومسا ، لتعزيز القرار الذي اتخذه هو والاساقفة الذين معه في هذا الشأن » .

لقد ذكرنا في الجزء الثاني من مؤلفنا « تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية » ص ١٣٧ ـ ١٥٢ ، ان المجمع الافسسي الثاني الذي التأم في السنة التالية ، عزل فلابيانوس المومأ اليه ، ونسي أو تناسى هذه الرسالة ، الأمر الذي حزّ في نفس لاون ، فتميز غيظا ، وقبل في شركته ثاودوريطس القورشي وهيبا الرهاوي وأوسابيوس أسقف دوريليوم وغيرهم من الاساقفة النساطرة الذين عزلهم هذا المجمع ، وكتب الى القيصر ثاودوسيوس الثاني رسالتين يحتج فيهما على قرار هذا المجمع ، ويتوسل اليه بدموع أن يسمح بعقد مجمع مسكوني في ايطاليا لابطاله[٢] . كما توسل بعدئذ بدموع وعَبَرات الى زوجته أفذوكية وشقيقته الراهبة بلخارية عند زيارتهما رومة ، وهو

---

(٢) تاريخ الانشقاق لجراسيموس مسرة مطران بيروت للروم الارثوذكس ج١ ص ٢٣٦ .

مفترش الارض يئن و يبكي في هيكل الرسولين بطرس و بولس[٣]،والى قيصر الغرب والنطينوس الثالثوزوجته أفذوكسية وأمه ابلاكيديا[٢] أن يكتبوا الى ثاودوسيوس و يقنعوه على إجابة طلبه .ففعلوا • فكان جواب ثأودوسيوس « ان مجمع افسس قد تصرّف بمخافة الله المطلقة وبالايمان القويم . ولم يمسّ بأذى قوانين الآباء كما علمت ذلك بالتأكيد »[٤] • وهكذا ظلّ لاون يتقلب على أحر من الجمر . حتى اذا توفي ثأودوسيوس في ٢٨ تموز سنة ٤٥٠ وخلفته شقيقته الراهبة الآنفة الذكر التي تزوجت من مرقيان قائد الجيش وصديق نسطور . نهض (لاون) يلتمس منهما عقد المجمع المنشود • واذ كانا محازبين له وخصمين لدودين لمار ديوسقوروس الاسكندري[٥] رئيس المجمع الافسسي الثاني . أجابا الى ملتمسه • وقبل عقد المجمع . مهّد لاون لقبول طومسه . فكتب الى بلخارية بوجوب إدخال رفات فلابيانوس المعزول الى القسطنطينية وايداعه مدفن الآباء • فكتبت هي بدورها بذلك الى الاساقفة . آمرة أن يكتبوا اسمه في ذبتيخا الآباء القديسين،

---

(٣) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٨٣ والتاريخ الكنسي لابن العربي مج١ ص ١٦٧ •

(٤) فيه وفي تاريخ الانشقاق ج ١ ص ٢٣٦ •

(٥) التاريخ الكنسي للدكتور جون جيزلر الالماني مج ١ ص ٤٠٨ •

وينظموا فيه قراراً ، لتنفذه هي الى جميع الاساقفة لتوقيعه • فعقد أناطوليوس القسطنطيني جلسة حضرها اكليروسه ورهبانه ووفد لاون الروماني ، اتخذوا فيها القرار الذي أرادته بلخارية ، وكتبوا بها محضرا ضموا اليه طومس لاون ، فأرسلته بلخارية الى سائر البلاد ، الى الاساقفة الذين وقعوه تحت طائلة العزل • وعلى هذا النمط ضمن لاون لنفسه الفوز في المجمع الخلقيدوني الذي عقده مرقيان في أعقاب ذلك(٦) •

وهوذا مار أخسنويو المعاصر لهذه الاحداث ، يحدثنا عنها قائلا : « بعد وفاة الملك ثاودوسيوس ، وإسناد المملكة الى شقيقته بلخارية ، وقّع (رسالة لاون) في جلسة خاصة ، أناطول القسطنطيني خلف فلابيانوس وجميع الاساقفة الذين وجدوا هناك (في القسطنطينية) والاكليروس والرهبان • وبعد انفضاض الجلسة ، أُنفذت (الرسالة) بواسطة بعض الاكليريكيين والحكام ، الى الاساقفة في جميع البلاد ليوقعوها وفقا لما جرى في العاصمة • فوقعها نحو ٤٥٠ أسقفا • وبعد أن ضمنوا تواقيع هؤلاء جميعا ، على انهم مسلّمون بما حدده لاون

---

(٦) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٨٤ ـ ١٨٦ •

وفلابيانوس ، وُجّهت الدعوة الى الاساقفة لحضور المجمع الذي التأم (سنة ٤٥١) أولا في نيقية ثم نقل الى خلقيدون ، وأقر دستور الايمان الذي سبق فحدده لاون وفلابيانوس بصدد الطبيعتين » .

أما في ما يختص بصلة نسطور بهذا المجمع ، فقد قلنا في تاريخ الكنيسة استنادا الى المؤرخين الثقات ، ان المجمع اذ كان يُعقد حقا ليؤيد تعليم نسطور ، لذلك استدعاه مرقيان من آووسا بواسطة حاكم اسمه يوحنا ، لحضوره . واذ كان يُغذ السير الى المجمع ظافرا ، أخذ يشمت بالسيدة العذراء بأعلى صوته قائلا : أفتُدعين بعد يا مريم « والدة الاله » ؟ فاذا بالنقمة الالهية تباغته فيسقط عن مركوبه ويُقطع لسانه ويدود فمه ويموت في الطريق شر ميتة . وقد نقل الحاكم يوحنا خبر موته الشنيع الى البابا ديوسقوروس الاسكندري ويوبيناليوس الاورشليمي حين حمل اليهما الدعوة لحضور المجمع . فلما بلغ الخبر مرقيان اغتم جدا[٧] .

وهذا الامر بالذات ، يوضحه لنا مار أخسنويو قائلا : « لقد جرت هذه الامور في أواخر حياة نسطور .

---

(٧) فيه ص ١٨٦ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف ج ٢ ص ١٥٤ .

قيل أن كل شيء أرسل اليه وهو في منفاه ، مع قرار فلابيانوس ورسالة لاون · ولولا أن عجّل قضاء الرب فرفعه قبل التئام المجمع الخلقيدوني الذي دعي اليه هو أيضا مع الاساقفة الآخرين ، إذن لحضره · وهذه الامور لم أسمعها من مصدر بسيط ، بل تأكدت من صحتها من نفس الشخص الذي أُوفد ليدعوه الى المجمع » ·

ويستطرد : « ان هذا الامر يتضح مما كتبه نسطور نفسه الى مشايعيه في القسطنطينية ، منذهلا مما كتبه فلابيانوس ولاون ، ومثنيا عليه ، ومؤكدا انه بالحقيقة تعليمه بالذات ، وان لاون وفلابيانوس واكليروس القسطنطينية يومذاك ، كلهم يؤيدونه » · ولكي يدعم مار أخسنويو قوله هذا بالبرهان الدامغ ، اقتبس من تلك الرسالة العبارات التالية :

« لقد علمت الامور التي جرت بواسطة الورع فلابيانوس أسقف القسطنطينية ضد أوطيخا والذين ارتأوا مثله قبله ، اذ تواقح أن يقول حينا ـ وهو عدو الايمان الحق الدائم ـ ان اللاهوت تغير ، وان الاله الكلمة صار جسدا مثلنا ، وانه وُلد وتألم · ثم الامور التي جرت بواسطة المؤمن لاون رئيس الكهنة . الذي

ناضل من أجل الايمان الحق ، وقاوم المجمع المزعوم (يعني الافسسي الثاني) . وحمدت الله باجتهاد كبير ، وما زلت أحمده كل الايام . واعلموا حقا أنتم أيضا المعلّمون من الله ، ان هذا هو ابني وتعليمي . أي ان ما حدده الرجلان الطاهران فلابيانوس ولاون الآنفا الذكر ، هو تعليم الايمان الحق . وهكذا فيما ان الجميع ولا سيما الاكليروس متمسكون بتعليمي ، فما لي أنا وحدي أُدان وأُحرم وأُنبذ كمبتدع ، نتيجة الحسد » ؟

وقد علّق عليها مار أخسنويو قائلا : «انه (نسطور) يحثهم بهذه الرسالة على تنوير الغير بهذه الامور ، ليفهم الجميع أن تعاليم المجمع الخلقيدوني وفلابيانوس ولاون ، هي تعاليمه بالذات . وانها عُرضت عليه أولا ورتبت بحسب رأيه . وان المجمع المزمع أن يلتئم (في خلقيدون) سيثبتها . أجل ، لقد امتدح نسطور ما أتاه فلابيانوس في محاكمته أوطيخا . وأكد أن ذلك التعليم القائل بالطبيعتين انما هو تعليمه بالذات . ذلك ان فلابيانوس بحجة أوطيخا ، عمل على نبذ تعليم الطوباوي كيرلس أيضا ، اذ اتُهم كيرلس من خلال تعليم أوطيخا ، بواسطة نسطور ومن لف لفه ، بأنه متمسك بتعاليم ماني وأبوليناريوس

وأوطيخا · وهذا ما عناه نسطور بقوله : « لقد علمت الامور التي جرت بواسطة فلابيانوس ··· ضد أوطيخا والذين ارتأوا مثله قبله » ، غامزا بالطوباوي كيرلس الذي كانوا جميعهم يكيلون له الشتائم والسباب ، وفي شخصه لجميع الآبـاء الملافنة الارثوذكسيين الذين عزز (كيرلس) ملفنته بالبراهين التي اقتبسها من مصنفاتهم ، كما صرح نسطور ذاته بعبارات أخرى من هذه الرسالة قائلا : « لا تقبلوا التعليم عن الايمان ، سواء أكان الذي وضعه كيرلس أم الذي تضمنته مؤلفات الآخرين التي اقتبس منها البراهين »·وأثبت أسماءهم واحدا فواحدا ثم نبذهم مع تعاليمهم ، معترفا فقط بثاودوروس ولاون وفلابيانوس وبالذين كان عـلى يقين من أنهم يسلـّمون برأيهم · أما الآباء الذين نبذهم فهم : « غريغوريوس العجائبي أسقف قيصرية الجديدة ، يوليوس روميـة ، باسيليوس قيصرية (قبدوقية) ، اثناسيوس الاسكندرية ، قلسطينوس رومية ، بروقلس القسطنطينية وجميع الذين يسلـّمون برأيهم · وبعد أن استعرض أقوال كل منهم ، وهي التي شجبه المجمـع الافسسي (الاول) بالاستناد اليها ، قال للذين كتب اليهم هذه الامور : « لا تقبلوهم ، فان أقوالهم مقنعة ولكنها ليست قويمة · أي ان هـذه

التعاليم المرذولة والمفسدة للنفوس ، هي وليـدة بدع والنطينوس وأبوليناريوس وأريوس وماني ، وتستوجب الحرم . أما أنتم فاعتقدوا كالقديسَين شريكينا المعلّمَين فلابيانوس ولاون ، وصلّوا ليلتئم مجمع مسكوني كي تثبّت فيه تعاليمي أي تعاليم الارثوذكسية جمعاء . وانّي لواثق بأنه اذا التأم المجمع ، سيتم هذا أيضا بعون الله » .
وهو يشير الى المجمع الخلقيدوني الذي التأم فور موته ، وأيد تعاليمه بالفعل » .

الفصل التاسع

تعليقه على رسالة لاون الروماني الى القيصر لاون الأول

في سنة ٤٥٧ هلك القيصر مرقيان فخلفه لاون الاول (٤٥٧ ـ ٤٧٤) • ولما تبين ما أثاره المجمع الخلقيدوني من الفتن والاضطهادات التي شملت معظم البلاد ، اضطرب وفكر في لغوه • فلما استمزج رأي الاساقفة في ذلك ، تناول من لاون الروماني رسالتين دفاعا عن طومسه[1] • فتناول مار أخسنويو احداهما نقدا وتمحيصا ، مقارنا ما بين نسطور ولاون قائـلا : « قال لاون الروماني في رسالته الى الملك لاون : « ان الرب هو غير الاله الكلمة ، وهو الانسان الذي أسعفه الكلمة فتساوى مع الآب » • ان هذا الأمر لم يجرؤ حتى نسطور على التجديف بمثله • ذلك بأن نسطور عند ذكره « الرب » يقصد به الطبيعتين أي الانسان والمساوي في الطبع • أما لاون فلم يقل به ، لكنه كتب عن هذا الانسان الذي سماه « الرب » قائلا : « انه

(١) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٢١٥ و ٢١٦ •

أخذ بالنعمة عونا من المساوي في الطبع » • وعلى هذا النمط اعترف بمساواته للآب قائلا : « الانسان الذي سمي ربّا هو مساوٍ للآب » ، الأمر الذي يتنافى والكتاب• اذ كيف يتساوى المخلوق مع الخالق ؟ وقد وافقه المجمع الخلقيدوني في هذا ، بوضعه « الرب » بعد الاقانيم الثلاثة[٢] • فمن كان انسانا ، لا يسوغ أن يقال عنه انه تجسد وتأنس » •

ومما جاء أيضا في هذه الرسالة قوله : « اننا نقول عن العذراء وفقا لحقيقة كل من الطبيعتين . انها أَمة وأُم الرب » • انه ميز الطبيعتين أكثر من نسطور والمجمع الخلقيدوني ، وقال ان العذراء هي أَمة احدى الطبيعتين وأُم الاخرى • أي انها أَمة الاله الكلمة وأُم الانسان الذي سماه « ربّا » • وكذلك اعتبر المجمع الخلقيدوني

---

(٢) قال مار أخسنويو في رسالته هذه الى رهبان دير سينون ، ان المجمع الخلقيدوني قال في أول دستوره « الآب والابن والروح والرب الذي تجسد » ، موضحا أن المسيح ليس من الثالوث ، وان الرب هو خارج عنه وله التجسد • وهكذا بعد أن أخرجوه عن نطاق الثالوث ، دعوه أيضا « ربا » • وأخبرنا مار أخسنويو نفسه ان العبارة المشار اليها كتبت كما بلغه على جدار الكنيسة حيث نقشت صور الآباء ورسمت أقوال كل منهم •

أيضا الانسان « ربّا » ، وجعله خارج نطاق الثالوث ، وقال مع نسطور ولاون : ان العذراء هي أ'م هذا وأَمة ابن الله[٣] ٠

« ومن أقـوال لاون « لقد ولدت العذراء إلها في الناسوت »٠ وهو نفس قول نسطور «الاله في الانسان »٠ فاذا كانت قـد ولدت واحـدا في آخر ، وجب الاعتقاد ضرورة ، بأن أحدهما 'ولد حقا أما الآخر فاسما ٠ أي انها ولدت بالطبع الانسان الذي صارت له بداية منها ٠ أما الكلمة الذي سكن في هـذا ، فقد ولدته إسما فقط ومجازا ٠ ومن المحال أن تدعى « والدة الاله » من كان مولودها انسانا بحتا يسكن فيـه الاله ، لكنها « والـدة الانسان » الذي سكن فيه الاله ، كما اعتقد نسطور » ٠

---

(٣) والشيء بالشيء يُذكر ٠ فقد حرف بعض النساطرة أ'نشودة مار افرام التي مطلعها ܒܪ ܚܢܢܐ ܕܡܫܝܚܐ ، ببيت بهذا المعنى تماما ، جاء فيه قول العذراء لمولودها وهي تناغيه : « انني أَمة لاهوتك وأ'مّ ناسوتك » !!!

الفصل العاشر

ذكره في رسالة مار شمعون الارشمي

لقد حدثنا مـــار شمعون الارشمي المجادل الفارسي الشهير ، في رسالته السريانية الضافية التي كتبها سنة ٥١١ في انتشار النسطرة في بلاد الفرس ، بأن هذه البلاد بدأت تفسد بالنسطرة بواسطة رسالة هيبا الرهاوي الى ماري الاردشيري (فارس) ، وتفاسير مقالات وتراجيم معلمـَيه · وذكر بين طلاب مدرسة الرها الذين سلـّموا برأي هيبا ، أسماء أحد عشر طالبا من بلاد الفرس · وقال انهم بعد طردهم من الرها ، عادوا الى بلادهم حيث تسقـّف بعضهم · منهـم أقاق الآرامي الذي تسقف في بـــلاد الآراميين ، وبرصوم عبد مارا القردوي الذي تسقف على نصيبين ، و « معنا » الاردشيري الذي تسقف على أردشير (فارس) ، ونرساي الذي عـُيـّن معلما في نصيبين · كما انه ذكر أسماء خمسة طلاب آخرين في جملة الذين قاوموا رأي

هيبا ، منهم مار أخسنويو (صاحب الترجمة) وأخوه أدى[1] .

ومع أن قول الارشمي يبيّن بوضوح ان مار أخسنويو وأخاه كانا في مدرسة الرها في عهد هيبا (٤٥٧+) فقد أحصاهما السيد أدى شير[2] بين تلامذة الرها الذين انقادوا الى القديس رابولا مطران الرهـا . في حين أن رابولا توفي سنة ٤٣٥ يوم كان مار أخسنويو وأخوه لم يزالا في بلدهما باجرمي . هـذا وقد مر معنا أن وجودهما في مدرسة الرها انما كان ما بين سنتي ٤٥١ ـ ٤٥٧ .

أما رسالة هيبا المشار اليها ، فقد كتبها بالسريانية سنة ٤٣٢ يوم كان قسا ورئيسا لمدرسة الرها اللاهوتية ، وأنفذها الى زميله في هذه المدرسة ماري السرياني مطران أردشير (فارس) . وفيها تجنّى على العقيدة الارثوذكسية ونافح عن البدعة النسطوريـة ، متطاولا على القديس كيرلس الاسكندري ورابولا الرهاوي ، قائلا عن الاول : ان فصوله الاثني عشر « مشحونة بالنفاق » ومسمّيا الثاني « الطاغيـة » ، في حين انـه سمى ثاودوروس

---

(١) المكتبة الشرقية للسمعانى ١ : ٣٥٤ .

(٢) تاريخ كلدو واثور ج ٢ ص ١٣٥ .

المصيصي « المغبوط وكاروز الحق ومعلم الكنيسة ذا الايمان الحق »· وأما « تفاسير مقالات وتراجيم معلـَميه » فيعني بها الارشمي مصنفات ديودوروس الطرسوسي ، وثأودوروس المصيصي المشار اليه الذي قال عنه هيبا في هذه الرسالة : « انه ترك لأبناء الكنيسة سلاحا روحيا في مصنفاته ، وانه لم يكتفِ بهديه مدينته من الضلال الى الحق ، لكنه علـّم بمؤلفاته الكنائس البعيدة أيضا ، وان كتبه ليست غريبة عن الايمان الحق »[٣] ·

لقد ذكر التاريخ الكنسي ، ان برصوم و « معنا » ونرساي المشار اليهم ، كانوا سنة ٤٨٠ ينفثون في الكنيسة السريانية الفارسية ، سموم البدعة النسطورية ، وينادون بوجوب اتخاذ الاساقفة سراري ، حتى ولـّدوا الشكوك بين المؤمنين · بل ان برصوم نفسه اتخذ سرية قائلا : «ان التزوج خير من التحرق» · فلما انتهى أمرهم الى أساقفة سورية ، كتبوا الى مار بابويه جاثليق المشرق يبكتونه على إهماله · فبعث اليهم صحبة راهبين برسالة سريانية قال فيها : « بما اننا خاضعون لدولة أثيمة[٤] ،

(٣) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف ج ٢ ص ٦٣ ـ ٦٥ ·

(٤) بالسريانية ܪܫܝܥܬܐ (راشيعتو) ·

لا نستطيع أن نعاقب المذنبين . ولذلك تعبث بنا و بقوانينا
يد الحدثان » · فلما وصل الراهبان الى نصيبين استدرجهما
برصوم وأخذ منهما الرسالة وقرأها ، ثم حملها الى العاهل
الفارسي فيروز ، واشـيا ببابويه بأنه يتجسس بلاده
لحساب الرومان · فاستدعى فيروز شخصا سريانيا ليقرأها
له ، فحاول القارىء تبديل لفظة « راشيعتو » ب ܪܝܫܢܘܬܐ
(ريشونيثو) رئيسية ، فلم يُفلح · فتميز فيروز غيظا
وصلب بابويه ، الامر الذي شجع برصوم على اقناع فيروز
في إخضـاع جميع المسيحيين الذين في مملكتـه لمذهب
نسطور ، زاعما انه كان صديقا للفرس فأبغضه لذلك
اليونان وحطوه من رتبته · وقد موّه عليه انه اذا بُترت
علائقهم من المسيحيين الذين في مملكة الرومان ، استقام
أمرهم معه · فمده بمفرزة من الجيش ، طاف بها جميع
البـلاد الفارسـية يبطش بالسريان الـذين رفضوا
دعوته النسطورية ، ولا سيما في ولاية باجرمي وكورة
نينوى ، حتى بلغ عـدد ضحاياه سـبعة آلاف وسبعمئة
(أو ثمانمئة) نفس · ونتيجة لتلك الاعمال البربرية ،
تغلغلت النسطرة في الكنيسة السريانية الفارسية · ولما
سنحت الفرصة للاساقفة الهاربين من وجـه برصوم ،

اجتمعوا في المدائن ورسموا أقاق الآرامي الآنف الذكر جاثليقا ، وكان من أقرباء بابويه . فأرسل برصوم ومعنا يتوعدانه بالقتل مثل سلفه اذا لا ينضم الى صفهما . واذ كان أقاق زميلهما في مدرسة الرها كما أسلفنا ، مال اليهما[٥] .

لقد كتب القديس الارشمي رسالته الآنفة الذكر ، بعد أن كانت العاصفة النسطورية الهوجاء قد هدأت ، والكنيسة المتألمة قد انتفضت وأخذت تضمّد جراحاتها الثخينة وتلم شعث بنيها . ولكنه تحاشى ذكر هذه الامور المؤلمة لاقترانها بالسياسة . لا سيما وقد كان ابن فيروز متربعا على تخت المملكة يوم ذاك . كيف لا وقد كان النساطرة لايزالون يشون بالارثوذكسيين بأنهم جواسيس للمملكة الرومانية[٦] .

---

(٥) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف ج ٢ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ٣ ص ٦٣ ـ ٧٣ .

(٦) راجع سيرته في كتاب سير النساك الشرقيين تأليف مار يوحنا الافسسي مج ١ ص ١٣٧ ـ ١٥٨ .

الفصل الحادي عشر

فضحه القوانين النسطورية المتهتكة

عاد الارشمي يحدثنا في رسالته المشار اليها ، عن سلسلة اجتماعات عقدها النساطرة في بلاد الفرس بدءا من اجتماع بيث لافاط عاصمة الاهواز ، في السنة السابعة والعشرين للامبراطور فيروز وهي السنة ٤٨٤ م. وصرّح بأنهم سنّوا فيها جملة قوانين تتلاءم وروح مذهبهم الجديد . وقال : « انهم فصلوا أنفسهم عن الايمان القويم الذي تسلّمه الآباء القديسون من الرسل القديسين ، والذي ثبتته مجامع نيقية والقسطنطينية وافسس المسكونية ، وأيده أربعمئة وخمسة وتسعون أسقفا من الاسكندرية العظمى وانطاكية سورية وقبدوقية وغلاطية مع القيصر زينون في كتاب الهنوطيقون ... وما زالت متمسكة به جميع كنائس الارثوذكسيين المقدسة في كل مكان . وبه كان جميع المسيحيين في بلاد الفرس متمسكين حتى السنة السابعة والعشرين لفيروز (اي ٤٨٤ م) التي

فيها تعدّى أساقفتهم حرم جميع الاساقفة والملوك المشار اليهم ، وصاغوا لهم معتقداً آخر يُدخل رابوعا على الثالوث ، ويُعلن الاعتراف « بالآب والابن والروح القديس وبالمسيح في طبيعتين » ولذلك انفصلنا نحن عن شركة النساطرة منذ السنة السابعة والعشرين لفيروز الملك حتى يومنا هذا ، وحرمناهم وما زلنا نحرمهم ونحرم معتقدهم وقوانينهم وكل ما جرى بواسطة أقاق وبرصوم ونرساي ورفاقه الهراطقة[1] .

ومن الغريب العجيب بعد هذا أن يقول السيد أدى شير : « ان هؤلاء الاساقفة تلامذة مدرسة أورهاي لم يجاهروا بالنسطرة في بلادهم إلا لما ألجأتهم الاحوال أن يحاربوا محاربة شديدة الهرطقة المنوفيسيتية التي دخلت في كنائسهم » . وأن يقول عن برصوم : « ولولاه لتسلطت المنوفيسيتية على الكنائس الكلدانية »[2] .

قلنا : اذا كان برصوم نسطوريا وقد طرد من الرها بسبب نسطرته كما مر معنا . واذا كان هذا قد قاوم الجاثليق بابويه وسعى ضده لدى فيروز كما أكد أدى شير

(١) المكتبة الشرقية للسمعاني ١ : ٣٥٤ .

(٢) تاريخ كلدو واثور ج٢ ص ١٣٩ و ١٥١ .

نفسه[٣] ، فالعقيدة إذن السائدة يوم ذاك في الكنيسة السريانية الفارسية ، والتي كان بابويه نفسه متمسكا بها ، كانت غير النسطورية . ومن المؤكد انه لم يكن في المسيحية آنذاك غير عقيدتين وهما عقيدتا الطبيعة الواحدة والطبيعتين . فاذا كانت عقيدة الطبيعتين هي العقيدة النسطورية ـ الخلقيدونية التي كان عليها برصوم المومأ اليه ، فعقيدة الطبيعة الواحدة إذن كانت عقيدة بابويه والكنيسة السريانية الفارسية برمتها كما أقر أدى شير بالذات[٤] . وهذا ما أكده القديس الارشمي في رسالته قائلا : « وبه كان جميع المسيحيين في بلاد الفرس متمسكين حتى السنة السابعة والعشرين لفيروز » (أي سنة ٤٨٤ م) كما ورد أعلاه . ورسالة الارشمي هذه أقدم وأصدق مستند للتطورات المذكورة التي عاصرها الارشمي وعاينها بأُم عينه وبلاها عن كثب .

أما القوانين التي سنها برصوم ورفاقه . في اجتماعاتهم المذكورة ، سيرا مع الهوى وتمشيا مع مذهبهم الجديد ، فهي قوانين متهتكة أباحت زواج الرهبان والاساقفة

---

(٣) فيه ص ١٤٤ .

(٤) فيه ص ١٤٣ .

والجثالقةوالقسوس كلما ترمّلوا خلافا للتقاليد الرسولية السائدة في الكنيسة[٥] . وفي سنة ٤٨٥ عقد البطريرك القديس بطرس الثاني الانطاكي باشارة زينون ، مجمعا في انطاكية ، حضره أساقفة بلاد العرب ولبنان الفينيقي وسورية الثانية وبلاد الفرات وقيليقية[٦] ، كما حضره الملفان مار أخسنويو (صاحب الترجمة) ، اذ كان قد صحب مار بطرس الثاني المشار اليه الى انطاكية كما مر معنا . فانبرى أخسنويو يتكلم في المجمع عن كيفية دخول النسطرة الى بلاد الفرس ، فاضحا القوانين المتهتكة التي سنَّها برصوم ورفاقه[٧] .

وفي أعقاب المجمع كتب أخسنويو مجلّدين ضخمين في حق هذه القوانين[٨] . وبعد مدة أرسل ملك الفرس الجاثليق أقاق في سفارة الى ملك الروم ، فاجتمع اليه الاساقفة الارثوذكسيون وشافهوه بما بلغهم من أمر برصوم بأنه اغتال الجاثليق سلفه وسن قوانين فاسدة في الفجور ،

---

(٥) فيه وفي التاريخ الكنسى لابن العبري مج٣ ص ٦٩ .

(٦) تاريخ زكريا الفصيح مج ١ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج١ ص ٢٤٦ ـ ٢٤٨ .

(٧) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٤٠ .

(٨) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ٣ ص ٧١ .

ولم يردعه . وأكدوا عليـــه أن يحرمه عند عودته وإلا حرموه معه . فوعدهم خيرا . ولما سألوه عن بدعة نسطور تبرأ منها ومن صاحبها قائلا : ان أخسنويو عدّوهم هو الذي وصمهم بهذا الامر [٩] .

ومما زاد في الطين بلة ، لجوء الكثيرين من أساتذة مدرسة الرها وتلامذتها الى بلاد الفرس سنة **٤٨٩** حين تقوضت هذه المدرسة بأمر زينون وبهمة الطوباوي مار قورا أسقف الرها ، لتغلغل التعليم النسطوري فيها[١٠] ، فقبلهم العاهل الفارسي كلاجئين سياسيين[١١] .

---

(٩) فيه ص ٧٥ .

(١٠) المكتبة الشرقية للسمعاني ١ : ٣٥٤ .

(١١) دائرة المعارف البريطانية طبعة ١١ مج ١٩ ص ٤٠٧ .

الفصل الثاني عشر

ذكره في روايات النساطرة

قال السيد أدي شير : « والظاهر ان أغلب المنوفيستيين الذين أتوا بلاد فارس كانوا رهبانا ٠٠٠ وكان رئيسهم أخسنايا ٠٠٠ فانتهز الفرصة من مساعدة زينون ورجع الى هـذه البلاد ليحمل بني وطنه على اعتناق مذهبه ٠ ولابد ان أخاه أدى و بابا البيثلاباطي و برحذبشبا القردوي و بنيامين الآرامي الذين انحازوا مثله الى بدعة القائلين بالطبيعة الواحدة (كذا) . رافقوه هم أيضا الى هـذه البلاد ٠٠٠ وأساقفة الكلدان ، رغما عن الشقاق الموجود بينهم و بين بابوي الجاثليق ، توفّقوا أخيرا وطردوا من هذه البلاد أخسنايا ورفاقه (تلاميذه) الذين أتوا من أورهاي ٠٠٠ وان أخسنايا انتقاما مما أصابه من الخزي والعار في وطنه ، لما رجع الى أورهاي بذل جهده بقفل مدرسة أورهاي وتوفق ٠ فان زينون أمر بهدمها سنة ٤٨٩ »[١] ٠

---

(١) تاريخ كلدو واثور ج ٢ ص ١٤١ و ١٥٥ ٠

قلنا : ان التواريخ السريانية كلها صفر من هـذا الادعاء الباطل ، بل ان هنالك ما ينقضه من الاساس كما ينجلي من الامور التالية :

أولا ـ ان مار أخسنويو لم يكن راهبا في أثناء وجوده في مدرسة الرها . وقد مر معنا انه غادر هذه المدرسة منذ سنة ٤٥٧ الى مدرسة دير تلعدا الكبير في كورة انطاكية حيث ترهب ورسم كاهنا . ولـم يعد الى الرها الا بعد تقويض مدرستها سنة ٤٨٩ بمدة ، وكان يوم ذاك مطرانا على منبج . فكيف إذن يشخص من الرها الى بلاد فارس راهبـا ؟

ثانيا ـ اذا كان الجاثليق بابويه قد صُلب سنة ٤٨٠ (لا ٤٨٤) كمـا وَهَم ، وان زينون أخـذ بمساعدة الارثوذكسيين منذ سنة ٤٨٢ ، واذا كان مار أخسنويو في انطاكية سنة ٤٨٤ ينافح عن هنوطيقون زينون، فطرده البطريرك قلانديون الدخيل ، ثم عاد اليها سنة ٤٨٥ صحبة البطريرك بطرس الثاني كما مر معنا ، فكيف إذن يكون شخوصه الى بلاد فارس في عهد الجاثليق بابويه وبمساعدة زينون ؟

ثالثاً ـ اذا كان بنو وطن مار أخسنويو على مذهبه ، كمـا كان الجاثليق بابويه نفسه كمـا أسلفنا ، فكيف

إذن يشخص اليهم أخسنويو ليحملهم على اعتناقه ؟

رابعا — لو شخص أخسنويو الى بلاد فارس ، لذكر ذلك القديس الارشمي كما ذكر مثلا شخوص رفيقيه مار برحذبشبا القردوي ومار بنيامين الآرامي[٢] .

خامسا — اذا كان مار أخسنويو لم يشخص الى بلاد فارس ، فكيف إذن يُطرد منها ؟

سادساً — لقد أكد الارشمي ان الرهبان الذين شخصوا الى بلاد فارس ، لم يغادروها . فمار برحذبشبا القردوي مثلا ، صار رئيس دير عين قني ܚܡ ܥܝܢ ، ومار بنيامين الآرامي صار رئيس دير في قرية دير الاسكول في ولاية عومرين[٢] ، أي بلاد فارس بالذات .

سابعا — ومما يدل على زيف رواية أدى شير القائلة : « ان أخسنايا انتقاما مما أصابه من الخزي والعار في وطنه ، لما رجع الى أورهاي بذل جهده بقفل مدرسة أورهاي وتوفق . فان زينون أمر بهدمها سنة ٤٨٩ » ، ان مار أخسنويو كان مطرانا على أبرشية منبج منذ سنة ٤٨٥ . أما مدرسة الرها فقد تقوضت بهمة مار قورا مطران الرها كما أكّد الارشمي المعاصر لهذا الحادث .

---

(٢) المكتبة الشرقية للسمعاني ١ : ٣٥٤ .

الفصل الثالث عشر

تحوسه لذبتيخا الكنيسة

دخل مار أخسنويو الى انطاكية مرة ثانية سنة ٤٨٥ بعد طرد البطريرك قلانديون الدخيل ، وكله غيرة وقادة على الايمان القويم ، لا يطيق أن يراه يُشان بأية شائبة. وكم ساءه أن يرى أسماء بعض البطاركة النساطرة والخلقيدونيين تحتل مكان الصدارة في ذبتيخا كنيستها .

و « الذبتيخا » لفظة يونانية تعني اللوحين ، اشارة الى الحجرين اللذين نقش عليهما كليم الله أسماء أسباط اسرائيل الاثنيعشر ليحملها رئيس الكهنة أمام الرب على كتفه ذاكرا[1] . وتسمى الذبتيخا بالسريانية ܣܦܪ ܚܝܐ أي سفر الحياة أو الاحياء . وكانت ذبتيخا الكنيسة الانطاكية تتضمن يومئذ أسماء البطاركة الانطاكيين الى جانب أسماء الأنبياء والرسل والمبشرين وملافنة البيعة ومشاهير رؤساء الكهنة في العالم ، والقديسين والشهداء

---

(١) خر ٢٨ : ٩ ـ ١٢ .

والأبيلين ، والنساء الصالحات في العهد القديم والشهيدات والبتولات والمتنسكات . وفضلاء القسوس والشمامسة والرهبان والرواهب ، وأصحاب المبرات والوقوف • أما ذبتيخا الابرشيات الانطاكيـة ، فقد تضمنت فضلا عن هذا أسماء مطارنتها أيضـا • وكانت الذبتيخا تتلى ثم توضع على المذابح المقدسة السنة كلها[٢] •

أما اليوم فتطلق لفظة الذبتيخا في الكنيسة السريانية على التذكارات « الشملايات » التي يتلوهـا الشماس في أثناء القداس والتي تخص الثلاثـة الاولى منها الآبـاء البطاركـة والاساقفة والمؤمنين والملوك الارثوذكسيين الاحياء ، والثلاثة الباقية العذراء والدة الاله والانبياء والرسل والشهداء والقديسين والآباء البطاركة والاساقفة الملافنة والمؤمنين الراقدين •

وأمـا البطاركة النساطرة والخلقيدونيون المشـار اليهم ، فهـم يوحنا الاول (٤٢٨ ـ ٤٤٢) ودومنوس الثاني (٤٤٢ ـ ٤٤٩)[٣] ، وباسيل (٤٥٦ ـ ٤٥٨) ،

---

(٢) راجع عن سفر الحياة كتاب اللؤلؤ المنثور ص ٩٤ و ٩٥ •

(٣) لقد خلف دومنوس الثاني مكسيموس (٤٤٩ ـ ٤٥٥ ـ ٤٦٠) الذي حضر المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ • ذكر بعض المؤرخين انه تنازل عن الكرسي الانطاكي سنة ٤٥٥ • بيد أن الدكتور أسد رستم يقول : انه خلع خلعا (كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج١ ص ٣٤٨ و ٤٤٤) وكلا الامرين يشيران الى أن الرجل كان أرثوذكسيا •

أقاق (٤٥٨ ـ ٤٥٩) ، مرطور (٤٥٩ ـ ٤٦٨) ، يوليان (٤٧١ ـ ٤٧٥) ، اسطيفان (٤٧٨ ـ ٤٨١) ، اسطيفان آخر (٤٨١ـ٤٨٢) وقلانديون (٤٨٢ـ٤٨٥) .

واذ كان تحمس مار أخسنويو لذبتيخا هذه الكنيسة شديدا ، عمل ما في وسعه على خلع هذه الاسماء منها . واليك ما كتبه هو نفسه بهذا الصدد ، في رسالة أنفذها نحو سنة ٥١٩ من منفاه في فيليبو بولي ـ تراقيا الى سائر الرهبان الارثوذكسيين في الشرق[٤] .

« لقد كان اسم يوحنا يُقرأ في بيعة انطاكية ، وكذلك أسماء خلفائه أيضا ، حتى دخلها مرة ثانية الطوباوي رئيس الاساقفة بطرس ، الذي منحني الرسامة الاسقفية . فلما دخلت معه الى انطاكية ، وكنت أتقد غيرة كما أنتم الآن جميعا ، ولم أكن أعرف حتى التفكير في الادارة التي من شأنها أن تسوّي الامور ، ألححت عليه حتى خلع من الذبتيخا أسماء جميعهم ما عدا اسم يوليان المسمى قوسطينو . ولما اقتبلت الرسامة وتوجهت الى منبج ، ووجدت هذه الاسماء مدونة بعد اسم يوحنا هناك أيضا ، خلعتها من ذبتيخا تلك الكنيسة أيضا مع أسماء ديودوروس (الطرسوسي)

---

(٤) موجودة في لندن في مخطوطة سريانية تحت رقم ١٤٥٣٣ .

وثأودوروس (المصيصي) وثاودوريط (القورشـي) واندراوس (السميساطي) وهيبا (الرهاوي) واسكندر المنبجي الذي كان قد عُزل من أبرشيته لرفضه أن يحرم مع الاساقفة الآخرين ، نسطور ، وأبطلت أيضا التذكار الذي اعتادوا أن يعملوه له • وكذلك خلعت اسم ثأودوريط من كنيسة قورش مع التذكار الذي درجوا على إقامته له هنـاك •

واذا علمتَ انه في هـذا الوقت بالذات[٥] أوجب القديس بطرس الثاني الآنف الذكر تلاوة قانون الايمان النيقاوي في القداس الالهي في كنائس انطاكية ، ليمكّن دفاعه ضد المجمع الخلقيدوني وتعليم أوطيخا معا[٦] ، أيقنت أن لمار أخسنويو ضلعا في ذلك •

---

(٥) لقد أوردنا هذا الخبر في مؤلفنا تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج٢ ص ٢٦٢ بعد سنة ٤٧٦ مباشرة ، وحقه أن يكون في سنة ٤٨٥ فاقتضى التنويه •

(٦) دائرة المعارف الدينية Religion and Ethics سنه ١٩١٥ مج ٨ ص ٨١٣ •

الفصل الرابع عشر

رسامته مطرانا على منبج

كانت منبج كرسيا مطرانيا يخضع له أحد عشر أسقفا ، بل من أهم الابرشيات الانطاكية يوم ذاك ، وكانت معاول النساطرة والخلقيدونية قد أعملت على تقويضها منذ عهد مطرانها اسكندر الآنف الذكر حتى عهد مطرانها قورا • وقد أخبرنا صاحب الترجمة في رسالة أنفذها الى رهبان دير سينون نحو سنة ٥٢٢ ، ان اسكندر المشار اليه حضر المجمع الافسسي الذي حرم نسطور سنة ٤٣١ ، وكان من جملة الاساقفة الستة والثلاثين الذين قاوموا في هذا المجمع حرم نسطور وبدعته ، ولكنه بذ رفاقه تحمسا لنسطور حتى أقلق راحة المجمع • وبالرغم من موافقة جميع أساقفة الشرق أخيرا المجمع ، وحرمهم نسطور وتعليمه ، وإعترافهم بوجوب إطلاق عبارة «والدة الاله» على العذراء القديسة ، فقد ظل هو مكابرا متمسكا برأيه الفائل ، بل فضّل أن يتجرد من أسقفيته على أن يحرم نسطور المبتدع ويطلق

عبارة « والدة الاله » على العذراء ، بله سذاجته بالكلام وعدم تعمقه في العلم • والأنكى انه تواقح فاشترك مع ثأودوريطس واندراوس المار ذكرهما في الرد على فصول القديس كيرلس الاثنيعشر ، متفوقا بتجديفه على نسطور نفسه • أما قورا فكان كاتبا لاحد أعيان الرها ، ومن مطالعته لخطب نسطور ، تكونت لديه رغبة في الرهبنة ، فتتلمذ في دير كيلي ܟ̈ܠܠ الذي كان نسطوريا حينا •

ولما كانت أبرشية منبج على هذه الدرجة من الخطورة البالغة ، رأى البطريرك القديس بطرس الثاني بثاقب لبه وبُعد نظره ، أن يسند أسقفيتها الى مار أخسنويو ، لما توسم فيه من كفاءات لا تجارى ، عله يصقل عقل أهلها بالعلوم الدينية الصحيحة وينير لهم الى الارثوذكسية سبيلا • فرسمه مطرانا(٧) في سنة ٤٨٥ وسماه فيلوكسينوس ، وهو اسم يوناني معناه محب الغرباء •

ولما صار الى أبرشيته ، شمر عن ساعد الجد ، معلما

---

(٧) ورد في اللؤلؤ المنثور أن مار بطرس أقامه أولا خوريا ثم رسمه مطرانا • بيد أن مار فيلوكسينوس لم يذكر ذلك في رسالته الآنفة الذكر الى جميع الرهبان الارثوذكسيين في الشرق • ونحن أيضا لم نعثر في مكان ما على هذا الخبر الذي كنا قد أثبتناه في مؤلفنا « الشهداء الحميريون العرب » ص ٢٦ وفي تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٢٤٩ نقلا عن المصدر المذكور •

ومرشدا وناصحا ، بهمة لا تعرف الملل • وقد أبدى لخصوم الايمان ، صدرا رحبا ولطفا جما حتى انه لم يذكر أو يمس سلفه قورا بسوء ، مع كونه هرطوقيا ومحروما ، بله عصيانه السافر ، لئلا يقال انه يفعل ذلك عن حقد دفين وليس عن غيرة على الايمان • والحق ، انه تجشم أتعابا جمة في مختلف المجالات ، ليقصي عن أبناء الابرشية البدعة النسطورية ، كارزا بأعلى صوته في جميع الاجتماعات البيعية ، بايمان الرسل والآباء مدة أربع وثلاثين سنة ، حتى اضطرهم مرات عديدة الى الاقرار بملء أشداقهم وبأعلى أصواتهم ، بأن « الايمان الذي ينادي به ، هو الايمان القويم الحق الرسولي بالذات ، وان صوته المتعالي في هذا المجال ، انما هو من الروح القدس » • وهكذا أسلم الى أهل مدينة منبج والقرويين والرهبان على السواء ، التعليم الرسولي الذي اقتبله من الاسفار القدسية ومن آباء البيعة ، مقدما نفسه مثالا يُحتذى ، قولا وفعلا • ولذلك تنمر له النساطرة في كل مكان أكثر من جميع الاساقفة الآخرين ، وحاكوا له شتى الحبائل • غير أن الله كان لهم بالمرصاد ، فخرج مار

فيلوكسينوس من جميـع المعامع ورايات النصر تخفق فوق هامته[٨] ·

ومع انه هو الذي رسم في هذه الفترة جميع اكليروس الابرشية إلا واحدا ، وعقد جميع الاكاليل ، وعمّد معظم أهل المدينة ، فاننا نراه في نهاية المطاف يتأوه لصيرورته مطرانا على هذه الابرشية ويقول : « ليتني لم أصر » · ذلك بأن الهراطقة ثاروا عليـه مرات عديدة بالحجارة والعصي والنار ، حتى نجا بأعجوبة من الموت · وكان الوثنيون يساندونهم في ذلك · بل كلما تعيّن حاكم جديد لتلك الولاية ، حرضوه ضده ، لكي يضيق عليه ويكبد الكنيسة خسائر فادحة[٨] ·



(٨) راجع رسالته الى رهبان دير سينون ·

الفصل الخامس عشر

تنديده بالرهبان المتذبذبين

كانت الكنيسة الانطاكية سعيدة اذ حظيت بأُمراء من طراز مار فيلوكسينوس المنبجي الذي خاض في سبيلها الغمرات ، ضنا بكرامتها وبجوهرة ايمانها الحق ، مسددا الى أعدائها سهام النقد صائبة ، دون أن يجد التذبذب اليه سبيلا • ومن طالع رسائله العامرة الباهرة التي بلغ بعضها المئة صفحة ، وتبين مليّاً ما انطوت عليه من ردود وشروح ودروس وعِبر ، أدرك ولا شك ما كان يعمّر قلبه الكبير من ايمان متين ورجاء وطيد وغيرة وقادة وعلم غزير ، وما بذله من همة شماء وتضحيات مشكورة في جهاده العنيف العنيد ، نصرة للحق وازهاقا للباطل • ورسالته الاولى الى رهبان دير كوكل (باكوكل - بالجيم المصرية) بطور عبدين المؤلفة من عشر صفحات ، والتي أنفذها في أعقاب النصر المبين الذي أحرزته الكنيسة سنة ٤٨٥

بواسطة القيصر زينون ، خير برهان على ذلك[1] • فبعد أن يستهلها بالبشائر التي عمت الكنيسة بأسرها « بنور الخلاص الذي أظهره المسيح للمؤمنين زمانئذ ، بسقوط الضلال وارتفاع راس الحق عاليا » ، يمتدح أعمال أولئك الرهبان الافاضل وغيرتهم وبسالتهم التي « صاروا بها قدوة للضعفاء » • ويسميهم « آباء » ويصفهم « بالعظام » ويقول : « انهم عدلا أحرزوا هذا اللقب » ، اذ يحدّث بأعمالهم في جميع الاقطار • بل « ان صيت ديرهم المقدس قد ذاع في جميع الامصار » •

والظاهر من هذه الرسالة ، ان الخلقيدونيين كانوا قد استمالوا اليهم كثيرين من الرهبان بالمال وبالمناصب الرفيعة ، ولذلك يقول مار فيلوكسينوس لرهبان هذا الدير : « انهم بقية صالحة بين جميع التلاميذ (الرهبان)، لانهم هم وحدهم لم يتبدلوا ولم يرهبوا أو يحابوا أحدا من الرؤساء ، ولم يبدلوا الحق بهبات أرضية ، ولم تخمد جذوة غيرتهم على الايمان لقاء عطايا زائلة ،كما ان ديرهم أيضا لا يعيش على الجباية كغيره من الاديار ، وانهم لم يبيعوا المسيح بحفنات من الشعير ، وبِكسر من الخبز

---

(1) هذه الرسالة موجودة في المكتبة الفاتيكانية في مخطوطة تحت رقم ١٣٥ •

كغيرهم » • ويردف : « ان يهوذا باعه بثلاثين من الفضة، أما هؤلاء الذين هم تلاميذ اسما فقط ، فقد باعوه بشيء بخس رذيل ، لأن نظرهم مصـوب نحو الارضيات » • ويستطرد : « ان التلميذ (الراهب) الذي عرف المسيح وتحسس به ، لا يسعه إلا أن يتألم عند سماعه تجديفا عليه • وأي تجديف أعظم من الذي يردده اليوم اليهود الجدد ؟ فانهم يشتمون المسيح وجها الى وجه ، ويقللون من قدره ، ويحطون من مجده قائلين له : « فانك وأنت انسان تجعل نفسك إلها » (يو ١٠ : ٣٣) ، ويحاولون أن يبينوا انه لا يملك كرامة في طبعه ، لكنه أخذ بالنعمة كل شيء من آخر ، وانه ليس إلها بطبع نفسه بل حديثا جُعل إلها » •

ثم يستعرض بالتفصـيل مختلف آراء المبتدعين في سَّري التجسـد والفداء • وبعد أن ينقضها بالبراهين الثاقبة يقول : « من لا يحرم نسطور من كل نفسه وأوطيخا من كل فكره وتعاليمهما البشرية الرديئة الفاسدة ، فليكن محروما نفسا وجسدا » • ويبين لأولئك الرهبان ، انه قاوم ولا يزال يقاوم من كل نفسه هذه التعاليم كلها بغية أن يبقى بدون شائبة ، الايمان الحق الذي سلمه المسيح

الى بيعته ، وذلك دون أن يأبه لهبات أصحابها ولمناصبهم الاثيمة ، أو أن يرهب وعيدهم ، وانه كان يتوقع هذا المصير ، مؤمنا وصابرا ، في حين أن كثيرين كانوا عن عدم الايمان قد قطعوا منه الامل· ويقول : « انه يريدهم أن يكونوا هم أيضا شركاء في هذا الجهاد ، كما سبق فأنبأهم ، لانه لا يريد أن يتشرف بدونهم » · ويثني على جواباتهم وتواقيعهم واشتراكهم في جهاده من أجل الحق، لكي تصان عقيدة التثليث سالمة · ويقول : « فضلا عن انهم لله ، فهم أيضا له ولسائر اخوانهم أبناء سورية » · وينبئهم بحسن وقع رسائلهم عند القيصر المؤمن الصالح زينون[٢] ورئيس أساقفة العاصمة (القسطنطينية) ، حتى ان محب المسيح (زينون) اعترف علانية بأن نصره على أعدائه انما أحرزه بصلواتهم ·

ويبدو أن قوما من الرهبان الكذبة المتذبذبين ، وهم من « أهل البطون والضالين » كما يسميهم مار فيلوكسينوس ،

---

(٢) ذكر صاحب اللؤلؤ المنثور ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ رسالتين لمار فيلوكسينوس الى رهبان دير كوكل ، الاولى وهي هذه عشر صفحات ، والثانية ٣٥ صفحة ، وقال : « وفيهما يثني على جواباتهم وينبئهم بحسن وقعها عند القيصر انسطاس » مع العلم ان هذه الرسالة ذكرت اسم القيصر زينون لا انسطاس كما ورد أعلاه · أما الثانية فلم نطلع عليها اذ امحت كتابتها في مخطوطتها المحفوظة في المكتبة الفاتيكانية ·

كانوا قد أساؤوا اليه مع الهراطقة وانتقدوا موقفه المشرف من الايمان ، كما يفعل اليوم مع خدام الكلمة كثيرون ممن لا يقيمون للأمور العقدية وزنا · لذلك يندد بالتلميذ الذي لا يتمسك بالحق ولا يجاهد في سبيله ويقول : « من ذا الذي صار في أي وقت من الاوقات معلما للمعرفة الالهية ولم يختم ايمانه بتحمل الشدات والاضطهادات والاهانات والشتائم والمظالم والآلام الفادحة والميتات المرة حتى أخزى بصبره مضطهديه » ؟ ويردف : « اسمع يا هذا ، الحكم الصادر من الله على من يشكك أخاه ، وارتعب · أأُحاجج أنا من أجل إرثك ، وأنت تقاضيني ؟ أألفظ أنا الحكم ضد العدو من أجل قنيتك التي سُلبت ، وأنت تناصبني العداء ؟ أأُجاهد أنا في سبيل ايمان الجميع ، وأنت تقاومني مع الهراطقة ؟ أأكد أنا وأتعب نهارا وليلا لئلا يتبدل الحق الذي سُلّم الى الكنيسة ، وأرمي الكافرين بالصليب بسهام التقريع ، وأنت تنتهرني قائلا : اسكت ، دعهم يفعلون ما بدا لهم ؟ هم يسكتونني لئلا أفضح تعليمهم ، وأنت أيضا تسكتني معهم ؟ هم سببوا السجس وأدخلوا التجديد وأقلقوا أمن الكنائس كلها ، وأنت تحسبني مسبب السجس ؟ أأسعى أنا لأستأصل شأفة النزاع وأقضي على الشقاق الذي

ولدوه هم في الايمان ،وأنت تشيع أن النزاع وقع بسببي؟
أأعمل أنا على بقاء عقيدة التثليث كما هي دون أن تقبل
أية زيادة أو أن تنمو بوجود آخر ، وأنت تتهمني بأني
أكرز بشيء جديد ؟ انك تتظاهر بأنك تلميذ ، في حين
انك متزي بزي الحق وكلك مع جانب الكذبة . واذ
أحببت هكذا أن تكون معهم ، ونطقت بالتجديف مثلهم ،
لذلك تخجل نظيرهم من الاقتراب . فها انهم قد استؤصلوا
وتواروا ولا ساتر لهم . أجل ، لقد استل سيف العدالة
لمطاردتهم ولن ينجوا من أمامه » .



الفصل السادس عشر

حول جوابه على رسالة مارون العينزربي

نستدل من جواب مار فيلوكسينوس للقارىء مارون من عين زربة (قيليقية الثانية)[1] ، على أن بعض الاساقفة الموالين للمجمع الخلقيدوني ، اجتمعوا في الاسكندرية الصغرى (قيليقية الثانية) وهي الاسكندرون (بحسب صيغتها السريانية) . ووجهوا كتابا الى الملك ، صرحوا فيه بأنهم لا يقبلون طومس لاون والمسائل التي أُقرت في المجمع الخلقيدوني قولا وفعلا ، لا في دستور الايمان ولا في كتاب ولا في التعليم والتفسير . وكأني بهم وقد نسوا ما كتبوه ، عادوا ينافحون عنها في بيان مسهب ، زاعمين أن الذين اجتمعوا في خلقيدون أيضا ارتأوا رأي الآباء الأقدمين ، وان من يعيب ما حققوه هناك انما يعيب تعاليم الآباء . وكانوا يستهدفون في ماقيل ، التوفيق ما بين بنود القديس كيرلس الاسكندري وطومس لاون

---

(١) لقد نقلت هذه الرسالة عن مخطوطة سريانية في لندن تحت رقم ١٤٧٢٦ .

الروماني[٢] • ومما جاء في كتابهم الى الملك قولهم : « انه لا يجوز حرم أسماء المبتدعين ، بل تعاليمهم فقط » • واستشهدوا زورا بملفاننا مار فيلوكسينوس بأنه قال بعدم حرم ثاودوروس المصيصي وصحبه •

وقد لمّح مار فيلوكسينوس في جوابه لمارون ، الى الشخص الذي رتب صيغة هذا البيان وذياك الكتاب دون أن يذكر اسمه أو اسم الملك « المظفر الهادىء » الذي رفع اليه الكتاب • بيد اننا قرأنا على هامش هذا الجواب ، ان ذلك الشخص هو « يوحنا غراماطيقوس » وان الملك هو زينون • وغراماطيقوس كما لا يخفى ، هو يوحنا النحوي القيسراني الاسقف الملكي • أما زينون فهو صاحب كتاب « الهنوطيقون » الشهير • فهل يكون زينون حقا الملك المشار اليه هنا ؟ وهل يكون هذا الحادث قد جرى بين سنتي ٤٨٥ ـ ٤٩١ أي في أعقاب النصر المؤزر الذي حققه الله لبيعته بواسطة زينون ؟ أجل ، ان وشاية أصحاب الكتاب بمار فيلوكسينوس الى الملك كما ذكر مار فيلوكسينوس نفسه ، تدل على أن الامر لكذلك • بل تنبىء بأنها هي التي حفزته الى كتابة صورة ايمانه الى

---

(٢) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى للدكتور أسد رستم ج ١ ص ٣٥٨ •

زينون التي قال في ختامها : « هذه الامور كتبتها باختصار وقدمتها لمسيحيتكم بناء على أمركم أيها الملك التقي ، وذلك لتقريع الهراطقة الذين ينتقدون إيماني بالمسيح، ولبنيان الذين يرتأون نظيري ، ويسعون بمحبة الله في المنافحة عني »[٣] • كيف لا وان في هذا الجواب بالذات ما يدل على انـــه كتب في عهد زينون وفي أعقاب النصر الذي سبقت الاشارة اليه • فقد قال مار فيلوكسينوس : « ان الحق أقوى من كل شيء ، وان انتصاره ظهر أمرا طبيعيا • ذلك بانه يضطهِد حين يضطهَد ويضرب حين يُضرب • ولما خيل انه اندحر ، أعلن غلبته بالازيد ، وهذا ما تهتف به ماجريات الاحداث هتاف البوق ، وهي شهادة قريبة • أي ان الذين تألبوا ضده دفاعا عن المبتدعين زمرة ثاودوروس وبدعتهم ، وعكروا بذلك صفو الكنائس وجزأوا ألفة الاديار ، ها انهم قد أحنوا أعناقهم أمامه واعترفوا بـــه رغم أنفهم ، وحرموا تعليمهم وكفروا بمصنفاتهم • لقد جَعَل هؤلاء الاشقياء في مصاف ماني ومرقيـــان وبولس السميساطي وسابيليوس واريـــوس واونوميوس ، أولئك الذين كافحوا مدة عشر سنين في

---

(٣) انظر هنا ص

سبيل تعليمهم لئلا يُحرم · أمـا الآن ففي منتهى الذلة يحرمون في جميـع رسائلهم وكتاباتهم أسماءهم أيضـا فضلا عن تعاليمهم ، متقلبين مع الظروف والاشخاص »·

ان قوله هذا يتفق كل الاتفاق مع قوله في رسالته الاولى الى رهبان دير كوكل التي أنفذها في عهد زينون ، والذي جاءفيه : « فها انهمقد استؤصلوا وتواروا ولا ساتر لهم · أجل . لقد استل سيف العدالة لمطاردتهم ولن ينجوا من أمامه »[٤] ·

ومع أن القرائن تدل على أن الملك هو زينون ، الا أن الرسالة تتطلب دراسة أوسع لتحديد تاريخها وبـدء تاريخ السنوات العشر التي نوه بها فيها مار فيلوكسينوس·

كان البيان قـد تضمن مسائل خاطئة حـول رأي الكنيسة في المجمع الخلقيدوني وفي أساطين النسطرة · واتفق ان وقعت نسخة منه بيد القارىء العينزربي مارون الآنف الذكر ، وكان هذا حريصا على عقيدة الكنيسة · واذ أشكل عليـه مضمون البيان ، لجأ الى ملفاننا المنبجي ليكشف له معمياته ، فحبّر اليه رسالة ملتمسا منه أن يجلو له الحقيقة . لا ليتمسك بها بحرص وحسب ، بل ليتمكن

---

(٤) انظر هنا ص

أيضا من مقارعة الذين يتآمرون عليها · وسلم الرسالة الى شخص من أرثوذكسيي انطاكية ليوصلها اليه ، فأنفذها هذا صحبة أحد المؤمنين · واذ كان مارون مجهولا لدى المنبجي ،لم يتبيّن هويته رغم وجود اسمه في أعلى الرسالة · كما أن الشخص الانطاكي المومأ اليه أيضا لم يخبره بأمره ، ولا الذي حملها عرف ماذا يقول عنه · لذلك طواها وألقى بها في سلة المهملات · ولما استبطأ مارون جوابه ، كتب اليه رسالة أخرى حمّلها أحد الرهبان ، وأرفقها بنسخة من بيان الاسكندرون وبرسالة الوسينوس أسقف ساسيمة قبدوقية · والظاهر أن هذا الاسقف كان بين الذين وقّعوا بيان الاسكندرون · ذلك بأنه في رسالته هذه يغمز من قناة مار فيلوكسينوس ، كأن ما حسن لهم ربما لا يحسن له ! بيد اننا علمنا من جواب مار فيلوكسينوس على رسالة مارون ، ان الوسينوس كان قد كتب اليه رسالة ثانية ، لم يكن مارون قد وقف عليها ، وفيها يأسف على ما فرط منه في الاولى[٥] ·

---

(٥) قال مار سويريوس الانطاكي في رسالته الثانية الى يوليان الخيالي : « لقد فحصت مرة ومرتين تعليم الطيبي الذكر الاسقفين أخسنويو وألوسين ، اللذين صنفا كتبا نظرية في الايمان ، ولم أجد خطأ في ما كتبه الواحد الى الآخر » (تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ١١٣) ·

ولما تأكد مار فيلوكسينوس من غيرة مارون في سبيل الايمان الحق ، كتب اليه جوابا شافيا قال فيه : « انه كان قد اطلع على بيان الاسكندرون ، ولم يأبه له ولم يتنازل الى تفنيد مغالطاته في كتاب ،ولكنه يفعل الآن ذلك اجابة الى ملتمسه ، وخاصة لارفاقه البيان برسالة الاسقف الوسينوس ، الذي ولئن لامه فيها ، الا انه أسف في رسالة ثانية على ما فرط منه في تلك » ، ويقول : انه كان بوده أن يضع له مصنفا بهذا الموضوع ، لبنيانه ولبنيان الغير الذين قد يعثرون على بيان الخصوم ، ولكن حيث أن العمل يحتاج الى بضعة أيام ، أي أن يكتب هو أولا بالسريانية ثم يترجم ما يكتبه الى اليونانية . وحيث أن الراهب (الاخ) يلح في العودة ، لذلك أرجأ الامر الى وقت آخر .

كانت رسالة مارون قد انطوت على النقاط السبع التاليـة :

١ ـ قول الخصوم بطبيعتين مع اضافة « غير منفصلتين » .

٢ ـ تفسيرهم قول القديس كيرلس الاسكندري « طبيعة واحدة متجسدة » بطبيعتين ، احداهما للكلمة والاخرى لناسوته .

٣ ـ قولهم اذا اعترفنا بأن المسيح هو من طبع الآب بلاهوته ومن طبعنا بناسوته ، فمن الضرورة الاعتراف بطبيعتين أيضا ٠

٤ ـ قولهم اننا لا نقول بأقنومين من حيث أن الكلمة لما تجسد لم يأخذ انسانا ٠

٥ ـ قولهم ان طومس لاون والمسائل التي أقرت في مجمع خلقيدون ، لا يقبلونها لا في القانون ولا في دستور الايمان ولا في التعليم ولا في التفسير ، بل في ما يخص حرم وعزل نسطور وأوطيخا فقط ٠

٦ ـ قول البعض انه لا يجوز حرم ديودوروس (الطرسوسي) وثاودوروس (المصيصي) لانهما ماتا وهما أسقفان يخدمان الاسرار المقدسة ويدبران أبرشيات وكنائس ٠

٧ ـ قولهم انه لأمر ذميم أن تحرم العظام والرميم ، اذ لا تستطيع أن تضير بتحريض سامعيها ٠

الفصل السابع عشر

قطعه دابر المضللين

لقد جاوب مار فيلوكسينوس على النقاط الواردة في رسالة مارون واحدة فواحدة بالتفصيل ، بما يُروي الغليل ويشفي العليل . حتى جاءت رسالته في عشر صفحات كبيرة • وبما اننا وقفنا في ما سبق على تفسير وجيز مماثل لما أبداه في النقاط الآربع الاولى ، لذلك نقتصر هنا على استعراض موجز تفسيره للنقاط الثلاث الباقيـة •

ففي معرض كلامه عـلى النقطة الخامسـة يقول : « انها أمور يناقض بعضها بعضا • ذلك بأن المسائل التي لا تُقبل في تعليم الايمان أو القانون أو التفسير ، لايجوز أن تقبـل ولا في حرم الهراطقة • لانـه لصاحب الرأي القويم وحده الحق في حرم من لا يرتأي كذلك • والا فان قراره صفر من قوة »• ويخلص الى القول : « ولذلك لا نقبل الحرم الصادر عن الهراطقة ، سواء أكان علينا

أم على الهراطقة ، وكذلك الحل أيضا · لان هذا سلطان الربط والحل في الارض والسماء ، انما أعطي أولا لبطرس لقاء ايمانه المستقيم بالمسيح · وهكذا فان المتمسك بعقيدته ، هو وحده يملك سلطانه أيضا · فاذا كان الدستور الذي وضع في مجمع خلقيدون يعترف بالمسيح، واحدا ، نظير بطرس ، إذن فان الذين وضعوه يملكون سلطانا أيضا · وعلى هذا الاساس يجب أن يُقبل الحل والحرم أيضا اللذان أصدروهما على الهراطقة المشار اليهم · وبالعكس اذا كان إيمانهم مزيفا ـ كما أكد بيان الاسكندرون بالذات ـ فانهم ضعفاء بالنسبة الى الحرم أيضا » ·

ثم استعرض طومس لاون وبيّن أنه يحصي في المسيح الى جانب الطبيعتين أقنومين أيضا ، وبدلا من ابن واحد ينادي باثنين ، وبفرصوفين أيضا من خلال الصورتين اللتين قال عنهما ، أن كلا منهما تعمل ما يخصها بالاشتراك مع الأخرى · وهذا قوله بالحرف الواحد عند ذكره عقيدة مار بطرس الرسول : «ان الابن شيء والمسيح شيء آخر» ·

وعند استعراض دستور ايمان المجمع الخلقيدوني يقول : والأنكى ان هذا الدستور بذه (أي لاون) بالتقسيم

والتمييز . فانه في مطلعه وفور تعليمه عن الثالوث ، أضاف « ربنا وتجسده » ، مبينا أن هذا الرب غريب عن ذلك الثالوث . هذا فضلا عن فقرات أخرى منه تسلّم كلها بهذا الرأي . ويخلص الى القول : « فاما أن يصرح أصحاب البيـان علانية بأنهم يقبلون الى جانب الحروم الصادرة عن المجمع الخلقيدوني ضد المبتدعين نسطور وأوطيخا ، دستور ايمانه أيضا ـ كانوا قد نبذوه ـ أو أن ينبذوا حرومه أيضا » .

واستشهد لدعم رأيـه ، بالآباء القديسـين الذين اجتمعوا في نيقية وحرمـوا أريوس وتعليمه ووضعوا دستور الايمان . فقبلت الكنيسة كلا الامرين ، وبالذين اجتمعوا في القسطنطينية وأوجبوا التسليم بهذا الدستور وحرموا مقدونيوس وأبوليناريوس وغيرهما من الهراطقة ، وبالذين اجتمعوا في افسس وسلموا الى الكنيسـة حرم نسطور وبدعته معا ، وبوجوب قبـول تعليم الطوباوي كيرلس كله باعتباره قويما نقيا الى جانب فصوله الاثنيعشر ورسائله الى نسطور . وقال : لم يجرؤ أحـد من أبناء البيعة حتى الآن أن يقول ان الحرم الذي أطلقته هـذه المجامع وارد أما الايمان الذي أقرته فمردود ، والعكس

بالعكس • وعلى هذا المنوال يجب النسج في المسائل التي أُقرت في المجمع الخلقيدوني قولا وفعلا • فاما أن يُقبل كلا الأمرين معا أي الدستور والحرم ، أو أن ينبذا كلاهما معا • ذلك بأنه اذا كان الحرم صحيحا فالايمان أيضا قويم • واذا كان الامر بالعكس ، كما بعث كاتب البيان بالذات يقول : انهم لم يقبلوا المجمع الخلقيدوني لا في دستور الايمان ولا في التعليم والتفسير فيجب الجزم في أن الحرم أيضا الذي أطلقه على الهراطقة هو عديم القوة • ويردف : ان حرمهم من أبناء البيعة ، ليس لأن أولئك حرموهم ، بل لانهم شُجبوا من قبل الاساقفة الارثوذكسيين • فنسطور مثلا ، حرمه المجمع المقدس الذي التأم في افسس • أما أوطيخا فقد حرمه مع نسطور جميع الاساقفة الذين وقّعوا الهنوطيقون ونبذوا مجمع خلقيدون • بيد أن الشخص الذي كتب الى الملك الهادىء ، اذ تصرف هنا أيضا بدهاء كعادته ، قال : انه يقبل ذلك المجمع في حرمه نسطور وأوطيخا • وهو اذ يسلّم بهذا تدجيلا ، فانه ينسف في الوقت نفسه المجمع الافسسي بتصنع • ذلك بأن هذا المجمع انما عقد لاجل قضية نسطور وحدها • وبعد أن حقق في ما دار بينه وبين الطوباوي كيرلس الذي ناهضه ، شجب الاول ومدح الثاني • فاذا كان المجمع

الخلقيدوني قد حرم الى جانب أوطيخا نسطور أيضا ، فينتج أن المجمع الافسسي باطل ، اذ لم يشجب نسطور بقراره . الامر الذي ينكره جميع أبناء البيعة الذين يسلّمون بكل ما جرى في مجمع افسس ضد نسطور وضد علة تعليمه : ديودوروس وثاودوروس من جهة .ولصالح المغبوط كيرلس وتعليمه من جهة آخرى ، ويقبلون كذلك الهنوطيقون لنسف ماجرى في خلقيدون من جهة ، ولحرم أوطيخا من جهة أخرى .

وأكد مار فيلوكسينوس ، ان حرم أوطيخا لم تتسلمه الكنيسة من مجمع خلقيدون ، بل من الاساقفة الارثوذكسيين الذين أمضوا الهنوطيقون الذي نسف التعليم بالطبيعتين وأوطيخا معا . وبيّن ان الذي عزا الى مجمع خلقيدون حرم نسطور وأوطيخا ، قد نسف بذلك خلسة مجمع افسس والهنوطيقون معا . وبالتالي سعى أن يثبت أن هذين المبتدعين لم يحرما . ذلك بأنه اذا كان نسطور لم يحرم في المجمع الافسسي ، بل في المجمع الخلقيدوني ، واذا كانت الكنيسة الارثوذكسية لا تقبل حرمه من هذا المجمع ، لزيف عقيدته ، فينتج ضرورة انه لم يحرم . وكذلك الامر بالنسبة الى اوطيخا الذي نسبوا حرمه الى

قرار هـذا المجمع الذي لا يقبله حتى أنصاره في تعليم الايمان وتفسيره كما صرحوا في بيانهم ٠

ومن جوابه على النقطة السادسة ، نفهم ان مارون كان قد نقل له أن أحد الاساقفة اتهمه بما ورد فيها ، أي انه قال بعدم وجوب حرم ثاودوروس المصيصي وصحبه٠ لذلك ينفي قديسنا هـذه التهمة ، ويقول في ذلك كلمة الحق ، بانه كان ولا يزال يحرم أولئك الهراطقة ٠ غير انه تساهل إداريا مـع خصمه الذي كان يطالب بنزع الشـكوك من بين المؤمنين ، فقال بوجوب حرم تعاليمهم ومصنفاتهم ، اذا كان الخصم يعتبرهم بين الملافنة والآباء الارثوذكسيين ٠ وكان ملفاننا يرمي من وراء ذلك ، انه اذا حرم الخصم تعاليم الهراطقة ، اضطر بعدئذ الى حرم أسمائهم أيضا كمـا يقضي النظام البيعي ٠ ويدلل على بُعده عن هذه التهمة ، بكتاب سبق أن وضعه بهذا الصدد ، موضحا فيـه ببراهين عديدة انـه لا يجوز حرم البدع وحدها ، بل مبتدعيها أيضا ، سواء افتضح أمر بدعتهم في حياتهم أم بعد مماتهـم ، مستشهدا في ذلك بالكتاب والتاريخ ٠ من ذلك حرم أوريجانس ومصنفاته معا ، بعد مماته بمئة وخمسين سنة . لمـا فحصت مصنفاته وثبت بالنتيجة انه مبتدع يضير الغير بتعليمه ٠

وفي جوابه على النقطة السابعة ، يرد على قول الخصوم « انه لا يجوز حرم العظام والرميم » ، مستشهدا بآيات الله ، ويقول : « من أجل هـذا يحاكَم المبتدع أولا ثم يشجَب ، وذلك بحضوره ان كان حيا ، وبواسطة مصنفاته ان كان ميتا » · ثم ينفي وجود كهنوت للهراطقة ، على حد قول الرسول « ان من يعترف بيسوع انه الرب ، يقول ذلك بالروح القدس » · ويقول : « ان من لا يعترف إذن كذلك فهو خال من الروح · ومن كان كذلك ، فهو عديم الكهنوت أيضا » · ثم أنحى باللوائم على تذبذب الخصوم وتقلبهم مع الزمان قائلا : « فاذا كانوا الآن وقد انخذلوا في كـل مكان واندحروا كمن في حرب ، يطالبون بحرم التعاليم لا الاسماء ، والمصنفات لا العظام ، فلماذا إذن حاربونا هذه عشر سنوات ، وأثاروا ضدنا كل عناصر الشغب والشر ، وحاكوا علينا المؤامرات وأعدوا (الكمائن) ، واضطهدوا بعضا واعتقلوا بعضا وقتلوا بعضا ، وهـم يأبون أن يحرموا الهراطقة في ما زعموا ؟ واذا كانـوا قد استشهدوا بنا على انه « لا يجوز حرم الاسماء » ، فلِمَ لم يستجيبونا حين التمسنا منهـم أن تحرم التعاليم دون الأسماء ؟ واذا كان « لا يجوز حتى حرم التعاليم » على حد قولهم ، فلماذا ، اذن حرموا هم الآن الاسماء أيضا ،

في حين انهم اتهمونا كأننا جزمنا في انه لا يجوز أن يكون ذلك ؟ ثم حاججهم متسائلا : اذا كان رأيهم الاول ـ أي انه لا يجوز حرم الاسماء ـ هو الاصوب ، فما بالهم لم يظلوا عليه ؟ واذا كان ما ارتأوه الآن ـ أي أن تحرم تعاليم ثاودوروس وصحبه ـ هو الافضل ، فلِمَ ناهضوه حتى الآن ؟ واذاكانوا قد أثنوا على قولي ـ في ما زعموا ـ انه لا يجوز حرم العظام ، فما بالهم لم يظلوا على ثنائهم؟ ذلك بأنهم حرموا الآن ليس فقط التعليم الذي كنت قد التمست منهم أن يحرموه بدون الاسماء ، ولم يتنازلوا الى ذلك آنذاك ، بل الاسماء أيضا والعظام والرميم جملة . ترُى ما الذي حفزهم الى ذلك؟أهي الندامة أم الخوف الناجم عن ضغط السلطان ؟ ويردف : « أما نحن فنحرم هؤلاء الاشخاص لاعتبارنا اياهم مبتدعين . وأما هم فقد حرموهم بخطهم مرارا ، بعد أن كانوا ينافحون عنهم منافحتهم عن آباء وملافنة » .

هذا وقد استند الدكتور أسد رستم ـ في ما زعم ـ الى هذا الجواب البليغ ليقول : « ووافق هذا كله ظهور قرار مجمعي في الاسكندرية يوفق بين بنود كيرلس وطومس لاون ويحتج كل الاحتجاج على مشاغبات سويريوس

وفيلوكسينوس » (كذا)[1] ، مع العلم أن الجواب خال من هذا الادعاء الفارغ الذي تنقضه الامور التالية :

أولا ـ ان البيان لـم يظهر في الاسـكندرية بل في الاسـكندرون المعروفة يومذاك بالاسكندرية الصغرى ٠

ثانيا ـ ان البيان ظهر في عهد زينون (٤٩١+) كما مر معنا لا في أواخر عهدانسطاس(٥١٨+)كما جعله أسد رستم ٠

ثالثا ـ لا ذكر لسويريوس في هذا البيان الذي ظهر على الارجح ، في الوقت الذي كان لا يزال فيه سويريوس علمانيا ٠

★ ★ ★

---

(١) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٣٥٨ ٠

الفصل الثامن عشر

تمثيله الكنيسة الانطاكية

في سنة ٤٨٨ توفي البطريرك القديس مار بطرس الثاني ، فخلفه مار بلاديوس ، أحد كهنة كنيسة القديسة تقلا في سلوقية ايسورية[1] . فتبادل ومار بطرس منغوس الاسكندري وخلفه مار اثناسيوس ، الرسائل الايمانية والسلامية ، مؤيّدين هنوطيقون زينون وحارمين مجمع خلقيدون وطومس لاون[2] . وهكذا كان متمسكا بالارثوذكسية[1] ، ومتفقا مع بطاركة الاسكندرية[3] . بل دعا رعاياه الى قبول الهنوطيقون وتأييده ، ووجد في شخص قديسنا مار فيلوكسينوس خير عون لتأدية هذه

---

(١) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج١ ص ٣٥٢ . لا صحة لقول أسد رستم ان بلاديوس « كان أحد الكهنة الذين شملهم عطف الامبراطور انسطاسيوس » ، لان بلاديوس اعتلى الكرسي الرسولي قبل اعتلاء انسطاس عرش الامبراطورية البيزنطية سنة ٤٩١ بثلاث سنين .

(٢) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ١٤ وتاريخ سورية للدبس مج ٤ ص ٣١٦ .

(٣) تاريخ سورية للدبس مج ٤ ص ٣٢٠ .

الرسالة[1] . فاضطلع بهذه المهمـــة المشرّفة على أحسن ما يرام .

وفي ســـنة ٤٩٨ شخص الى الرها في نطاق جولتــه الاستطلاعية في عدد من أبرشيات بلاد ما بين النهرين . وفي أثناء وجوده فيها ، صادف العيد السنوي الذي درج الرهاويون على ممارسته ببعض شعائر وثنية . فانبرى مار فيلوكسينوس يسدي اليهم نصائحه الثمينة ليقلعوا عنها ، ولكن بدون جدوى . والظاهر ، ان صاحب التاريخ المنسوب الى يشوع العمودي المعاصر لهذه الاحداث ، مع إجلاله الكبير له ، كان يريده أن يبذل همة أعلى في سبيل ذلك ، كما يتضح من قوله : « ومع انه اتفق ان وجـد في الرها أخسنويو أسقف منبج ، الذي كان يُعتَبر بأنله استعدادا أكثر من غيره للكد في التعليم ، فانه لم يحدثهم في هذا الموضوع أكثر من يوم واحد »[4] .

وفي هذه السنة توفي مار بلاديوس ، فخلفه فلابيانوس الثاني . وكان هذا قد ترهب في أحد أديار سورية الثانية وتمســك أولا بالعقيدة الارثوذكسية مناهضا مجمـع

---

(٤) تاريخ يشوع العمودي ص ٢٥٦ و ٢٥٧ .

خلقيدون[٥] • كما انه كان قد قضى مدة طويلة في القسطنطينية ممثلا الحبر الانطاكي Apokrisis لدى السلطات العليا[٦] • لذلك وقع عليه اختيار المجمع الانطاكي والملك انسطاس ، فنصب بطريركا على انطاكية • ولكنه انقلب بين ليلة وضحاها الى نصير لتحديدات المجمع الخلقيدوني التي كان ينبذها حتى ذلك الحين ، الامر الذي أغاظ مار فيلوكسينوس وجعله عدوا له لدودا[٧] • ومنذئذ برز مار فيلوكسينوس ينطق بلسان أرثوذكسيي البطريركية الانطاكية[٨] • فلما رأى تذبذب فلابيانوس وتلونه في مذهبه تلون الحرباء ، شخص الى القسطنطينية في سنة ٤٩٩ يشكوه الى القيصر انسطاس • بيد أن الحرب الفارسية التي كانت على الابواب والتي نشبت فعلا سنة ٥٠٢ حالت دون التحقيق في أمره يومذاك • ولما انتهت ، استأنف عمله حتى ظفر بعزله وعزل مقدون القسطنطيني كما سيأتي •

---

(٥) تاريخ سورية للدبس مج ٤ ص ٣١٦ ومقدمة المستشرق الانكليزي واليس بدج على كتاب مقالات مار فيلوكسينوس المنبجي •

(٦) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٣٥٥ •

(٧) مقدمة « بدج » على كتاب مقالات مار فيلوكسينوس المنبجي •

(٨) دائرة المعارف النيويوركية Religion and Ethics سنة ١٩١٥ مج ٨ ص ٨١٤ •

وبين سنتي ٥٠٥ ـ ٥٠٨ بذل المترجم همة عالية في ترجمة أسفار العهد الجديد والمزامير وبعض أسفار العهد القديم من اليونانية الى السريانيـــة ، فترجمها باشارته وتحت اشرافه ، العلامة بوليقربوس خور أسقف أبرشية منبج ، الذي كان متعمقا في آداب اللغتين المذكورتين · وقد عرفت هذه الترجمة ب « الفيلوكسينية »[٩] ·

وفي زيارته لدير مار باسوس في كورةانطاكية ،حرم بخطه أساطين النسطرة وأوطيخا وطومس لاون الروماني والمجمع الخلقيدوني كما أكد مار لعازر رئيس هذا الدير نحو سنة ٥١١ في رسالته الى مار يعقوب السروجي قائلا : «وتحرم كتابة كما حرم مار يوحنا أسقف الاسكندرية ومحب الله مار فيلوكسينوس أسقف منبج بكتاباتهما ،ديودوروس وثاودوروس وثاودوريط ونسـطور وأوطيخا وطومس لاون أسقف رومية والزيادة المحدثة في (مجمع) خلقيدون، وكل من يناهض فصول المغبوط كيرلس الاثنيعشر ، وكل من يقبل الرد الذي وضع ضدها ، وكـل من لا يقبل هنوطيقون المرحوم زينون ، وكل من يقسم المسيح الواحد ويقول بطبيعتين وخواصهما وأفعالهما بعد الاتحاد»[١٠] ·

---

(٩) اللؤلؤ المنثور ص ٢١٥ ·

(١٠) رسائل مار يعقوب السروجي طبعة أولندر ص ٦٢ ·

أما الشدات التي ابتلاه بهـا فلابيانوس ومقدون وغيرهما من خصوم الكنيسة ، والتي لم تستطع أن تفت في عضده ، بل جعلته مثلا يحتذى في الغيرة على الايمان الحق ، فحدّث عنها ولا حرج • وقد نوه هـو نفسه في رسالته الى رهبان دير سينون ، بما ناله من شر أولئك العتاة قائلا : انالله لم يهمله في كل ما ابتلي به من المحن، ولكنه تعالى لم يحرمه الانصهار في بوتقتها • فلو فعل ، لما خفقت فوق هامته رايات النصر والشرف • ويردف : « ففي كورةالقروسطيين ، لماقصدتها لأنقلمنها الطوباوي مار بس الذي كان قد استشهد ثمة ، أنتم تدرون أكثر من غيركم ، من مثل أية ميتات نجوت ••• وفي المدينة التي صرت راعيا لها ـ وليتنني لم أصر ـ أفلت من الموت مرات عديدة • ذلك بأن الهراطقة كانـوا يثورون علي دائمـا بالحجارة والعصي والنار ، يساندهم الوثنيون الذين كانوا يحصون أنفسهم بينهم ، بل كانوا يحرضون كـل حاكم يتعين لتلك الولايـة ليناهضني ويضيق علي ويكبد الكنيسة خسائر • أما الضيقات التي قاسيتها من فلابيانوس ومقدون رئيسي أساقفة انطاكية والعاصمة

(القسطنطينية) ومن قلانديون قبلهما ، فهي معروفة بل يحَدث عنها في كل مكان · هــذا فضلا عن وشايات المسمى فلابيانوس الهرطوقي بي الى السلطات العليا ، في أثناء الحرب الفارسية ، وعما جرى لي في الرها وفي كورة الافاميين وكورة الانطاكيين أيضا في أثناء وجودي في دير الطوباوي مار بس ، بلْ في انطاكية بالذات · ولما توجهت الى العاصمة مرتين ، عاملني الهراطقة النساطرة بمثل ذلك » ·

* * *

الفصل التاسع عشر

اهتمامه بكنائس الحيرة ونجران وارزون وغورزان

في سنة ٥٠٢ عين قباد العاهل الفارسي في حيرة النعمان ، أبا عفر ، حاكما عسكريا ، خلفا للملك النعمان الثاني (٤٩٩ ـ ٥٠٢) ، وهو الذي يدعوه أبو الفداء وحمزة الاصفهاني وغيرهما : أبا عفر علقمة ٠ وكان من أشراف اللخميين وأحد أبناء أسرة بني ذميل النصرانية ٠ وقد تولى سياسة الدولة ثلاث سنوات[١] ٠ فرغب أبو عفر في الاتصال بمار فيلوكسينوس المنبجي ، فكتب اليه رسالتين ، مستفهما في الاولى عما أقره الملافنة القديسون في الكنيسة ببلاد الروم ، وفي الثانية عن شيعة اشعيا الناسك ٠ فأجابه بالتفصيل عن المجامع التي عقدها الآباء القديسون في الكنيسة من حين الى آخر ، قضوا بها على الهراطقة والهرطقات ، بدءا من سابيليوس حتى نسطور

---

(١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للأب لويس شيخو ص ٨٨ ٠

وأوطيخا ، موجها طعنا لاذعا الى المجمع الخلقيدوني والنساطرة بنوع خاص. وقد استهلها بالعبارات التالية :
« الى الشريف التقي الله كابراهيم ، الذي يصدق بماله على الفقير كأيوب ، الذي يخلص الخراف المبتاعة بدم المسيح من هرطقة النساطرة ــ التي هي ايزابل الثانية ــ كعوبديا ، أبي عفر الحاكم العسكري في حيرة النعمان ، تحيات كثيرة بالاله يسوع المسيح ، من فيلوكسينوس أسقف منبج »[٢] .

وفي العقد الثاني من هذا القرن، وجّه مار فيلوكسينوس عنايته صوب كنيسة نجران ، فرسم لها أسقفا غيورا على نشر كلمة الانجيل ، يدعى مار بولس ، وهو أول أسقف لهذه الابرشية الحميرية العربية . ولما رجمه يهود من طبرية في ظفار عاصمة الحميريين أوائل سنة ٥١٨ ، رسم مار فيلوكسينوس أسقفا آخر خلفا له اسمه مار توما[٣].

ولما رأى ما يحدق بالكنيسة السريانية الفارسية من

---

(٢) باكورة النصرانية في آسيا الوسطى والشرق الاقصى للقس الفونس منغانة ص ٥٨ـ٧٣ و ٧٧ ــ ٨٠ .

(٣) انظر كتاب « الشهداء الحميريون العرب » للمؤلف ص ١٢ .

شر مستطير ، نتيجة ايغال التعليم النسطوري فيها ، أخذ يحبّر للمؤمنين رسائل جليلة في سر التجسد الالهي ، فاضحا فيها زيف هذا التعليم ، ومحذرا من مغبة التورّط في مزالقه · وجهاداه أن يدرأ عن الكنيسة خطر أعدائها الألداء الذين انقضّوا على حريتها وأمنها وايمانها انقضاضا · وكان أهل أرزون وغورزان والمؤمنون المتوغلون في بلاد الفرس ممن حظوا بهذه النعمة الرسولية ·



الفصل العشرون

اثارته قضية فلابيانوس الثاني الانطاكي

لقد مر معنا ان مار فيلوكسينوس شخص الى القسطنطينية في سنة ٤٩٩ يشكو الى القيصر انسطاس ، فلابيانوس الثاني الانطاكي المتذبذب ، وان الحرب الفارسية حالت دون التحقيق في أمره يومذاك . فلما أنهى انسطاس هذه الحرب في نيسان سنة ٥٠٥ تسنى لمار فيلوكسينوس أن يثير قضية فلابيانوس من جديد ،مؤكدا انه كان لا يزال يقول بالنسطرة . فتنصل فلابيانوس وحرم نسطور ومؤلفاته كلها . بيد ان مار فيلوكسينوس – وقد اتفق معه الوسين أسقف ساسيمة الآنف الذكر ونيقيا أسقف لاذقية سورية – أصر على وجوب حرمه ديودوروس وثاودوروس وثاودوريط وهيبا أيضا[١] ،وهم من عرفت أقطاب النساطرة والخلقيدونيين . فما كان من فلابيانوس الا أن تواقح فحرم القديس ديوسقوروس الاسكندري ومن

(١) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى للدكتور أسد رستم ج ١ ص ٣٥٥ .

يقول قوله · فبعث مار فيلوكسينوس الى انسطاس بهذه الوثيقة التي كانت كافيـة لان تقنعه بميول فلابيانوس النسطورية · كان ذلك سنة ٥٠٧ · وفي أعقابه استدعى انسطاس مـار فيلوكسينوس الى القسطنطينية التي اضطربت كنيستها بمقدمه · ونتيجة للمباحثات التي دارت بينهما ،واجابة الىرغبة انسطاس ،حوّر فلابيانوس آراءه كتابة بمساعدة بعض من اكليروسه ، وبعث بها الى انسطاس · واذ كانت خالية من حرم المجمع الخلقيدوني والقائلين بالطبيعتين بعد الاتحاد ، لم يقتنع بهـا مار فيلوكسينوس · ولما أبى فلابيانوس أن يفعل ذلك ، شكاه مجددا الىانسطاس كشخص نسطوري· على ان فلابيانوس عقد بعدئذ مجمعا في انطاكية ، فيه أذاع بيانا مؤداه ، انـه ولئن وافق المجمع الخلقيدوني في عزلـه نسطور وأوطيخا ، الا انه لم يعتبر تحديداته للايمان مقنعة[٢]· كما انه صرح بقبوله المجامع الثلاثة الاولى ، دون أن يـذكر الخلقيدوني ، وحرم ديودوروس وثاودوروس وثاودوريط وهيبا المشار اليهم[٣] ، وأوفد القس شمعون

---

(٢) مقدمة « بدج » على كتاب مقالات مار فيلوكسينوس المنبجي ·

(٣) سيرة مار سويريوس الانطاكي بقلم زكريا الفصيح ، وتاريخ سورية للدبس مج ٤ ص ٣١٦ ·

أحد كهنة انطاكية الى الاسكندرية حاملا الى بطريركها مار يوحنا (٥٠٥ ـ ٥١٦) رسالة الايمان والسلام · فبادله هذا مثلها · وقد تضمنت الرسالتان حرم المجمع الخلقيدوني وطومس لاون الروماني ، كما أخبرنا المؤرخ زكريا الفصيح المعاصر لهذه الأحداث[٤] · وبعد مديدة تخلى عن يوحنا وحازب مقدون القسطنطيني (٤٩٥ ـ ٥١١) ويوحنا الاورشليمي الخلقيدونيين · وفي هذه الاثناء انضم أساقفة اسورية الى صف مار فيلوكسينوس الذي أعد رسالة في مقومات الايمان الصحيح ، ضمّنها حرم القائلين بالطبيعتين بعد الاتحاد ، وسألوا فلابيانوس ومقدون أن يوقعاها ، فأبيا[٢] · وقد رفع مار فيلوكسينوس هذه الرسالة الى انسطاس الذي تلاها أمام المجلس[٥] ·

---

(٤) تأريخه مج ٢ ص ١٤ و ١٥ ·

(٥) فيه ص ٤٧ و ٤٨ ·

الفصل الحادي والعشرون

اشتراكه في عزل مقدون القسطنطيني

لم يكن مقدون أقل من فلابيانوس تذبذبا في مذهبه · فبعد أن وقّع عند تنصيبه ، هنوطيقون زينون[1] ، إنحاز الى اليساريين ، وتبادل وايليا الاورشليمي الآنف الذكر رسائل الايمان[2] ، وأقام تذكارا سنويا لنسطور ، وجمع من مصنفات ديودوروس وثاودوروس ومن تاريخ المجمع الخلقيدوني تأليف ثاودوريط ، كتابا كسره على ٣٤٠ فصلا ونحله ملافنة الكنيسة القديسين ، ولا سيما مار كيرلس الاسكندري ، مموها على البسطاء ان هذا القديس كان يعترف بطبيعتين للمسيح بعد الاتحاد[3] ·

في سنة ٥٠٨ عقد انسطاس مجمعا مسكونيا في القسطنطينية لبحث قضايا الايمان التي كانت تقلق بال

---

(١) سيرة مار سويريوس وتاريخ سورية للدبس مج ٤ ص ٢٨٩ ·

(٢) تاريخ سورية للدبس مج ٤ ص ٣٢٠ ·

(٣) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٣٩ و ٤٠ ·

الكنيسة يوم ذاك · فحضره جمهور من الاساقفة يتقدمهم مار فيلوكسينوس المنبجي · كما حضره الراهب سويريوس السوزوبولي رئيس دير مار رومانوس ـ غزة ، مع متّتي راهب من فلسطين والشرق · وقد واصل المجمع أعماله لمدة ثلاث سنين ، معيدا النظر في قرار المجمع الخلقيدوني وطومس لاون الروماني اللذين حرمهما · وبأمر انسطاس فتح آباء المجمع صندوق الشهيدة أوفيمية وأخرجوا منه طومس لاون والنسخ الاصلية لقرار مجمع خلقيدون ، وأحرقوهما بالنار · ثم بحثوا قضية مقدون المومأ اليه ، فانبرى الراهب سويريوس ينقض سفاسف كتابه بالبراهين القاطعة · واجابة الى طلبه ، استحضر القيصر انسطاس من الاسكندرية . النسخ الاصلية لمقالات ورسائل مار كيرلس · وعلى ضوئها . وبحضور قضاة من قبل القيصر ، كشف سويريوس عن ٣٣٠ موطنا من تصانيف الأئمة زوّرها مقدون في كتابه · وفي أعقاب ذلك التمس سويريوس من انسطاس أن يسأل مقدون اذا كان يعترف « بأن واحدا من الثالوث الاقدس تجسد من أجلنا وصار انسانا بدون تغير ، وولد من مريم ، وان التي ولدته هي والدة الاله » أم لا · فأوفد اليه انسطاس ، البطريق قائد الجيش والحاكم قيلاروس اللذين ما ان وجّها اليه هذا

السؤال حتى نفر منهما قائلا : انه لن يعترف بهذا ولئن قطع لسانه[٤] . فأمر القيصر في الحال بعزله ونفيه الى اووسا[٥] . فعزله المجمع وكان ذلك سنة ٥١١ . وفي آب هذه السنة خلفه القديس طيمثاوس .

وبعد هذا المصير الزري الذي آل اليه مقدون ، أليس من التدجيل والتزوير أن يقول الدكتور أسد رستم عن قديسنا مار فيلوكسينوس « أمر انسطاسيوس بوجوب مثوله في القسطنطينية فامتثل ومثل بين يدي الامبراطور. ولكن مقدونيوس لم يسمح له بالمثول أمامه لتقبيل يده . فاضطر فيلوكسينوس أن يفر من العاصمة تحت جناح الظلام »[٦] .

---

(٤) سيرة مار سويريوس بقلم زكريا الفصيح .

(٥) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٤١ ـ ٤٨ .

(٦) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٣٥٤ و ٣٥٥ .

الفصل الثاني والعشرون

ظفره بعزل فلابيانوس الثاني

لقد ظل فلابيانوس الثاني الانطاكي ، متمسكا في ضلاله ، رغم النهاية التعساء التي بلغها سنده الاكبر مقدون القسطنطيني ، ورغم ما قام به لصالحه في القسطنطينية الراهب سويريوس الآنف الذكر ، من تفسير بنّاء لرأيه ، كي يرفعه الى سمو التعليم الصحيح، مخففا بذلك من غلواء الذين ناهضوه[1] . وزاد أن نبذ هنوطيقون زينون ، واضطهد رهبان الشرق والنساك الارثوذكسيين ، ولا سيما رهبان دير طورغيس من أعمال أفامية الذين هربوا الى فلسطين ، وكان عددهم يناهز المئة[2] .

ولما كان مار فيلوكسينوس عارفا بمواطن الضعف في فلابيانوس ، التمس من القيصر انسطاس أن يعقد

(١) سيرة مار سويريوس بقلم زكريا الفصيح وأخرى بقلم يوحنا رئيس دير أفتونيا.
(٢) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٥٠ ـ ٥٤ .

مجمعا شرقيا في صيدا سنة ٥١٢ ٠ فأجاب القيصر الى ملتمسه ٠ وقد حضر المجمع ثمانون أسقفا بينهم فلابيانوس ٠ كما جاء اليه عدد وافر من رهبان الشرق الغيارى على الايمان ، وقدموا الى آبائه معروضا كسروه على سبعة وسبعين فصلا ، تضمنت الايمان القويم نقضا للمجمع الخلقيدوني وطومس لاون الروماني ، بشهادات الملافنة الارثوذكسيين ٠ بيد أن فلابيانوس ومن حاز به كانوا يرون تأجيل ذلك مكتفين بحرم مؤلفات ديودوروس وأشياعه ، والردود التي عملت على فصول كيرلس الاثنيعشر ، ونسطور(٢) ٠

أما الاساقفة الذين ناهضوا فلابيانوس في هذا المجمع ، فكانوا عشرة فقط ، أورد خبرهم مارفيلوكسينوس على النحو التالي : « انه حين أمره الملك بالرسائل وبواسطة الحاكم بالشخوص الى صيدا ، اجتاز وأربعة من أساقفة مترو بوليتيته بمدينة قنسرين حيث فصل أسقفها شمعون عن شركة فلابيانوس واصطحبه معه ٠ وتمكن في طرابلس من فصل نيقيا أسقف اللاذقية وبطرس أسقف حلب اللذين كانا في طريقهما الى صيدا تلبية لدعوة فلابيانوس نفسه ٠ وفصل في بيروت أسقفها مارينا وتوما أسقف حنصرة

(خناصير)[٤] الذي وجد فيها يومئذ[٥]. واذ رأى هؤلاء تمسك فلابيانوس برأي مقدون ، قرروا عزله . واتقد مار فيلوكسينوس غيرة و توجه الى انسطاس بعدد كبير من أولئك الرهبان ، وأنهى اليه كل ما جرى في المجمع ، باسطا بين يديه أمر فلابيانوس . فأمر القيصر بعزله ونفيه . فتوجهوا من ثم الى انطاكية بمظاهرة صاخبة ، قتل فيها بعضهم وأثخن البعض الآخر بالجراح حتى عزل فلابيانوس[٢] .

ولما عزل مجمع صيدا فلابيانوس ، انتخب بالصوت الحي الراهب سويريوس المشار اليه ، ليخلفه في الكرسي الانطاكي . وبعد أن صدق القيصر هذا الانتخاب ، استدعاه آباء المجمع من ديره الى صيدا ، ثم أخذوه الى انطاكية التي دخلها دخول الفاتحين في ٦ تشرين الثاني سنة ٥١٢ . وفي هذا اليوم أجلسوه على السدة البطرسية باحتفال مهيب اشترك فيه اثنا عشر أسقفا يتقدمهم مار فيلوكسينوس المنبجي . وقد أمضى مار فيلوكسينوس مع اثني عشر أسقفا ، العهد الذي كتبه وأمضاه مار سويريوس لرؤساء الاديار والرهبان الارثوذكسيين في الشرق[٦] .

---

(٤) تقع الى جنوبي حلب وشرقيها وعلى بعد ستين كيلومترا عنها .

(٥) رسالته الثانية الى شمعون رئيس دير تلعدا ، وقد أنفذها من منفاه في فيليبوبولي ـ تراقية .

(٦) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف ج ٢ ص ٢٩٤ ـ ٢٩٧ .

وكأنّ جهاد مار فيلوكسينوس هذا في سبيل الارثوذكسية أوغر صدر أسد رستم ، أخذ يتحامل عليه قائلا : « أوعز اليه انسطاس أن يداعب فلابيانوس ليحرجه فيخرجه ٠ فلما قضت الظروف بالعمل للطبيعة الواحدة ، أعلنها فيلوكسينوس حربا لا هوادة فيها على فلابيانوس مدعيا انه كان لا يزال يقول بالنسطرة ٠٠٠ وان آباء مجمع صيدا أفحموه وتركوه معتقل اللسان ٠٠٠ وخرج من المجمع ساخطا حاقدا ٠٠٠ وان أعمال المجمع انتهت بانتصار الارثوذكسية (أي الخلقيدونية) على المونوفيسية الخ »[٧] ٠ لا ندري لماذا كل هذا التباكي على فلابيانوس ٠ ألم يكن متلونا في مذهبه تلون الحرباء ؟ ألم يكن في أول أمره أرثوذكسيا ، فتعهد عند اقتباله رتبة البطريركية بأنه سيبقى حتى النسمة الاخيرة أمينا على جوهرة الارثوذكسية ؟ أما خان الامانة بعد هذا واعتنق النسطرة فالخلقيدونية ؟ فهل يستحق البقاء على كرسي انطاكية العظمى شخص كهذا دأبه التنقل ما بين الارثوذكسية والنسطرة والخلقيدونية ؟ وما ذنب فيلوكسينوس بعد هذا اذا ما أعلنها عليه حربا لا هوادة فيها ؟ أيصح أن

---

(٧) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٧ ٠

يقال انهكان يداعبه ليحرجه فيخرجه؟أم انه كان يذود عن ذمار الحق الذي زيّفه فلابيانوس في فيه ؟ فلو حكّم أسد رستم الضمير الحي ، لعلم انـــه لم يكن بين أولئـــك الخلقيدونيين الذين ساندوا فلابيانوس في مجمع صيدا من هو أهل لأن يصب ماء على يدي فيلوكسينوس ، وهو من عرفت فارس الميدان الذي لا يبارى ولا يجارى. وهل ان انتهاء المجمع بعزل فلابيانوس ونفيه . يعد انتصارا للخلقيدونية على الارثوذكسية ؟



الفصل الثالث والعشرون

مساندته البطريرك مار سويريوس الكبير

لقد بذل مار فيلوكسينوس قصارى جهده في مساندة البطريرك مار سويريوس الكبير ، في لمّ شعث المؤمنين وتوحيد صفوف الاساقفة والاكليروس والرهبان ۰ وكان أول ما أتاه من هذا القبيل ، حثه اياه على عقد مجمع في انطاكية سنة ۵۱۳ ۰ وقد حضره بتشجيعه ، جميع الاساقفة الشرقيين الذين لم يحاسب بعضهم بعضا عما مضى ، حبا بسلام الكنيسة ، بل اكتفوا بتوقيعهم عزل فلابيانوس ، وحرمهم مجمع خلقيدون وطومس لاون ، واعترافهم بهنوطيقون زينون ، كما حدثنا مار فيلوكسينوس نفسه عن هذا الامر بالتفصيل[۱] ۰ وفي أعقابه أنفذ مار سويريوس الى مار طيمثاوس القسطنطيني رسالة مجمعية بأسمائهم وتواقيعهم[۲] ، وأخرى الى يوحنا الثاني الاسكندري[۳] ۰

---

(۱) رسالته الثانية الى شمعون رئيس دير تلعدا وقد مر ذكرها ۰

(۲) رسائل مار سويريوس الانطاكي طبعة بروكس مج ۱ ص ۳۲۱ ۰

(۳) اللؤلؤ المنثور ص ۱۸۲ ۰

ذكر مار فيلوكسينوس ان مار سويريوس عَزل في هذا المجمع ثلاثة أساقفة هم ابيفان أسقف صور وشقيق فلابيانوس المعزول، واسقفا الرستن وشيزر من مترو بوليتية أفامية ، لاصرارهم على عنادهم وتمردهم[٤] .

وفي السنة التالية آزره في عقد مجمع آخر في مدينة صور لتوطيد صلح الكنائس . وقد حضره مار فيلوكسينوس بنفسه مع أساقفة مترو بوليتيته وأساقفة كورة انطاكية وأفامية وفينيقية لبنان وبلاد العرب والفرات واسوروين وما بين النهرين . وفيه شرح مار سويريوس هنوطيقون زينون . وقد أقر الآباء حرم المجمع الخلقيدوني وطومس لاون الروماني ، وكتبوا بذلك الى مار يوحنا الثاني الاسكندري ومار طيمثاوس القسطنطيني ، اللذين سرا وهنآهم بهذا التوفيق المبين . وكتب اليهم ايليا الاورشليمي أيضا موافقا[٥] .

وكان مار سويريوس بدوره يُجل مار فيلوكسينوس المنبجي ويستشيره في تذليل العقبات التي كانت تعترض سبيله ، كما ينجلي من المسألتين التاليتين[٦] :

---

(٤) رسالته الى سائر الرهبان الارثوذكسيين في الشرق ، في سياسة الكنيسة .

(٥) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٥١ ـ ٥٦ .

(٦) الكتاب السادس من رسائل مار سويريوس المختارة طبعة بروكس ، لندن ١٩٠٢ ، مج ١ ص ١٠٠ و ١٠١ و ١٤٥ و ١٤٦ .

١ ـ كان فيلوكسين أسقف دلوك ، وهو ابن أخت مار فيلوكسينوس المنبجي ومن متروبوليتيته ، قد حرم قسيسا يدعى روميلوس . فشخص هذا الى انطاكية يعرض أمره على مار سويريوس . واذ شفع فيه كثير من الشخصيات البارزة في معروض رفعوه الى مار سويريوس ، كتب مار سويريوس الى المنبجي ليكتب الى أسقف دلوك ليحله . كما كتب بهذا الى أسقف دلوك نفسه يخبره بأن المنبجي أيضا سيكتب اليه بهذا .

٢ ـ كان فلابيانوس الثاني قد رسم في انطاكية فريقا من الكهنة بالسيمونية . فلما عُزل مُنع هؤلاء عن ممارسة الخدم الكهنوتية . فتقدموا من المنبجي ومن أساقفة المتروبوليتيات الاخرى ملتمسين أن ينالوا الحل ، بدعوى أنهم أتوا الامر جهلا . ثم رفعوا الى مار سويريوس جملة رسائل تشفع فيهم . واذ لم يأبه لهم ، شخص بعضهم الى القسطنطينية حيث عرضوا رسائل من هذا القبيل على وكلائه وأصدقائه الخلّص الذين رقّوا لهم وكتبوا اليه يعاتبونه على عدم حله اياهم . ولما عادوا الى انطاكية أيضا أثاروا قضيتهم في بعض الاوساط . واذ لم يكترث لهم في هذه المرة أيضا ، توجّهوا الى الاديار حيث استدرّوا

عطف رؤسائها الذين ذرفوا الدمع على فعلتهم أكثر منهم، وكتبوا الى مار سويريوس يلتمسون منه أن يحلهم · وازاء هـذا الضغط المتزايد من كل صوب وحدب ، كتب مار سويريوس الى مار فيلوكسينوس قبل عيد الدنح (الغطاس) يسأله اذا كان هؤلاء أهلا لأن ينالوا الحل في هذا العيد أم لا · ويرغب اليـه ، في حالة السلب ، أن يتوجه بعد العيد الى انطاكية العظمى ومُحبة المسيح ، ويساعده في الرأفة بهؤلاء الذين أخطأوا جهلا ، مع الحفاظ على سلامة القوانين · ذلك بأنهم ادعوا انهم لم ينتبهوا للجرم ، لان الذين حرضوهم عليـه انما أخفوه تحت ستار البركة (الهدية) · والظاهر من هذه الرسالة انه كان قد سبق لمار سويريوس ومار فيلوكسينوس المنبجي أن عالجا هـذه المسألة دون أن يتوصلا الى نتيجة ·



الفصل الرابع والعشرون

مار سويريوس يشيد بفضائله ويدافع عنه

مما يدل على إجلال مار سويريوس ، الكبير ، لمار فيلوكسينوس المنبجي ، اذاعته فضائله على رؤوس الاشهاد سنة ٥١٤ في أثناء وجوده في مدينة قورش احدى الاسقفيات الخاضعة لمتروبوليتيته ، وذلك في نطاق زيارته الرسولية لبعض الابرشيات اللائذة بكرسيه الرسولي . فقد ألقى فيها بحضوره ثلاث خطب رنانة في التجسد الالهي والعقيدة الارثوذكسية ، ردا على تجاديف ثاودوريط أسقفها الاسبق بنوع خاص[١] . ومما قاله في الاولى عن مار فيلوكسينوس: « انه حين يفكر في الجالس على كرسي رئاسة هذه الكنيسة، يضطر الى القول انه لن يقول شيئا جديدا بالنسبة اليهم . ذلك بأن راعيهم يرعى الرعية الناطقة بالمعرفة العقلية والروحية والرعوية بكل ما في الكلمة من معنى . فهو يقودها الى مرعى صالح خالص من كل نبتة مضرة ، ويوردها الى مياه الراحة الصافية الخالية من الكدر والعكر .

---

(١) « خطب المنابر » لمار سويريوس طبعة موريس بريير مج ١ ص ٩٩ ـ ١٣٩ .

كيف لا والرعيــة أيضا تعرف صــوت راعيها وتتبعه بانبساط . ولا تنفر منــه كمــا من كلام الغريب » .
وأردف : « انه بناء على ذلك لن يكرز لهم بيسوع آخر لم يكرز به راعيهم الصالح ، ولن ينادي ببشارة أخرى لم يقتبلوها ، ولن يضع أساسا آخر غير الموضوع ، لكنه يبني باحكام عــلى الاساس المتين الذي وضعه راعيهــم كمهندس حكيم » . وبعد أن استرسل في الكلام عن الايمان، وجّه الكلام الى مار فيلوكسينوس قائلا : « هذا هو أساس تعاليمك يا راعي هذه الرعية الناطقة . لقد قُتَّ خرافك من مرعاك لا من مرعى غريب . هذه الخراف التي ستقيمها أمام الرب يوم الدين العظيم ، فتقتبل أجر وكالتك التي طردت الذئاب وجعلت الخراف تصمّ آذانها عن ســماع صوت الاجراء ، فتسمع بدورك صوت الثناء من الديان القائل : أحسنت أيها العبد الصالح الأمين ، قــد وجدت أمينا في القليل فسأقيمك على الكثير ، أدخل الى فرح ربك » .

ولمّح في الثانية الى ما ورد في الاولى قائلا : بما انه رأى أن الاساس قــد وضعه جيدا هــذا المعلم ورئيس مهندسي هذه الكنيسة الحكيم ، الاساس الذي رسخ عميقا ، فهو يبني على هذا الاساس المتين .

واختتم الثالثة بقوله : « لقد أقام الله هذا الشيخ

القديس راعيا حاذقا لمتروبوليتيتهم ، مكافأة لهم عن ايمانهم الصحيح القويم ، فجاءهم بملء بركة المسيح ، وبامكانه أن يمنح بنيه بركات حقيقية فعالة على غرار أبينا يعقوب الذي كان قد شاخ وشبع أياما مفعمة بالفضائل » •
وأردف : « ولولا أن أضعفه الزمان والمرض ، إذن لوقف عند سماعه هذه الاقوال ، وأطلق لسانه الفصيح ضد تعاليم الهراطقة • انه لا يزال يغار للرب ، بل بهذه وحدها لم يشخ • وما زالت فتوته تتجدد بالنشاط ، وما زال هو يشبّ بالروح » •

ولا أدل على حبه العميق له من دفاعه العنيد عنه • ففي سنة ٥١٦ توفي سولون رئيس أساقفة سلوقية اسورية • وكان الاسوريون الى هذا الحين خلقيدونيين يراجعون فلابيانوس الثاني المعزول ، فتبادلوا ومار فيلوكسينوس المنبجي رسائل في صدد اتحادهم مع الكنيسة • فكتب اليهم مار فيلوكسينوس عن طريق الجدل ، مستشهدا بكتاب هنوطيقون زينون ، كأنه كاف في ما يخص الايمان ، وملمحا الى شركته مع مدبر كرسي الاسكندرية ، وكان قبلا خلقيدونيا ، والى عدم خلعه أسماء الهراطقة من كنائس أبرشيته • وهكذا اذ ترفع عن المغالاة في استقصاء عقيدتهم ، انفصلوا هم وغيرهم عن شركة فلابيانوس وانضموا الى

مار سويريوس • فلما انتهى الامر الى الاسكندرية ، ساء قسوسها الذين كتبوا الى مار سويريوس يلومونه لقبوله الاسوريين دون استقصاء عقيدتهم ، وعلى أساس كتاب الهنوطيقون « الغير الكامل » فقط • واستدركوا ما كانوا قد كتبوا به هم الى رئيس كرسي أورشليم والى اسطيفان الاسوري « بأن الهنوطيقون يتضمن صورة كاملة للايمان القويم » . قائلين : « انهم انما فعلوا ذلك إداريا ليس الا » •

وفي جواب مار سويريوس لهم يقول : أية نقيصة للاسوريين في هذا الامر ، في حين انهم بكتاباتهم دعوا فيلوكسينوس الى الاكمل ؟ واذ ترفع هو عن المغالاة في استقصاء عقيدتهم ، انفصلوا هم وغيرهم عن شركة فلابيانوس واتحدوا معه ، وصرّحوا كتابة بنقصان الهنوطيقون • واستطرد : « ان كان ما كتبه الاسوريون الى فيلوكسينوس يُعدّ جريمة ، فالاولى أن ينحي هو أيضا باللوائم على بعض منهم ، لتحريضهم اياه يوم كان في القسطنطينية[٢] ، على مقابلة فيلوكسينوس وفحص معتقده »[٣] •

---

(٢) لا ندري فيما اذا كان يعنى هنا وجوده في القسطنطينية يوم كان راهبا أم زيارة أخرى لها قام بها في عهد بطريركيته •

(٣) رسائله طبعة بروكس مج ١ ص ٢٩٥ ــ ٣٠٥ •

الفصل الخامس والعشرون

تسفيه المبتدعين برصود ايلي ويوحنا الافامي

اسطيفان برصودايلي ، كاتب سرياني . ولد في الرها في النصف الثاني من المئة الخامسة. ترهب وتنسك في ميعة صباه ، وتضلع من آداب اللغتين السريانية واليونانية. رحل الى مصر حيث لازم مبتدعا اسمه يوحنا، لقّنه مذهب « وحدانية الوجود » ، أي ان الاله الواحد هو كل الكائنات ، وان كل طبيعة مساوية في الجوهر للذات الالهية والجوهر الالهي[1] . وقد أخبرنا مار فيلوكسينوس أن برصودايلي طوى كتابا على تعليم سخيف هو شر من الوثنية واليهودية ، اذ اعتبر الله خلقة ، وقال ان كل شيء حتى الشياطين والحيوانات والحشرات ، سيصير مثله ، وسيضحي طبيعة واحدة معه كأعضاء الجسم الواحد[2] . وكذّب بأبدية أعذبة جهنم[1] قائلا : ان الخاطىء يتعذب

---

(١) اللؤلؤ المنثور ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

(٢) رسالته الى ابراهيم وأورسطس قسيسي الرها ، وقد نقلت لنا من مخطوطة في الخزانة الفاتيكانية رقم ١٠٧ .

بالنظر الى المدة التي ارتكب فيها الخطيئة ، سواء أكانت سنة أم أقل أم أكثر ينضمّ بعدها الاشرار الى الأبرار[٣] . وكذّب كذلك بالاسفار القدسية ، وشجع على ارتكاب المحرمات ، ومنع من هداية الوثنيين واليهود والهراطقة . وعلّم بالغاء العماد وتناول الاسرار الالهية . كما كذّب بالدينونة زاعما أن الجميع سينالون الجزاء بالسواء[٢] .

ذكر مار فيلوكسينوس أن بعض الذين يوثق بكلامهم ، نقلوا له انهم دخلوا مرة غرفته فوجدوه قد كتب على الجدار « ان كل طبيعة هي من الذات الالهية » . واذ أمعنوا في تقريعه على هذا التجديف ، خاف وخلع الكتابة . وقد اطلع مار فيلوكسينوس على شرحه لبعض المزامير ، فقال : انه سماه « استعلانات ورؤى » ، وادعى أن الفهم الصحيح للاسفار انما أعطي له وحده . بل سمى الاسفار القدسية « أحلاما » وشروحه لها « تفسير الاحلام » .

ونحو سنة ٥١٠ قام بزيارة مار فيلوكسينوس وحاول استمالته الى بدعته . بيد ان هذا الملفان القديس سفهها ، مبينا انها عين البدعة التي حرم بسببها أوريجانس . فلملم كتبه وغادر الرها ليلا الى فلسطين . وذكر مار

---

(٣) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٣١٢ .

فيلوكسينوس انه لم يكن يومذاك قد وقف تماما على مكنونات تجديفه ، ومع هذا فانه كتب اليه رسالة بواسطة تلميذ له اسمه ابراهيم ، مشددا عليه النكير[٤] • وفي فلسطين أشاع أن تعليمه قبل في الرها ، وان مار فيلوكسينوس قد أطراه كثيرا • وبعد مدة أرسل بعض أعوانه الى الرها ، حاملين الى قسيسيها ابراهيم وأورسطس رسائله ومصنفاته . وحرص على أن يخفى أمر مجيئهم عن مار فيلوكسينوس لئلا ينهار أمله • بيد أن أمرهم انكشف لمار فيلوكسينوس ، فكتب من ثم رسالة الى القسيسين المذكورين ، محذرا وشارحا مفاسد بدعته ، ناقضا سفاسفها • وقد أرفقها بصورة عن رسالته الآنفة الذكر الى المبتدع ، وسألهما أن يكتبا اليه بالتوبيخ الصارم قائلا : انه كان بوده أن يكتب عنه الى أسقف أورشليم ، الا أن أمور الايمان والشركة تحجز بينهما • وفي هذه الرسالة استعرض بدعة برصوديلي ونقضها بالتفصيل[٢] •

أما يوحنا الأفامي ، فهو الآخر سرياني • درس

---

(٤) تضاف هذه الرسالة الى جدول رسائله في اللؤلؤ المنثور ص ٢٣٠ ـ ٢٣٢ •

العلوم والطب في الاسكندرية حيث ابتدع وقال : « بأن الله هو كائن أزلي ، وعلى تمادي الزمان ولد سبعة بنين ، ولدوا هم أيضا بدورهم بنين كثيرين لا يحصى عددهم ، وكلما تولّد فكر في الله وفي الذين ولدوا منه ، ولدوا أقانيم حية » . ولما انقلب الى وطنه ، انفرد في البرية حيث تنسك وصنف كتبا في الفضيلة دس فيها مذهبه . ولما انتهى أمره الى مار فيلوكسينوس ، ناهضه ودك ديره وأحرق كتبه في قلب انطاكية[٥] .



(٥) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٣١٣ .

الفصل السادس والعشرون

نفيــــه

في ٩ تموز سنة ٥١٨ توفي القيصر أنسطاس بدون عقب ، فخلفه في اليوم التالي يوسطينوس أحد قادة الحرس الامبراطوري · وكان شيخا ، ينتمي الى مذهب رومة ، ومن مدينة مورينة التابعة لولاية كرسيها[١] · واذ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، متطفلا على السياسة وأهلها ، جاهلا علم اللاهوت[٢] ، بل كل شيء عن ايمان الكنيسة ، اقترح عليـــه مواطنوه التراقيون ، الاعتراف بالمجمـــع الخلقيدوني قائلين : ان ايطاليا أيضا ستسانده وستصبح المملكة واحدة[٣] · فأصدر في الحال مرسوما بوجوب ذكره في الكنيسة الى جانب المجامع الثلاثة الاولى[١] ·

كان فيلكس الثالث الروماني وأقاق القسطنطيني قد تراشقا الحروم سنة ٤٨٤ بسبب هنوطيقون زينون ·

---

(١) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٦١ و ٦٢ ·

(٢) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٣٦١ ·

(٣) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٦٥ وتاريخ الزمان أو التاريخ المدني لابن العبري ص ٧٨ ·

وقد حاول القيصر انسطاس تسوية الخلاف ، الا أن هورميزدا الروماني وقف عقبة كأداء في سبيل ذلك · فلما جلس يوسطينوس ، فوض الى ابن أخته القائد يوسطينيان تسوية الخلاف · فاتحد الكرسيان على أساس الاعتراف بالمجمع الخلقيدوني ،وحذف أسماء البطريرك أقاق والقيصرين زينون وانسطاس من الذبتيخا(٤) ·

وفي ايلول سنة ٥١٨ أثار يوسطينوس اضطهادا عنيفا على الارثوذكسيين ، ولا سيما الذين في ولاية الكرسي الانطاكي ، وأمر بقطع لسان البطريرك مار سويريوس الكبير ،ونفي الاساقفة الذين يرفضون المجمع الخلقيدوني · وقد أصدر أمره هذا باشارة بيطاليان قائد الفرقة البلغارية الذي كانت له كلمة نافذة في بلاطه ، وكان حاقدا على القديس سويريوس منذ عهد انسطاس ، اذ كان اشبينا لفلابيانوس الثاني المعزول · فاقتصّ منه العدل الالهي بعد مديدة ، فقُتل مع حارسه بولس وكاتبه قلر في بلاط يوسطينوس في أثناء مأدبة دعاه اليها(٥) ·

وقد حدثنا مار يوحنا الافسسي المؤرخ المعاصر لهذه

---

(٤) دائرة المعارف النيويوركية Religion and Ethics مج ٨ ص ٨١٤ ·

(٥) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٦٢ و ٦٣ ·

الاحداث المؤلمة . بأن الاضطهاد شمل خمسة وخمسين أسقفا بينهم قديسنا فيلوكسينوس المنبجي الذي نفي أولا الى تريص ثم نقل الى غنغرة[٦] ففيليبو بولي في تراقية ـ بلغاريا . ومن هذا المنفى أخبرنا مار فيلوكسينوس نحو سنة ٥٢٢ ان جميع الرهبان من انطاكية حتى حدود البلاد الفارسية ، ثاروا على أثر هذا الاضطهاد مستبسلين، وحرموا المجمع الخلقيدوني . بل ان كثيرين منهم كتبوا هذا الحرم على أبواب أديارهم . أما المؤمنون الانطاكيون فقد نزلوا الى الميدان وهم يصرخون بأعلى أصواتهم قائلين: فلتُطلَق الوحوش على الراغبين في الشهادة من أجل الايمان . في حين انه قُتل من رهبان كورتهم عدد وافر وأُثخن بالجراح عدد آخر . وكذلك استشهد في الرها كثيرون من الرهبان والعلمانيين .

ويأسف مار فيلوكسينوس لحرمان مدينة منبج وحدها هذه النعمة ، نعمة الاستشهاد والاعتراف . بل يتألم من بعض أهلها الذين هان لديهم الايمان فأحصوا أنفسهم بين المضطهدين ، ولا سيما رجال الاكليروس الذين تناسوا أتعابه في سبيل الايمان ، وكتبوا الى بولس الانطاكي

---

(٦) دائرة المعارف النيويوركية Religion and Ethics مج ٨ ص ٨١٤ .

الدخيل بأنهم كانوا في ظلام طيلة المدة التي رعاهم فيها فيلوكسينوس . والآن فقط خرجوا الى النـور لقبولهم المجمع الخلقيدوني وطومس لاون الروماني. وكأني بهم يكافئونه عـلى جهوده الجبارة في رعايتهم ، تبرأوا منه وجعلوه تحت الحرم أيضا كمبتدع قائلين : « لقد كان لهم أب قاس وشرير فتبرأوا منه » ، مع أن جميعهم الا واحدا اقتبلوا الرسامة منه . ويقول : انه لما بلغته هذه الاخبار ، ذرف دمعا غزيرا كأن لم يكن مستحقا أن يظل على الحق أولئك الذين تعلموا منه ، وأسلم الامر الى السيد المسيح ليقضي به أمام منبره الرهيب[٧] . قال هذا وهو لا يدري ان الله قد حفظ في منبج نفسها للشهادة للحق ، قسيسا أمينا على الوديعة المقدسة ، هو والد الامبراطورة ثاودورة .

وحين عيّره فريق من الاساقفة والرهبان والعلمانيين قائلين : انه لا يوجد في المتروبوليتية التي دبرها كل هذه المدة ولا في كورة مدينته ، راهب يغار على الايمان ، كما في الابرشيات الاخرى ، أجاب انها أديار صغيرة يضم كل منها خمسة أو عشرة رهبان . فماذا في وسعهم أن يفعلوا[٧]؟

---

(٧) رسالته الى رهبان دير ستينون (الرها) .

ذكر زكريا الفصيح ، ان برنيقينا الناسك العجائبي من دير مار حنينا ، حفزته الغيرة على الايمان ، فشخص الى القسطنطينية حيث نصح القيصر ووبّخه وجها الى وجه الامر الذي استحق شكر مار فيلوكسينوس في رسالة أنفذها اليه من غنغرة[٨] .



(٨) تاريخه مج ٢ ص ٨١ .

الفصل السابع والعشرون

تثبيته المؤمنين

لم يقف مار فيلوكسينوس مكتوف اليدين في منفاه ، لكنه منذ اللحظة الاولى أخذ يحبّر الرسالة تلو الرسالة ، يثبت فيها المؤمنين ويحذرهم من مغبة التورط في مزالق النسطرة والخلقيدونية · وذلك رغم العذابات الفادحة التي جرّعه غصصها أعداء الايمان · منها رسالتان الى شمعون رئيس دير تلعدا ، وثالثة الى سائر الرهبان الارثوذكسيين في الشرق ، ورابعة الى الرهبان الآمديين ، وخامسة الى رهبان دير سينون ـ الرها ·

ففي الثلاث الاولى بحث السياسة البيعية ، متبسطا في شرح الطرائق التي انتهجتها الكنيسة في العصور السابقة لقبول المرتدين من الهراطقة · والظاهر منها ان وفدا من رومة كان قد وصل الى سورية ، حاملا تعليمات جديدة بهذا الصدد ، تقضي باعادة رسامة وعماد المرتدين من الهراطقة ، وتكريس كنائسهم وتقديس مذابحهم · وكانت الاولى مطولة مدعومة ببراهين جمة تدحض ادعاء رومة ·

أما الثانية فقد تضمنت براهين جديدة • ومما قاله فيها:
« ان الآباء الاولين لم يروا قط أن يعيدوا تكريس الكنائس
التي كرّسها الاريوسيون ولا تقديس مذابحها ، كما فعل
الآن الذين وفدوا من رومة ، مظهرين عملا جديدا لم
يسلّمه الآباء الذين انما وافقوا على ذلك إداريا لئلا
يشككوا الناس • كيف لا وقد أحجموا عن التدقيق في
أمور كثيرة • لقد جئت بهذه البراهين لأدلل على عملي
أنا الضعيف ، اذ حذوت حذو الآباء وراعيت الادارة في
كل أوان ، لانها تجدي أكثر من الدقة التي تخسّر ،
وأشرت على غيري أيضا ليراعوها اذا أرادوا دوام أمن
الكنائس وثبات الايمان الحق • لانها هي المسيحية بالذات» •
وأردف : « ان الدقة التي تقلق الكنيسة وتزعزع الايمان
يجب أن تُعتبر إفكا وأمرا يُغضب الله ، أما الادارة التي
تثبت الايمان وتؤمّن الكنائس فهي عمل صالح يرضى به
ربنا وإلهنا • لذلك راعى الادارة في كل عصر أولئك الذين
عرفوا أن يدبروا الامور البيعية بحكمة ، بعكس ما يدعيه
الآن المنشقون عن الكنيسة » • وأما الثالثة فقد جاء فيها
قوله : « وحيث انهم يفتخرون « بالدقة » ، فليعلموا ان
«الدقة» تنشىء أحيانا بدعة كما ينجلي من أمر النوباطيين
الانقياء والعوديين الرهاويين » • وبعد أن تحدث عن

تصرف القديس كيرلس الاسكندري مع الاساقفة الشرقيين إداريا ، قال : « انــه فعل ذلك لا كمهمل أو من يجهل « الدقة » ، كهذا الاسقف الذي معي وأبناء مذهبه » · وينصحهم أن يتصرفوا بما يتفق والايمان وسلام الكنائس ويثبت حروم الهراطقة · أي أن يحافَظ عــلى الايمان القويــم ويظل حرم المجمــع الخلقيدوني وطومس لاون وأصحاب الطبيعتين ، وأن تحرم التعاليم الوقحــة التي وردت حديثا من رومة » · واستطرد : « وحيث يمكن استعمال « الدقــة » فليفعلوا ، والا فاداريا · وليقبلوا الاكليروس والرهبان في الكنائس والاديار بعد أن يحرموا كتابة ما ذكر أعلاه · أما العلمانيون فليفعلوا ذلك شفويا مقسمين بأنهم لن يعودوا الى النسطرة » ·

والرابعة ، ضمّنها درسا رائعا في واجبات الرهبان ، منها قوله : « ان الراهب الذي يفتر عن الغيرة لقاء عطية (رشوة) ، هو شريك يهوذا المسلّم · ذاك باع المسيح بالفضة ، أما هو فبحفنات من الشعير وبكِسر من الخبز · ذاك باعه مرة واحدة ، أما هو فيبيعه كل يوم · ان الراهب الذي يسكت عن الايمان رياء ، لا يعرف الله · ان الراهب الذي يفتر عن الغيرة حياء من السلطان ، لم يشعر بالمسيح · ان الراهب الذي يكون مــع كل أحد مثله ريــاء ، فهو

متلبس وجه شيطان · ان الراهب الذي يلبس المسيح ويصمت عن الحق ، فان لباسه هو برص جحزي · ان الراهب الذي تفتقده النعمة ويسكت عن الايمان ، فسيُسدّ فمه في اليوم الأخير مثل لجيون الشياطين » ·

والخامسة ، جاءت في ٩٦ صفحة ، وقد أشرنا اليها أكثر من مرة · وفيها بحث بالتفصيل عقيدة الكنيسة من جهة طبيعة المسيح ، وصلب الاله المتجسد ، وعبارة « والدة الاله » ، ناقضا عقيدة المجمع الخلقيدوني وطومس لاون الروماني ، بالاستناد الى آيات الكتاب العزيز وأقوال آباء الكنيسة ، منهم مار افرام السرياني · كما انه ذكر ما عاناه من الهراطقة قبل نفيه وبعده من المشقات · وقد جاء فيها ، ان الخصوم انقسموا بعد نفيه فريقين ، أحدهما ، أتباع الوفد الذي قدم من رومة وأنكر علنا تسمية مريم بـ « والدة الاله » ، « وان المسيح الذي صلب هو واحد من الثالوث » ، مؤكدا ان هذا هو رأي المجمع الخلقيدوني أيضا · والآخر ، اتباع أسقف أورشليم الذي سلّم بواسطة وكيله في القسطنطينية ، بالمجمع الخلقيدوني وطومس لاون الروماني وفقا لما رسمه وفد رومة ، ووافق تمويها على عبارة « والدة الاله » وعلى « ان المسيح الذي صلب هو واحد من الثالوث » ، مع

العلم ان هذين الامرين همــا نقيضا المجمع الخلقيدوني وطومس لاون الروماني ٠ لذلك ينصح قديسنا الرهبان ليبتعدوا عــن شركة أسقف أورشليم أكثر مــن شركة الرومانيين ٠ اذ فيما انه يسلّم برأيهم ، يتظاهر رياء بأنه ليس معهم ٠ ويقول : « ان بولس الهرطوقي الذي أُرسل الى انطاكية وصار الاول في بيعتها فوضويا ، وسماه الانطاكيون « بولس اليهودي » ، قد سلّم للذين وفدوا من رومة في كــل شيء ، ولذلك فهو لا يوافق على عبارة « والدة الاله » ولا على « ان المسيح (الذي صلب) هو واحد من الثالوث » ٠ بل لم يرض حتى الساعة أن يحرم نسطور ٠ وان جميع الاساقفة الذين اقتبلوا منه الرسامة إسما ، هم على شاكلته » ٠ وأردف : « فاذا شاء الاساقفة الذين لا يزالون في كنائسهم أن يسلّموا لهذا بولس أو لاسقف أورشليم أو للوافدين من رومة ، فهم في كل حال يؤيدون الشركة مــع نسطور ٠ اذ لا فرق في هــذا بين الرومانيين والفلسطينيين والقابض حاليا على زمام أمور كنيسة انطاكية ٠ فقد تغير المكان فقط ٠ أي بدلا من رومة دخلت أورشليم ٠ ذلك بأنهم اذ رأوا نفور المؤمنين من شركة الذين وفدوا من رومة ، نصبوا فخا آخر لاصطياد البسطاء وهو وجوب تسمية « والدة الاله » ٠

الفصل الثامن والعشرون

شهادته

لقد وصف مار فيلوكسينوس المنبجي في رسالته الآنفة الذكر الى رهبان دير سينون ، منفاه الاخير بالعبارات التالية : « لقد أرسلوني الى أمرّ وأقسى منفى ، وأقاموا علي حراسا من جميع الجهات ، لئلا يزورني أحد من العلمانيين ويستمع الي . انني مسجون في غرفة مساحتها اثنتا عشرة زراعا ، أقيم فيها أنا ومرافقيّ ، وهي فوق مطبخ البيمارستان ، حيث نختنق دائما بالدخان الكثيف . فاذا حُرمنا عون العناية الالهية ، قريبا سيفقد بصره كل منا . ولذلك التمسنا منهم مرات عديدة أن أُنقل الى السجن العام حيث جميع صانعي الشرور والقتلة ، ولم أجب الى ملتمسي . ذلك بأن أسقف هذه المدينة الذي أُسلمت اليه ليحرسني ، يكرهني كرها شديدا أكثر من الذين أسلموني اليه ، لانه هرطوقي ومن الذين يغارون كثيرا على المجمع المحروم « الخلقيدوني » .

أقام مار فيلوكسينوس في المنفى زهاء خمس سنين[1]، وهو يجاهد هكذا بصبر جميل جهاد الشهداء والمعترفين، ويرشد المضطهدين، ويدحض آراءهم الفائلة بأسطع البراهين، ويبعث بفتاويه الصائبة ورسائله العجيبة الى الرهبان والمؤمنين، يثبتهم في الايمان ويحذرهم من مغبة التورط في مزالق النسطرة والخلقيدونية. وفي العاشر من كانون الاول سنة ٥٢٢[2]، وبأمر أوفراسيوس الانطاكي[3] الدخيل، أطلقوا عليه الدخان بعد أن سدّوا

---

(١) بالضبط أربع سنين وثلاثة أشهر، أي من خريف سنة ٥١٨ الى كانون الاول سنة ٥٢٢.

(٢) لم نعثر على سيرة قديمة لملفاننا الكبير، حتى أن سيرته السريانية التي عربها سلفنا الطيب الذكر البطريرك افرام الاول برصوم، هي من القرن الثاني عشر أو ما بعده. كما أننا لم نقف على تاريخ وفاته بالسنة اليونانية التي كان يؤرخ بها الاقدمون، حتى أن التاريخ المسيحي الذي وضعه لها سلفنا في هذه الترجمة، لا وجود له في الاصل السرياني. والظاهر ان الذين جعلوها في الاجيال الاخيرة سنة ٥٢٣ م انما استنتجوها من قول المؤرخين أن مدة نفيه كانت خمس سنوات. على أن بعض المصادر المتأخرة جعلتها سنة ٨٣٥ ي. وكان المثلث الرحمات مار فيلوكسينوس يوحنا دولباني مطران ماردين وتوابعها قد تحرى ذلك في أواخر أيامه اجابة الى رغبتنا، وكتب الينا بأن تاريخها بالسنة اليونانية هو ٨٣٤، دون أن يشير الى المصدر الذي ورد فيه. فان صحت وفاته في كانون الاول سنة ٨٣٤ ي، فتكون السنة بالتاريخ الميلادي ٥٢٢ لا ٥٢٣. كيف لا وأن ما ورد في رسالة المنبجي الى رهبان دير سينون كما مر معنا، لا يتفق وسنة ٥٢٣ بل قبلها، ولا سيما ما يخص البطريرك بولس الدخيل.

(٣) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٣٦٣.

منافذ الغرفة ،فاختنقت أنفاسه الطاهرةوقضى لله شهيدا٠ فنقل ابن اخته فيلوكسين أسقف دلوك الذيكان يرافقه، جثمانه المقدس الى منبج ، حيث أودعه البيعة التي كان قد أنشأها ثمة ٠ وأقرت الكنيسة قداسته ، ورسمت له ثلاثة أعياد تذكارا لرسامته ووفاته ودفنه ، وهي في ١٨ شباط و ١٨ آب و ١٠ كانون الاول(٤) ٠

ذكر جميع الذين ترجموا لهذا الحبر الخطير ، ان استشهاده تم في مدينة غنغرة ـ بفلاغونيا المعروفة اليوم باسم كنغري في ولاية قسطموني ٠ وكلهم كما يبدو ، استندوا الى رواية زكريا الفصيح القائلة : « انه سجن في غرفة فوق مطبخ البيمارستان في غنغرة ، وأخذوا يطلقون عليه الدخان ليخنقوه ، كما كتب في رسالته ، ثم مات »(٥) ٠ وبما أن الفصيح يذكر مصدر روايته وهو

---

(٤) ورد في سيرته انه لما أصاب منبج الخراب ، حمل بعضهم رفاته الى طور عبدين ، حيث وضعوه في كنيسة شيدوها باسمه في مديات ، لا تزال ماثلة ٠ حتى اذا كانت سنة ١١٥٤ أصاب طور عبدين السبي والخراب ، فوقع صندوق ذخائره بيد الاعداء الذين طرحوا رأسه في السوق ٠ فخرج مقدم القسوس وخبأه في هيكل مار ابراهيم مرشد القديس مار برصوم الناسك الشهير ٠ وشهد بأنه أبصره محاطا بنور سماوي٠ وقد حوى دير قرتمين أيضا المعروف بدير مار كبرئيل ، بعضا من ذخائر هذا القديس الجليل ٠

(٥) تأريخه مج ٢ ص ٧٨ ٠

رسالة مار فيلوكسينوس ، وحيث أن مار فيلوكسينوس ضمن هــذا الخبر رسالته الى رهبان دير سينون كما مر معنا ، وحيث أن هذه الرسالة كتبت في فيليبوبولي ـ منفاه الثالث ـ كما هو ثابت في أعلاها . فينتج إذن ان الشهادة تمت في فيليبوبولي لا غنغرة • وبما ان زكريا الفصيح نفسه يذكر في مكان آخر من تأريخه رسالة شكر أنقذها مار فيلوكسينوس من غنغرة الى برنيقينا الناسك العجائبي من دير مار حنينا . فقد تكون غنغرة منفاه الثاني كما مر معنا •



الفصل التاسع والعشرون

نقض افتراءات خصومه في حقه

في عصر استأسدت فيه الثعالب واستنسر البُغاث ، قام بعض غلاة المعطلة ـ وقد استعصى في قلوبهم المراض داء من البغضاء دفين ـ بدعايات مغرضة وحملات مسعورة، يطعنون فيها على أهل الفضل بشتى الوسائل الخسيسة والاساليب البغيضة ،ويتجنّون على ذوي الامجاد من شخصيات سورية الفذة ،أمثال صاحب الترجمة والبطريركين الانطاكيين القديسين بطرس الثاني وسويريوس الكبير ، والقديس بطرس مطران أفامية والامبراطورة ثيودورة المنبجية ، هارفين في حقهم ما شاء لؤمهم ، سيرا مع الهوى والسياسة البيزنطية الاستعمارية الرعناء · وغايتهم أولا : طمس الحقائق الايمانية الوضاءة ، ثانياً : طمس اسم تلك الشخصيات التاريخية المرموقة ، بتشويه سمعتها وباذكاء نار الكراهية ضدها ، رغم ما سجّله لها التاريخ من صفحات نيرات خالدات في مضمار القيم الروحية والمُثل العليا والمبادىء الدينية والانسانية الفضلى ·

وقد نوه الدكتور أسد رستم بتلك المراجع الموبوءة في معرض كلامه عن صاحب الترجمة قائلا : وجاء في بعض المراجع أن فيلوكسينوس هـذا كان رقّا فارسيا اسمه أكسينائياس . ففرّ من بيت سيده وتزيّى بزي قس ، ودخل أبرشية انطاكية في أيـام كلانديون وعلّم بخلع الايقونات مـن الكنائس . وكان غـير معمَّد فطرده كلانديون . أما بطرس فانه سامه أسقفا على منبج وسماه فيلوكسينوس . وعلم انه غير معمّد ولكنه قال « لا بأس فالشرطونية تغنيه عن المعمودية »[1] . وهو يعني بتلك المراجع بنوع خاص لثونطس البيزنطي في أواسط القرن السادس . ونحن الذين نعيش في عصر النور الذي تتمزق فيه أنقبة الافتراءات كنسيج العنكبوت ، لا يمكننا أن نسامح أسـد رستم في نسجه على منوال أولئك المكابرين المتحاملين على قديسنا بما أملته عليهم الاغراض الشخصية البغيضة في عصر الظلم والظلام . والى القارىء الكريم البراهين الدامغة التي تنقض هذه الافتراءات من الاساس:

أولا ـ ان مار فيلوكسينوس هجر وطنه باجرمي ـ العراق مع أبويه وسائر أفراد عشيرته الى طور عبدين ،

---

(١) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ج ١ ص ٣٥٢ .

من جراء اضطهاد يزدجرد الثاني ملك الفرس (٤٣٨ ـ ٤٥٧) • وكان المترجم يومئذ لم يزل في ميعة الصبا • أي انه لم يكن رقاً فرّ من بيت سيده كزعم المفتري •

ثانيا ــ ان مار فيلوكسينوس كان من فحول العلماء الأدباء الفقهاء ، والملافنة اللاهوتيين المفسرين الجدليين • بل لم يكن في عصره من يجاريه في هذه الامور ،كما أثبتت نفثات قلمه التي تأخذ بمجامع القلوب : اذ درس العلوم الدينية وآداب اللغتين السريانية واليونانية في مدرسة دير قرتمين التي ترأسها مدة قبل سنة ٤٥١ ، وحاز العلوم الفلسفية واللاهوتية في مدرسة الرها بعد سنة ٤٥١ ، وتعمق بعد سنة ٤٥٧ في آداب اللغتين المذكورتين في مدرسة دير تلعدا الكبير في كورة انطاكية ، الامر الذي ما كان ليتسنى له لو كان رقاً كزعم المفتري •

ثالثا ــ ان مار فيلوكسينوس ترهّب ورُسم قساً في دير تلعدا ،أي انه لم يتزيّى بزيّ قس كتخرّص المفتري •

رابعا ــ ان مار فيلوكسينوس توجه الى انطاكية ليدافع عن هنوطيقون زينون القيصر ، فأغاظ جهاده

البطريرك قلانديون الدخيل وطرده من انطاكية[٢] • أي انه طرد يوم ذاك لا لكونه غير معمَّد وقد علّم بخلع الايقونات من الكنائس كزعم المفتري •

خامسا — ان ما علّم به مار فيلوكسينوس في انطاكية، لم يكن خلع الايقونات من الكنائس كزعم المفتري ، بل خلع أسماء البطاركة النساطرة والخلقيدونيين من ذبتيخا الكنائس كما مر معنا • ولم يكن ذلك في أيام قلانديون بل بعد طرده ، أي سنة ٤٥٨ لما دخل المترجم ثانية الى انطاكية صحبة القديس البطريرك بطرس الثاني •

سادسا — أما زعم المفتري ان مار فيلوكسينوس لم يكن معمّدا فتنقضه البينات التالية :

أ — انه ولد من أبوين مسيحيين فاضلين • ومن التقليد الرسولي السائد في بلاد المشرق ، أن يعمّد الطفل في اليوم الثامن من مولده •

ب — لو فرضنا جدلا انه لم يعمّد في طفولته ، وهو بعيد ، لكان عمّده أبواه بعدئذ إما في بلدهما أو في طور عبدين •

---

(٢) دائرة المعارف النيويوركية مج ٨ ص ٨١٤ •

ج ـ لو انه لم يعـَّمد في طفولته ، لعلم هو بذلك بعد ترعرعه ، ولطلب العماد سواء أكان عند انفراده في كوخه أم في أثناء وجوده في دير قرتمين أم في الرها أم في دير تلعدا الكبير ، وذلك قبل ترهـّبه واقتباله رتبة الكهنوت. كيف لا وهو الذي عمـّد بنفسه بعدئذ معظم أهل مدينة منبج ، وكتب في سر العماد المقدس أنصع الصفحات ، بل رتـّب طقسا مختصرا لعماد الاطفال المدنفين.

د ـ لم يذكر هـذا الامر المنكر أعداؤه النساطرة الذين عاصروه وبلوه عن كثب ، ولا سيما أبناء وطنه. مع أن كثيرا من كتبتهم قذفوه وقد غصـّوا به ، بقوارص تقمـّصت فيها نائرتهم ، لتشديده عليهم النكير[٣].

هـ ـ لم يذكر هذا الامر ولا أعداؤه الخلقيدونيون المعاصرون له. وكان أول من افترى عليه بهذا منهم ، لئونطس البيزنطي في أواسط القرن السادس كما مر معنا ، أي بعد استشهاد المترجَم بربع قرن.

و ـ ربما عنى الكاتب البيزنطي بهذا ، برصوم النصيبيني النسطوري الآنف الذكر ، الذي كان عبدا لمارا القردوي كما أثبت مار شمعون الارشمي سنة ٥١١.

---

(٣) اللؤلؤ المنثور ، حاشية ص ٢٢٧.

ذلك بأن البيزنطيين لم يُحسنوا التمييز ما بين آباء الكنيسة الارثوذكسية والنساطرة ، ولا سيما الذين من بلاد الفرس ·

ز ـ لم يدع هو نفسه مجالا للشك في هذا الامر الخطير · فقد صرّح في صورة ايمانه التي قدمها للملك زينون ، باقتباله هذا السر المقدس قائلا : « فباسم ذاك الذي مات قد اعتمدت · وان الذي اعتمدت باسمه ، اياه أعرف انه مات من أجلي · وان الذي اعتمدت باسمه وبموته ، أومن بأني اياه لبست من المعمودية كقول بولس · أجل ، انني لبست روحيا من الماء ، الروحاني الذي صار جسدانيا »[٤] ·

سابعا ـ واما افتراؤه على القديس مار بطرس الثاني بأنه قال : « لا بأس فالشرطونية تغنيه عن المعمودية » ففي منتهى الوقاحة · ذلك ان مار فيلوكسينوس كان مشرطَنا قبل أن يتعرف الى مار بطرس ، وان مار بطرس رفعه الى رتبة الاسقفية لا غير ·

وهنا يطيب لنا أن نثبت ما كتبه سلفنا الطيب الذكر

---

(٤) لقد فند هذه التهمة النكراء المستشرق الانكليزي واليس بدج أيضا في مقدمته على كتاب مقالات مار فيلوكسينوس ·

البطريرك افرام الاول بهذا الصــدد : قال : « ونحله لئونطس البيزنطي اسم عبد آبق لم يصطبغ بالمعمودية ! ونقل عنه بعض من تابعه على ضغائنه كثاودور القارىء ثم تأوفان ٠ وعنه نقل شدرانوس حتى تيلمون الفرنسي وبعض كتاب عصرنا ممن غلب عليه التقليد فلم يرجع الى رويّة ولا تمحيص » ٠ وقد بيّن سبب ذلك قائلا : « كان فقيها جدِلا لا يعيَى بخصمه جَدلا ٠ لم يقارعه مقارع حتى خُذلَ فهرول يشفي نفسه المضطغنة بذمه ٠٠٠ فبذل قصارى عنايته في حماية معتقد الكنيسة الارثوذكسية القويم ٠ وخاض غمار الجدل في مشكلات عصره المذهبية، وغلا في مناوأة النساطرة والخلقيدونية ، فغاظهم جهاده وشدة دفاعه ٠ فتنمر له غلاتهم وتجنّى عليه بعض كتّابهم بقوارع دلت على ما اشتملت عليه جعبة أحقادهم من بغض مقيت وكلام سخيف ورأي فائل ،وقد فنّدهم جميعا »(٥) ٠

(٥) اللؤلؤ المنثور ــ ص ٢٢٦ ــ ٢٢٧ ٠

الفصل الثلاثون

بعض نفثاته

كما ان الكيل الطافح لا يستوعب أيـة مادة أخرى ، ما لم يخل ما فيه ، كذلك النفس الطافحة بمخافة الله ، لا يمكن أن تندس فيها مخافة العالم أو أي شيء فيه لانها مجمعة بكلـّيتها على مخافة الله الحقة ٠

ان الجاهل من عادته أن يحتقر من اتضع له ٠ أما الحكيم فيزداد حبا له لتواضعه ٠ ذلك ان الجاهل لا بصيرة له لتبصر المحبة من خلال التواضع ٠

كما ان الرجل مقالة العثرات ، ما دامت العين مفتوحة للنظر ، كذلك النفس ، لا يعرف الخمول اليها سبيلا ما دامت بصيرة الايمان فيها صحيحة سليمة ، وهي تتبصر الامور السماوية وتتبينها ٠

ان الفتوة التي تتروض على الخير وتتمرس بالصبر منذ ميعتها ، هي كالحقل الذي يفلح أولا ثم يزرع ، كي يعطي أثمار المعرفة في حينها ٠

لا تستطيع المعدة المتخمة ، أن تولّد تفكيرا صائبا ، لان التخمة ولا شك تعمي البصيرة • وهذا أمر لا يشك فيه من تمرسوا بالمعرفة ، واذا شك الجهلاء فلأنهم لم يتمرسوا بها •

كما ان النائم لا يشعر بما يجري حوله ، هكذا من أغمض عين الايمان لا يشعر بالصلاح الصادر عنه ، بل هو كالاعمى الذي يقوده آخر •

لا شك في أن عبادتنا لا تكون لائقة بالله ولئن تجردنا من كل شيء وتجردنا فقط لحفظ وصاياه • وكيف تستطيع نفسنا أن تقدم لله عمل المحبة ، اذا كانت قوتها مجزأة ومنهوبة ومنزوعة منها بمحبة الامور العالمية ؟ ان هذه الوصية ثقيلة على المرتبط بمحبة المال • ومع انها تحرّر من العالم ، فهي عِضل عسيرة على المرتبطين بربقة العالم •

ان دار العالم للانسان ، انما هي كالبطن الطبيعي للجنين المجبول فيه • وكما ان الجنين الذي في البطن هو في ظلام وفي مكان معتم ورطب ، لا يشعر بأي من أمور هـذا العالم ، ولا يخطر على باله ، ما في الكون وفي دار العالم الكائن خارج البطن ، هكذا والانسان الحبيس في حياة العالم الجسدية ، والمغلف فهمه أيضا بظلام همومه ،

والمغشي عقله بدجى الاهتمام البشري ، لا يستطيع أن يشعر بالنعيم والثراء الكامنين في السيرة المسيحية ، بل لا تتجلى لـه الامور الروحية ، ما دام فهمه مغلفا بظلام الامور الجسدية ٠

ان الشره خصم لكل شيء ، وعدو لسائر النضالات البطوليـة ، ومعطل للاسـم الصالح ، ومعيق لجميـع الانتصارات ٠ ليس الانتصارات الروحيـة فحسب بـل الانتصارات الجسدية أيضا ٠ أجـل ، ان الشره يتنافى حتى والامـور التي تتحقق في العالم بالبسالة والقوة ٠ ذلك بان كل ما من شأنه أن يكتب شهرة ومجدا ، يتطلب البسالة والصحة وخفة الاعضاء والقوة الصحية ٠ في حين أن الشره هو نقيض هذه كلها ٠ فمتى ضعفت القوة من جراء الافراط في المآكل ، وتخلّت عن الاعضاء قوتها ، لا تكون متأهبة للأمور ولا سريعة لاعمال الصلاح ٠

كما ان الاناء ، لا يستطيع أن يلوم صانعه ، لِمَ صنعه هكذا ، أو أن يدين أحد أعماله ، هكذا ولا الانسان الذي هو إناء ناطق ، يحق له أن يلوم الصانع خالقه ٠ قد تكون له كلمة المعرفة ، إلا انـه لم يعطَها ليدين بها مشيئة صانعه ، بل ليكون ممجدا المعرفة التي أبدعتها ٠

خطأ وصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٣	١٤	القديس	القديسَين
٥٥	١٤	بالسزيان	بالسريان
٥٨	٤	القديس	القدس
٨١	حاشية	ص	ص ٣٥
٨٢	حاشية	ص	٧٨
١٣٧	٨	زراعا	ذراعا
١٤٣	١٦	يتزيّى	يتزيّ
١٤٤	٨	٤٥٨	٤٨٥

الخطأ والصواب للصفحات السريانية التالية حسب تسلسلها

١	١٤	ܡܫܡܫܢܐ	ܘܡܫܡܫܢܐ
٢	١١	ܕܪܫܢ	ܕܪܫܡܢ
٤	٧	ܡܫܡܫܠܗܘ	ܡܫܡܫܠܗܘܢ
٤	١٣	ܗ̈ܘܢ	ܗܘܘܢ
٤	١٩	ܐܦ	ܐܦܢ



ܡܢ ܡܟܬܒܢܘܬܐ ܕܩܘܕܫܐ ܡܪܝ ܦܝܠܘܟܣܝܢܘܣ ܕܡܒܘܓ
ܕܡܫܝܚܐ ܐܠܗܐ

ܐܝܟܢܐ ܓܝܪ ܕܡܢܝܢܐ ܕܡܬܐܠܐ ܡܢ ܡܕܡ ܠܐ ܡܫܬܡܠܠ ܡܕܡ
ܚܣܝܪ ܕܢܫܬܟܠ ܒܗ ܐܠܐ ܐܫܬܡܠܝ ܡܢ ܗܘ ܚܕܢܝܐ ܕܡܠܐ:
ܗܟܢܐ ܐܦ ܢܦܫܐ ܕܡܟܝܢܐ ܕܡܠܟܘܬܐ ܕܡܢ ܐܠܗܘܬܐ ܠܐ ܡܫܬܟܚܐ
ܕܐܫܬܟܠ ܕܡܠܟܘܬܐ ܕܡܢ ܟܠܡܕܡ ܐܘ ܡܕܡ ܚܣܝܪ ܕܐܝܟ
ܟܠܡܕܡ. ܕܟܝܢܐ ܗܘ ܟܠܗ ܟܠܗ ܗܘ ܚܕܐ ܕܡܠܟܘܬܐ
ܫܪܝܪܬܐ ܕܡܢ ܐܠܗܘܬܐ.

ܗܟܠ ܡܟܝ ܢܗܘܐ ܠܐܢܫܐ ܕܢܬܡܟܟ ܚܕܘ̄. ܡܫܝܚܐ
ܕܝܢ ܡܠܦ ܡܬܪܬܐ ܘܡܬܚܙܐ ܘܡܟܢ ܠܗ. ܠܗܠ
ܠܗ ܓܝܪ ܟܝܢܐ ܠܟܠܗܘܢ ܕܐܝܟܐ ܝܘܩܪܐ ܟܠܗ ܡܢܬܘܢܬܐ.

ܐܝܟܢܐ ܕܢܦܫܐ ܦܓܪܐ ܡܢ ܬܘܡܟܝܐ ܟܝܢܐ ܕܦܓܪܢܝܐ
ܟܝܢܐ ܠܚܝܐ: ܦܓܪܐ ܓܝܪܐ ܘܡܬܚܙܝܐ ܡܬܬܘܬܬܐ ܡܢ
ܢܦܫܐ: ܟܝܢܐ ܕܡܬܚܙܐ ܚܝܝܢ ܕܝܠܗ ܡܬܠܬܐ: ܡܬܚܝܢܐ
ܘܡܢܐ ܟܝܢܝܬܐ.

ܡܕܐܡܝܢܘܬܐ

ܬܫܡܫܬܐ ܓܒܪ ܕܡܢ ܣܘܪܝܐ ܡܬܡܠܟܢܐ ܬܟ̈ܒܬܐ
ܘܡܬܝܕܥܢܐ ܒܝܘܪܢܐ ܕܡܫܡܫܢܘܬܐ: ܐܝܟ ܡܫܡܠܐ ܗܘ
ܕܡܫܝܚܐ ܡܬܦܠܚܐ ܘܡܬܝܘܪܐ ܕܒܐܒܢܐ ܕܘ̇ܠܐ ܬܬܐ
ܦܠܓܐ ܕܡܝܒܬܐ.

ܒܪܫܐ ܒܒܝܬܐ ܗܘܐ ܦܓܪܐ ܕܐܘܟܝ ܠܐ ܡܕܪܐ ܡܟܬܒܬܐ
ܓܝܪ ܡܬܝܪܬܐ ܕܐܣܛܘܡܟܐ ܕܠܐ ܦܘܠܚܢܐ ܡܢܚܡܢܬܐ
ܗ̇ܘ ܕܗܘܝܐ ܘܟܠ ܗܘܐ ܠܒܝܬܐ ܐܝܟ ܡܢ ܐܘܟܝܢ ܕܢ̈ܦܫܗ
ܒܝܒܒܬܐ ܕܡܫܡܫܢ ܡܬܦܠܚܝܢ. ܘܐܦ ܡܬܦܠܚܝܢ
ܒܟܝܗ ܦܫ̈ܠܐ ܡܟܠ ܕܠܐ ܢܫܡܘ ܡܬܦܠܚܝܢ.

ܐܦܠܐ ܕܗܘ ܕܕܡܝ ܠܐ ܡܪܝܡ ܒܐܝܠܝܢ ܕܟܠ ܓܝܪܗ
ܗܘ̈ܝܢ: ܗܒܝܐ ܘܐܦܠܐ ܐܝܠܐ ܕܬܦ̇ܠܐ ܡܠܝܢ ܕܗܡܫܡܫܘܬܐ
ܦܓܪ ܒܬܦ̈ܝܬܐ ܕܡܫܝܢ ܡܬܦܠܚ̈ܝܢ. ܐܠܐ ܒܝܡܫܘܬܐ
ܦܫܝܛܐ ܕܡܢ ܐܝܢܝܐ ܡܬܝܕܥ.

ܡܫܐܠܬܐ ܕܪ̈ܘܚܐ

ܗܢܐ ܕܐܫܬܘܕܥܢ ܥܡ ܒܠܥܕܝܢ ܘܐܫܬܘܕܥܢ ܒܠܚܘܕ
ܠܚܘܒܐ ܘܕܢܛܪ ܦܘܩ̈ܕܢܘܗܝ: ܐܦܠܐ ܒܟܠ ܗܕܐ ܠܡܫܡܥܗ
ܠܐܠܗܐ ܐܢܫܐ ܒܡܫ̈ܝܚܝ ܚܝܠܐ ܕܒܥܝܢ ܘܟܠܗ ܘܥܡܟ
ܡܕܝܢ ܒܪܢܫܘܬܐ ܕܪ̈ܟܝܢ ܘܟܠܗܝܢ ܡܕܝܢ ܕܐܦܪܫ ܠܐܠܗܐ
ܦܘܠܚܢܐ ܕܚܘܒܐ ܡܫܪܝܢ ܦܘܩܕܢܐ ܠܐܢܫܐ ܕܐܫܪ
ܒܪܢܫܘܬܗ ܘܒܗܝܡܢܘܬܐ. ܘܟܕ ܝܗܒ ܚܝܘܬܐ ܗ̄ܘ ܕܥܡ ܟܠܗܘܢ:
ܐܠܐ ܠܐܢܫܝܢ ܕܐܚܝܕܝܢ ܒܦܘܩܕܢܗ ܘܒܟܠܗܝܢ ܒܝ̈ܫܬܐ ܘܥܡܗܘܢ.

ܐܘܪܚܐ ܕܫܪܝܪܘܬܐ

ܡܛܠ ܕܗܟܢܐ ܐܡܪ̄ ܒܡܫܝܚܘ ܕܟܠܗܝܢ ܒܟܬܒܐ ܐܝܟ
ܕܐܡܪܝܢ ܒܪܢܫܐ ܕܒܝܬܟܢܘܬܐ ܕܒܝܬ ܒܪܢ. ܘܐܝܟ ܕܐܡܪ̄
ܟܘܠ ܒܝܬ ܒܪܢܫܐ ܒܫܘܒܚܐ ܘܫܪܝܪܐ ܒܡܫܝܚܐ
ܘܬܘܕܝܬܐ ܒܒ ܒܝܬܐ ܕܥܡ ܢܒܝܝܢ ܕܟܠܗܝܢ ܢܒܝܐ ܠܐ ܡܢܗܘܢ
ܘܠܐ ܫܒܩܝܢ ܒܟܠ ܟܠܗ ܐܒܝܢ ܕܐܡܪ ܒܒܪܢܫܘܬܐ ܘܟܠܐܝܢ
ܕܟܠܗܐ ܢܒ ܕܐܡܪ̄ ܒܒܪܢ ܒܪܢܫܐ: ܢܒܝܐ ܐܦ ܒܪܐܫܐ
ܘܫܒܚ ܒܝܬ ܘܟܢܫܐ ܦܪܫܐ ܕܟܠܗܘܢ ܐܝܟ ܕܒܪܢܫܐ،
ܘܡܫܡܥ ܐܦ ܦܘܪܩܢܗ ܒܫܘܒܚܐ ܕܡܫ̈ܝܚܘ، ܘܡܫܚܡ
ܡܒܥܐ ܒܡܫܝܚܐ ܕܪܘܚܐ ܐܢܫܝܬܐ: ܠܐ ܡܫܡܫ ܕܢܦܫ
ܒܬܘ̈ܒܐ ܘܟܠܗܘܢ ܕܐܡܪ ܒܒܪܢܫܐ ܘܫܡܫܐ، ܘܠܐ ܡܬܚܫܒ ܒܗ
ܘ̈ܫܡܫܬܐ ܒܟܠܐ ܘܫܡܫ ܦܘܪܩܢܗ ܒܫܘܒܚܐ ܕܦܪ̈ܝܫܬܐ.

ܬܫܥܝܬ ܒܪܢܫܐ

ܡܫܘܟܠܐ ܢܘܦܠܐ ܐܝܬܝܗ ܬܫܥܝܬ ܒܪܢܫܐ ܕܟܠ ܡܕܡ ܘܕܟܠܒܕܟܬܐ ܗܘ ܟܟܠܗܘܢ ܠܚܝܘܬܐ ܕܡܟܠܡܬܐ. ܡܕܡܟܠܡܬܐ ܗܘ ܕܥܡܐ ܠܟܠܐ ܘܡܟܘܟܠܡܬܐ ܗܘ ܕܟܠܗܘܢ ܚܝܘܬܐ. ܠܗ ܟܠܗܘܢ ܕܚܝܘܬܐ ܘܚܝܠܐ ܠܐ ܐܦ ܕܚܝܘܬܐ ܦܪܝܫܬܐ. ܐܦ ܠܒܪܢܫ ܓܝܪ ܕܗܘܐ ܦܪܝܫ ܟܠܟܢܫܐ ܒܡܠܟܘܬܐ ܘܚܝܠܐ: ܡܫܘܟܠܐ ܗܘ ܕܝܠܗ ܒܪܢܫܐ. ܒܗܘ ܕܟܠ ܡܕܡ ܕܐܬܝܗܘܢ ܕܥܡܐ ܘܐܬܡܫܡܫܐ ܠܡܠܟܘܬܐ ܫܡܝܐ ܠܗ ܘܡܠܟܘܬܐ ܕܡܠܟܐ ܠܗ ܘܟܠ ܡܠܟܘܬܗ ܘܦܪܥܐ ܫܘܡܫ ܘܟܠ ܚܝܠܐ ܡܠܟܘܬܐ. ܘܒܪܢܫ ܕܟܠܗܘܢ ܡܫܘܟܠܐ ܗܘ ܘܫܡܫܐ ܕܡܫܬܐ. ܥܠ ܓܝܪ ܕܐܡܪ ܠܗ ܚܝܠܐ ܡܢ ܫܡܝܐ ܘܡܠܟܘܬܐ: ܘܐܬܟܫܦ ܠܗ ܕܟܠܗܘܢ ܒܫܡܗܘܢ ܕܗܘܦܠܐ ܠܐ ܡܕܡܠܐ ܗܘܝ ܒܚܝܘܬܐ ܒܫܘܒܚܐ ܘܠܐ ܕܠܚܝܘܬܗ ܠܟܠܗܝ ܕܐܘܡܢܘܬܐ.

ܚܝܐ ܕܚܝܘܬܐ

ܐܢܫܐ ܓܝܪ ܕܠܐ ܡܫܟܚ ܡܢܐ ܕܢܐ ܠܐܘܟܝܢܐ ܘܡܬܟܠܟܢܐ ܗܢܐ ܐܬܥܒܕܗ، ܐܘ ܕܠܐ ܚܒܪ ܡܢ ܫܘܟܠܬܐ، ܗܢܐ ܐܦܠܐ ܒܢܝܐ ܘܐܬܝܗܘܢ ܡܢܐ ܡܫܟܚܐ ܫܘܟܠܐ، ܕܢܫܐ ܠܐܘܡܢܐ ܠܒܫܘܗ. ܐܦ ܗܘܐ ܓܝܪ ܕܐܬܐ ܠܗ ܒܟܠܡܬܐ ܕܝܒܫܬܐ، ܠܗ ܕܗܘܝ ܒܪ ܙܒܢܐ ܕܟܒܫܘܗ ܠܐܬܪܒܫ ܠܗ، ܐܠܐ ܕܗܘܐ ܡܟܠܡܢܐ ܠܡܕܒܪܐ ܕܐܬܡܒܚܘܗ.

كنيسة إنطاكية سريانية

تأسيسها، آراميتها، إسمها، ليتورجيتها
إهتمامها بالكتاب المقدّس
حقوقها في الأماكن المقدسة

بقلم:
أغناطيوس يعقوب الثالث
بطريرك إنطاكية وسائر المشرق

ܥܕܬܐ ܐܢܛܝܘܟܝܬܐ ܣܘܪܝܝܬܐ

ܒܝܕ

ܐܝܓܢܛܝܘܣ ܝܥܩܘܒ ܬܠܝܬܝܐ
ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܘܕܟܠܗ ܡܕܢܚܐ

نشر تباعاً في المجلة البطريركية بدمشق
١٩٧١



تمهيـــد

بعد حمد الله على جزيل أفضاله علينا نقول :
ان الفصول الممتعة التالية ، كنا قد عقدناها عن كنيستنا السريانية الانطاكية الارثوذكسية ، ونشرناهـا مبعثرة في جملة أعـداد من مجلتنا البطريركية بدمشق • والآن رأينا لمّ شعثها في هذا الكتاب لمجد الكنيسة ولنفع المؤمنين •

ســدد الرب بنعمته خطانـا لنحمل رسالتنا الادبية على الوجه الاكمل ونبلغ غايتنا المنشودة آمــين •

دمشق في ١ ايلول سنة ١٩٧١

المؤلف



كنيسة انطاكية سورية[1]

الفصل الأول

تأسيسها

انبلج فجر المسيحية السمحاء وانطاكية لما تزل عاصمة سوريا الحسناء بل عروس الشرق الهيفاء ، ترفل بحلة هفهافة من المجد والسؤدد ، وتختال تيهاً بصروحها الشامخة وهياكلها الشاهقة ومعالمها الخالدة ، وتعج بأبنائها وهم من مختلف العناصر ، بينهم الآرامي المحلّي والعربي واليهودي الى جانب الجالية اليونانية التي كان قد استقدمها السلاقسة لغايات سياسية . وما ان بزغت في أورشليم أنوار الدين المبين ، حتى تكنّفتها راياته السامقات . فأضحت أُماً للكنائس الأُممية بل قاعدة للنصرانية في آسيا .

---

(١) دُعيت انطاكية سورية ، تمييزاً لها عن المدن اليونانية الخمس عشرة التي أسّسها مثلها سلوقس نيقاطور وسماها باسم أبيه أنطيوخس .

كانت العاصفة الهوجاء التي أثارها اليهود سنة ٣٦[٢] م على الكنيسة الفتية في أورشليم ، والتي صار فيها كبش الفِدى مار اسطيفانوس بكر الشهداء ، السبب الاول في ولوج نور الانجيل مخادع الانطاكيين • ذلك ان بعض التلاميذ الذين تفرقوا على أثرها ، وصلوا الى انطاكية حيث أطلقوا ألسنتهم في المناداة بالدين الجديد ، بين أنسبائهم وخلاّنهم اليهود ، فاجتذبوا منهم خلقاً كثيراً الى الحظيرة القدسية • ولما هدأت العاصفة وبلغ خبر اهتدائهم مسامع الكنيسة في أورشليم ، رفدتهم بمار برنابا الذي ضمّ اليهم بدوره جمعاً غفيراً • ثم جاء بشاول (بولس الرسول) حيث أقاما معاً سنة كاملة يعلّمان اليهود ويهديانهم سواء السبيل • وفي أعقاب ذلك قدم اليها من أورشليم أنبياء ومعلمون سمعان الذي يُدعى نيجر ولوقيوس القيرواني ومناين الذي تربّى مع هيرودس رئيس الربع ، فوضعوا الايدي على برنابا وشاول بافراز خاص من الروح القدس للخدمة المثلى (أع ١٣ : ٢) • هكذا قامت أول كنيسة في انطاكية سنة ٣٦ من بعض الاوساط اليهودية المتنصرة •

---

(٢) لقد أجمع العلماء المعاصرون ، على أن ميلاد السيد المسيح جرى قبل التاريخ المسيحي المتداول بأربع سنوات ، فأضيفت هذه السنوات الى حساب العالم قبل المسيح •

ومن الغريب أن يصمت سفر أعمال الرسل صمتاً عميقاً ، عن دور مار بطرس الرسول في تأسيس كنيسة عاصمة الشرق بالرغم من تنويه مار بولس الرسول به في رسالته الى أهل غلاطية (غل ٢ : ١١) واستفاضة التاريخ الكنسي في ذكره ، جاعلا قدومه الاول اليها سنة ٣٧ على رأي أوسابيوس القيصري أو ٤٣ على رأي غيره، والثاني نحو سنة ٤٦ والثالث سنة ٥٣ • وهذا الاخير ذكره مار بولس الرسول في رسالته الى أهل غلاطية كما أسلفنا • بل ان التاريخ ذكر أيضاً تبشير مار يوحنا الانجيلي ووفاة مار متى الرسول في هذه العاصمة •

لقد ذكر سفر الاعمال الى جانب تنصّر بعض الاوساط اليهودية المشار اليها تنصّر بعض العناصر الوثنية أيضاً بواسطة بعض الاخوة القبرصيين والقيروانيين • والارجح ان أمرهم لم يبتّ الا بعد بتّ أمر كورنيليوس القائد الايطالي وقبوله في الكنيسة نحو سنة ٤٣ • بيد أن التقاليد اليهودية حالت دون اشتراك الفريقين معاً في القدسيات الى ما بعد مجمع أورشليم الملتئم سنة ٥١ بمديدة كما نرى في تصّرف مار بطرس الرسول •

وبعد سنة ٦٨ إنضوى الفريقان تحت رئاسة مار اغناطيوس النوراني المعروف بالتيوفوروس • والأظهر أن تنصّر الآراميين الانطاكيين سبق غيرهم من الامميين سكان انطاكية ، نظراً الىوحدة لغتهم واليهود آنذاك[٣]• وكان مار اغناطيوس النوراني المومأ اليه واحداً منهم •



(٣) لقد أطلق اليهود اسم « اليونانيين » على جميع العناصر الأممية المحيطة بهم كما أطلق العرب بعدئذ اسم « العجم » و « الأعاجم » على خلافهم •

الفصل الثاني

آراميتها

لقد مر معنا ان كنيسة أورشليم ، هي التي أوفدت الرسل والمبشرين الذين أذاعوا كلمة الانجيل في انطاكية، وكان عملهم التبشيري الاول بين اليهود بني جنسهم . وحيث ان لغة العبادة في كنيسة أورشليم كانت السريانية لغة السيد المسيح بل لغة اليهود سحابة الجيل الاول الرسولي وما سبقه من أجيال اليهودية حتى المئة الخامسة ق.م ، فمن البديهي أن تكون هذه لغة العبادة في كنيسة انطاكية أيضاً . أجل ، لقد استعملت كنيسة انطاكية الليتورجية السريانية (خدمة القداس) التي وضعها مار يعقوب أخو الرب أول أساقفة أورشليم . فنُسبت من ثم اليها .

وما من شك في أن الرسل والمبشرين أقاموا القدسيات

بهذه اللغة حيثما يمموا • قال الـدكتور فيليب حتي والاشارة الثانية ، ان لم تكن الأولى ، للمسيحيين وُجدت مكتوبة بالآرامية بحروف لاتينية مشوهة على جدار مسكن ربما كان كنيسة في بومبي (ايطاليا) مما يجعل تاريخها قبل عام ٧٩ م[٤] •

هكـذا مارست كنيسة انطاكيـة الاولى سر القربان المقدس بالسريانية • ولا غرو فلقد تقدست هذه اللغة بميلاد السيد المسيح وتربيته وعجائبه وتعاليمه وخطبه وتأسيسه لاسـرار التجسـد الفدائية ، وتشرفت بفمه الطاهر وبفم أُمه الطوباوية ورسله القديسين • وهوذا أوسابيوس القيصري أبـو التاريخ الكنسي يسمي مـار بطرس الرسول «سريانياً» ، ويعلن أنّ الرسل قبل حلول الروح القدس لـم يكونوا يعرفون سـوى « اللغـة السريانية »[٥] • وبهذه اللغـة سُمعت أولا أحـداث البشارة في اليهودية وسورية وما جاورهما من البلدان ، وبها تناقش المجمع الرسولي في أورشليم سنة ٥١ ، كما كتب بها متى الرسول انجيله لمنفعة اليهود المتنصرين •

---

(٤) تاريخ سورية ـ الجزء الاول ص ١٨٢ •
(٥) الظهور الالهي ٤ : ٦ •

واليها نقل بعض هؤلاء اليهود في الجيل الاول أول ترجمة للكتاب المقدس وهي المعروفة بالبسيطة التي عقبتها ترجمة أخرى متينة للعهد الجديد لاستعمال كنيسة انطاكية خاصة سُمّيت بالترجمة السريانية الانطاكية ، وتعرف اليوم بـ « السينائية » لوجود نسختها في دير طور سينا عام ١٨٩٢ وهي موسومة بعدد ٣٠ بخط يوحنا العمودي في دير مار قانون في معرة مصرين سنة ٦٩٨ أو ٧٨٩ ونشرتها السيدة لويز عام ١٩١٠ · وقد خيل الى فريق من العلماء المعاصرين ، ان الفيلسوف ططيانس السرياني اعتمد نحو سنة ١٧٢ على هذه الترجمة في جمع مجموعه الموحّد (الدياطسرون) من الاناجيل الاربعة(٦) ·



(٦) اللؤلؤ المنثور لقداسة البطريرك افرام برصوم ص ٥٢١ ·

الفصل الثالث

اسـمها

وُدعي التلاميذ مسيحيين في انطاكية أولا ٠ ذلك أن أولئك اليهود المتنصّرين رأوا في السيد المسيح مخلّصاً من براثن ابليس والخطيئة وراعيا للبشرية السبيّة بل قائداً الى أورشليم السماوية ، كما كان لهم كورش ملك فارس ومادي نحو سنة ٥٣٨ ق٠م ٠ بالنسبة الى عود سبي بابل وبناء أورشليم والهيكل ، وبالتالي محققاً لنبوة أشعيا القائلة : « هكذا قال الرب لمسيحه لكورش « Cyrus » الذي أخذت بيمينه لأخضع الامم بين يديه ٠٠٠ » (أش ٤٥ : ١) فأيقنوا من ثم بأن كورش محرر سبيهم إن هو إلا رمزا للمسيح ، بل مسيح الله وراعيه ، كما وصفه تعالى بلسان أشعيا النبي قبل وجوده بنحو مئة وثلاثين سنة (أش ٤٤ : ٢٨)٠ فكانوا

يرددون اسم المسيح مقروناً الى اسم كورش اعتزازاً واجلالا ، كما فعل أجدادهم بعد عودهم الى اليهودية • فلما طرق ذلك مسامع العناصر الاممية في انطاكية ، دعتهم سوريين أو سورسيين أو كورشيين وهي تعني « مسيحيين » أي « سريان » و « كريستيان » نسبة الى الملك سورس أو كورش[٧] •

فدرج منذئذ اسم « سريان » بين مسيحيي بلاد سورية أولا ثم تجاوزها الىمسيحيي ما بينالنهرين وفارس والهند والصين حتى أقصى الشرق بواسطة الرسل والمبشرين السوريين ، حتى أضحت هذه التسمية في سورية لتميز المسيحيين من بني جنسهم الآراميين الذين لم يكونوا بعد قد اعتنقوا المسيحية • ولذلك أضحت أيضاً لفظة « الآرامي » مرادفة للفظة « الوثني » ولفظة « السرياني » مرادفة للفظة « المسيحي »[٨] •

وعلى هذا المنوال سُمّيت اللغة الآرامية أيضاً

(٧) يختلف اللفظ باختلاف اللغات واللهجات ، كما اختلف مثلا الفظ اسم القديس كيرلس الاسكندري ، فقد لفظه بعضهم بالسين فقالوا « سيرل » والبعض الآخر بالكاف فقالوا (كيرل) •

(٨) قاموس دليل الراغبين في لغة الآراميين لأوجين منّا ص ٤٨٨ • وتاريخ سورية للدكتور فيليب حتى الجزء الاول ص ١٨٤ ـ ١٨٥ •

بالسريانية • وما زال المسيحيون المتكلمون باللغة السريانيةحتى اليوم يُدعون بهذا المعنى « سورويي » أو « سورايي » أو « كوريايي »[9] • أما اسم « كريستيان » فذاع بين المسيحيين الغربيين •

ومما يدل على اعتزاز النصارى اليهود بهذه التسمية، انهم أطلقوها حتى على بعض الآراميين الذي سبقوا المسيح بأجيال كما فعل لوقا الانجيلي حيث أطلقها على نعمان الآرامي رئيس جيش ملك الآراميين بقوله : « نعمان السرياني » (لو ٤ : ٢٧) • وأما الاسم المسيحي المعلل في قول القديس ثاوفيلس الانطاكي (١٨٢ +) من « أننا نُدعى مسيحيين لاننا نُمسح بزيت مقدس »[10] فقد جاء متأخراً •

لقد أجمع المؤرخون السريانيون على أن اسم « سورية » نفسه منسوب الى الملك سورس ، قالوا انه ملك على هذه البلاد قبل ظهور موسى النبي • فلما دُعي التلاميذ بالاسم الآنف الذكر ، اندمج الاسمان بعضهما

---

(٩) لقد كتب الاديب السيد كبرئيل أسعد بحثاً مستفيضاً بهذا الموضوع لايزال مخطوطاً •

(١٠) كتابه ضد أوطوليكس ١ : ١٢ •

ببعض لأن مصدرهما واحد • وقد لزم كنيسة انطاكية سورية فدعيت « الكنيسة السورية أو السريانية »[١١] • كما لزم الكنائس التي خضعت لكنيسة العاصمة السورية القديمة في الشرق حتى الهند • وما زال لازماً هذه الكنائس التي لا تزال تمارس عبادتها بالسريانية اللغة الاولى لكنيسة انطاكية سورية ولبلاد سورية • قال الدكتور فيليب حتي « وكمصطلح لغوي فان اسم (Syrian) بالانكليزية يشير الى جميع الشعوب التي تتكلم السريانية (الآرامية) ومنهم الذين في العراق وايران ، كما انه يشير كمصطلح ديني الى اتباع الكنيسة السورية القديمة أو السريانية ، وقد انتشر بعضهم حتى في جنوبي الهند • وكان اسم سورس (Syrus) (سوري) بالنسبة للرومان يعني كل شخص يتكلم اللغة السريانية[١٢] •

★ ★ ★

(١١) راجع رسالة مار اغناطيوس النوراني ثالث بطاركة انطاكية ، الى رومية سنة ١٠٧ •

(١٢) تاريخ سورية ج ١ ص ٦٣ •

الفصل الرابع

كرسيها

ان التاريخ الكنسي ليعتبر مار بطرس الرسول مؤسساً للكرسي الانطاكي[١٣] ، الذي امتدت سلطته الى أقصى الشرق على اختلاف عناصره وأجناسه ٠ ورئس في أوج عزه اثني عشر كرسياً مطرانياً ومئة وسبعة وثلاثين كرسياً أسقفياً ٠ وقد بلغ عدد بطاركته الشرعيين منذ مار بطرس الرسول حتى عهدنا مئة وواحداً وعشرين ٠

ومع أن السواد الأعظم من أبناء كنيسة سورية كان سريانياً جنسا ولغة ، فان كثيرين من بطاركتها وأساقفتها وأبنائها برعوا باليونانية لغة الدولة والأدب في الشرق في القرون الاولى ، ووضعوا بها مؤلفات نفيسة كالبطريركين

---

(١٣) راجع مشاهير الرجال للعلامة هيرونيموس ف ١ ورسالة لاون الاول الروماني الى أناطوليوس القسطنطيني سنة ٤٥١ وجدول الكردينال بارونيوس لسنتي ٤٢ ـ ٤٣ هذا ولاتزال كنيسة رومية تحتفل بعيد تأسيس كرسي مار بطرس في انطاكية في ٢٢ شباط ٠

اغناطيوس النوراني (١٠٧+) وثاوفيلس (١٨٢+) والذهبي الفم (٤٠٧ +) . شأنهم في ذلك شأن أهل سورية ولبنان بالنسبة الى اللغتين التركية والفرنسية ، إبان الحكم العثماني والانتداب الفرنسي. بل ان مدرسة انطاكية اللاهوتية الشهيرة نفسها كانت يونانية . قال الدكتور فيليب حتي « ولما كان السوريون يعرفون عدة لغات دائماً فان الذين اهتموا منهم بالمحاماة درسوا اللغة اللاتينية ، أما الذين عكفوا على دراسة الفلسفة فتعلموا اليونانية ولكن بقيتهم وخاصة أولئك الذين وجدوا خارج المراكز ذات الصفة العالمية فانهم تمسكوا باللغة الوطنية . وكان على الموظفين البيزنطيين في الداخل أن يستخدموا التراجمة. ويشكو يوحنا فم الذهب في انطاكية ذاتها بأن الذين كانوا يستمعون اليه لا يستطيعون فهم مواعظه اليونانية وان الكهنة كانوا لا يسمعون سوى السريانية الدارجة »[١٤] . وهذا الواقع ينطبق على المدن الاخرى أيضاً . فقد وصفت لنا رحلة سيلفيا الى الاماكن المقدسة في ختام القرن الرابع أسقف أورشليم بأنه مع كونه يعرف السريانية ، يخطب دوما باليونانية،

(١٤) تاريخ سوريه ج١ ص ٤٠٩ .

فتُنقل خطبه الى السريانية مباشرة بواسطة كاهن يقف الى جانبه[١٥] • على أننا لا ننكر أن بعض البطاركة الانطاكيين في القرون الاولى كانوا يونانا جنساً ولغة كما كان مثلا أنيقطس بن يوحنا السرياني الحمصي[١٦] أسقفاً لرومية (١٥٥ ـ ١٦٨) ذلك ان الكنيسة في صدرها كانت تتوّخى العقيدة لا العنصرية •

ومن أدباء السريان الذين لعبوا دوراً خطيراً في انطاكية . وقد قبضوا على ناصية اللغة اليونانية ، عدا الذين مر ذكرهم ، مار لوقيانس السميساطي قسيس انطاكية ومؤسس مدرستها اللاهوتية الآنفة الذكر سنة ٢٩٠ الذي قضى شهيدا سنة ٣١٢ . وقسيسها نسطور المرعشي المشهور الذي ُرسم بطريركاً للقسطنطينية سنة ٤٢٨ و ُعزل سنة ٤٣١ . والبطريركان يوحنا الاول (٤٢٨ـ٤٤٢) وابن شقيقه دومنس الثاني (٤٤٢ـ٤٤٩)، وفروبا أرخدياقون انطاكية ورأس الاطباء (القرن الخامس) الذي نقل من اليونانية الى السريانية ايساغوجي برفيريوس . وعلم تأويل الكتب المقدسة وانالوطيقي

---

(١٥) رحلة سيلفيا ٥ : ٥ •

(١٦) تاريخ حمص تاليف الخوري عيسى أسعد طبعة حمص سنة ١٩٣٩ ص٣٩٣ •

(تحليل القياس) أرسطو الاولى[17] . وفي الربع الاول من القرن التالي ، اشتهر قيرس رئيس دير السريان في انطاكية بين رؤساء أديار السريان المجاورة لانطاكية الذين نكّل بهم القيصر يوسطينس الاول (٥١٨ ــ ٥٢٧)[18] .

* * *

---

(١٧) اللؤلؤ المنثور ص ١٥٧ .

(١٨) تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٨٠ .

الفصل الخامس

ليتورجيتها
أو ليتورجية مار يعقوب أخي الرب

مار يعقوب أخو الرب بالجسد ، هو أول أسقف لاورشليم ، ومقره بيت مريم أم يوحنا المدعو مرقس[1] وهو دير مار مرقس الحالي بالذات المعروف بدير السريان في القدس[2] • والى مار يعقوب هذا جاء مار بولس الرسول سنة ٣٨ (غل ١ : ١٨ ـ ١٩) • وفي سنة ٥١

---

(١) تحفة الجيل في تفسير الاناجيل للمطران يوسف الدبس الماروني ص ٣١٨ نقلا عن بارونيوس ، والخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة للأسقف ايسيذورس القبطي ج١ ص ٥٨ • والبراهين العقلية والعلمية في صحة الديانة المسيحية تأليف القائمقام ترتن ص ١٦٨ •

(٢) انظر الكتابة السريانية الاسطرنجيلية الأثرية المزبورة على حجر القاعدة اليمنى في مدخل باب كنيسته من الوجهة الداخلية وهي من القرن السادس ، وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف ج ١ ص ٩٢ ـ ٩٤ •

مثّل مار يعقوب دوراً خطيراً في مجمع أورشليم الرسولي (أع ١٥) وفيه تميّز هو و بطرس و يوحنا لخدمة اليهود أهل الختان (غل ٢ : ٧) • وفي سنة ٥٨ لم يرَ بولس في أورشليم غيره من الرسل (أع ٢١ : ١٧) • وفي سنة ٦٢ بطش به اليهود ، ما جعل مؤرخهم الشهير يوسيفوس المعاصر لهذا الحادث ان ينسب خراب أورشليم الذي تم بعده بمدينة ، الى نقمة الله العادلة بسبب ما فعلوه بهذا الصدّيق[٣] • وكان ضريحه معروفاً باسمه الذي كتب عليه كما شهد هيجسيبوس في القرن الثاني ، كما كان كرسيه الخاص مكرماً حتى أواخر القرن الثالث بحسب رواية أوسابيوس القيصري •

وترك هذا القديس للكنيسة رسالة أنفذها من أورشليم سنة ٦١[٤] وليتورجية سريانية أي صلاة الاوخارستيا •

كان مار يعقوب وخلفاؤه الخمسة عشر الاولون من الجنس العبراني[٥] ، أي يستعملون اللغة السريانية

---

(٣) ف ١٠ ص ٢٧٢ •

(٤) من الغريب أن يرتاب أوسابيوس القيصري بصحة نسبتها الى مار يعقوب انظر تاريخه الكنسي ٢ : ٢٣ •

(٥) التاريخ الكنسي لاوسابيوس القيصري ٤ : ٥ •

الآرامية ـ لغتهم الأم ـ في مواعظهم وفروض عبادتهم وقداديسهم ٠

أما نسبة ليتورجيته اليه فلا تحتمل جدلا[٦] ٠ قال مجمع ترولس (للروم) الملتئم في القصر الملكي في القسطنطينية سنة ٦٩٢ في قانونه الثاني والثلاثين « لان يعقوب الذي كان بالجسد أخا للمسيح آلهنا وأتمن أولا على كرسي كنيسة أورشليم ، وباسيليوس أسقف قيصرية الذي مجده امتد الى كل المعمور ، قد سلّما الينا كتابة خدمة الاسرار الخ »[٧] ٠ وقال السيد جراسيموس مسّرة مطران بيروت للروم في مؤلفه « الانوار في الاسرار » فنتأكد حقيقة ذلك أولا ، من خدمة القداس الآلهي القديمة أي من خدمة القديس يعقوب الرسول أخي الرب المدرجة في الاوامر الرسولية الخ »[٨] ٠ ومع أن مجمع ترولس الآنف الذكر ، المعتبر عند الروم واللاتين كتذييل لمجمعهم

---

(٦) اللؤلؤ المنثور ، الطبعة الاولى ص ٦٠ ٠

(٧) الانوار في الاسرار لجراسيموس مسرة ص ١٣٦ ٠

(٨) فيه ص ١٤٣ ٠ واعلم ان المؤلف العلامة جمع كتابه هذا من أشهر المؤلفين الكنائسيين وضبطه وطبعه سنة ١٨٨٧ برخصة بطريركه الانطاكي جراسيموس ٠

المسكوني السادس[٩] ، يذكر بصريح العبارة أن القديس مار يعقوب أخا الرب سلّم ليتورجيته كتابة ، فاننا لا نأخذ برأيه بل نقول أن القديس مار يعقوب لقّن الكهنة ليتورجيته شفويا بلغته السريانية . ثم انتقلت بواسطتهم الى كنيسة انطاكية منذ اللحظة الاولى لتأسيسها فنُسبت اليها ٠

وظلت هذه الليتورجية سماعية نقلية لا تدوّن في درج ، زمنا غير يسير ، يحفظها الكهنة عن ظهر قلب ويقرأونها على ظهر قلب كما أفادنا مار ديونيسيوس الازيوفاغي ومار باسيليوس القيصري[١٠] ٠ ولم تكن هذه مسهبة بحيث يسهل على الكاهن حفظها ٠ وعندما طرأ عليها الاختلاف قبل أواسط القرن الثالث دوّنت نسميت ليتورجية اوانافورا[١١] ٠ وقد دُونت أولا في الاوامر

---

(٩) ذكر حضرة الخوري جبرائيل سركيس الخوري في مجلته الصادرة في باريس باسم L'orient Syrien سنة ١٩٥٩ ص ٣٩٢ ان المجمعين السادس والسابع المسكونيين (للروم واللاتين) ينسبان هذه الليتورجية الى مار يعقوب أخي الرب ٠

(١٠) المباحث الجلية في الليتورجيات الشرقية والغربية للبطريرك افرام رحماني ص ١٦٢ والملكيون للخوري اسحق أرملة ص ١٠٨ والدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة للبطريرك افرام الاول برصوم ص ٤٠٣ ٠

(١١) الدرر النفيسة ص ٤٠٣ ٠

الرسولية كما ذكر صاحب كتاب الانوار المشار اليه ، ثم أُلحقت بها على تمادي الزمان إضافات شتى حتى صارت الى ماهي عليه اليوم ·

فليتورجية مار يعقوب أخي الرب إذن هي رسولية المصدر في أكثر صلواتها الاساسية العلنية وأما في القطع السرية وما اليها فنسبتها الى بعد ذلك الزمان[١٢] ، وقد أُنشئ هذا القسم الأساسي بالسريانية كما مر معنا[١٣] ·

وقد اقتبس منها عبارات شتى مار يوحنا الذهبي الفم في جملة مقالات ومواعظ وتفاسير ، كما فعل هيرونيموس في رده على البيلاجيين ، ومار كيرلس الاورشليمي سنة ٣٤٧ في العظة الثالثة والعشرين - ويتبع الاخير في تفسيره القداس .نسقها ونظامها[١٤] حتى ارتأى العلامة رينودوت ناشر الليتورجيات السريانية سنة ١٧١٦ ان نصها النهائي هو من عهد هذا القديس · أما القديس بروقلس البطريرك القسطنطيني (٤٣٤ ـ ٤٤٦) فعند ذكر أسماء الآباء الذين خلّفوا

---

(١٢) اللؤلؤ المنثور ص ٦٠ والمباحث الجلية ص ١٦٢ ·

(١٣) المباحث الجلية ص ١٦١ والدرر النفيسة ص ٥٨٧ والملكيون ص ١٠٧ ·

(١٤) المباحث الجلية ص ١٦٣ ـ ١٦٦ ·

للكنيسة ليتورجية يضع في الطليعة مار « يعقوب الالهي »[١٥] .

فلكنسية انطاكية إذن الحق في أن تفاخر سائر الكنائس ، لصيانتها هذه الليتورجية التي هي بكل حق أقدم ليتورجية بل رسولية المصدر كما أسلفنا . وقد استعملتها كنائس الروم أيضاً حتى تعين لها البطريرك ثأودورس بلسمون اليوناني الجنس فأمر باستبدالها بليتورجيتي الكنيسة القسطنطينية وهما ليتورجية مار باسيليوس القيصري والذهبي الفم ، محتجاً في ذلك بأن جميع الكنائس يلزمها أن تتبع في طقسها كنيسة القسطنطينية[١٦] ولكنه أذن في استعمالها بالسريانية فنقلتا اليها . وكذلك فعلت كنيسة أورشليم اذ نقلتهما الى لغتها السريانية الفلسطينية .

ولهذا النقل نسخ عديدة في خزائن الشرق والغرب[١٧] . وما زالت الكنائس اليونانية في أورشليم وقبرص وغيرهما، تستعمل ليتورجية مار يعقوب أخي الرب باليونانية في

---

(١٥) مجلة L'orient Syrien سنة ١٩٥٩ ص ٣٩٢ و ١٩٦٢ ص ٤ .

(١٦) راجع رسالته الى البطريرك مرقس الاسكندري (للروم) .

(١٧) المباحث الجلية ص ١٦٧ .

عيد مار يعقوب الواقع في ٢٣ تشرين الاول . ومنذ بضع سنوات كتب بطريرك القسطنطينية الى الكنائس الخاضعة له لتستعمل هي الاخرى هذه الليتورجية[١٨] .

أما ليتورجيتا مار باسيليوس القيصري والذهبي الفم اللتان يستعملهما اليونانيون وخاصة الثانية منهما، فمن الثابت عند علماء النقد انه لا تصح نسبتهما اليهما الا في الجوهريات، وقد نقحهما من جاء بعدهما . ويرتأي بعضهم أن ليتورجية الذهبي الفم هي ليتورجية البيعة الانطاكية بالذات، نقلها الى القسطنطينية فنُسبت اليه[١٩] .



(١٨) مجلة L'orient Syrien سنة ١٩٥٩ ص ٤١٥ .

(١٩) اللؤلؤ المنثور ص ٦٠ .

الفصل السادس

اجلالها للكتاب المقدس

الكتاب المقدس هــو مجموع الاسفار القدسية التي أوحى الله بكتابتها الى بعض أنبيائه ورسله وهي تنقسم الى قسـمين يعرف الاول بالعهد القديم والثاني بالعهد الجديد • ويشتمل الاول على ٤٦ سفراً كمــا هي عند الارثوذكس والكاثوليك . أما الثاني فعلى ٢٧ سفراً •

وما كتاب الله المتضمن كلامه الحي سوى حصن حصين وحرز حريز • فمن التجأ الى كنفه ، واعتبره منية نفسه ومحل أنسه ، كان له سلسلا في قفر ومشعلا وضاء ينير سبيله في أحلك الليالي ويصد عنه أخطار العناصر العمياء الهوجاء ، وبدونه يتخبط خبط عشواء بين أدغال الجهل والضلال كما في ليل بهيم • ومن نهل من دروسه الاخلاق والمناقب ، ومن توجيهه الحب والايمان ، سما في مدارج

الرقي ، وتبوأ سدة سامقة بين الاقوام ، ذلك أنه يفي بكل حاجات الزمان وتقلبات الظروف والايام ·

كتاب الله يروض عقل الانسان ،ويردعه عن الانغماس في حمأة الموبقات ،وسلوك الطرائق المهلكات ،والانضمام الى حلقات خلف سوء ، الذين يسكتون ألفا وينطقون خلفا · وما أحوج المجتمع البشري اليه ، ايكون مثاليا يغازل رغدا من العيش · ولا سيما في هذا الزمن الدي اشتد فيه طغيان الرذيلة ، فازداد بُعدا عن الطريق السوي ، وضلّ في بيداء هذه الحياة الشائكة ·

كتاب الله أصدق مصدر تاريخي لخلقة الكون ووجود الانسان الاول ثم سقوطه ، يهزأ بنظريات دارون وفلاسفة المادة والصدفة · يبرهن على ذلك : اعتقادنا الراسخ بتجسد ابن الله لخلاص الانسان · أجل ، ان الفلاسفة الاغريقيين عجزوا عن ازالة قلق الانسان من جهة أصله ومصيره · أما الكتاب المقدس فكشف القناع عن وجه هذه الحقيقة الوضاءة ، فقطعت جهيزة قول كل خطيب ·

لا شيء في الدنيا يستطيع أن يؤثر في الانسان ، ويزيح عن صدره كابوس الهموم ، مثل الكتاب المقدس·

فهنالك كثيرون ممن نشأوا في أحضان الوثنية ، وتثقفوا في مدارس الفلاسفة الاغريقيين ، كانوا قلقي البال من جهة مبادئها الفلسفية ، كالفيلسوف الشهيد يوسطينس النابلسي (١٦٧ +) • والفيلسوف ططيانس السرياني (١٨٠ +) • والبطريرك القديس تاوفيلس الانطاكي (١٨٢ +) • ولكنهم نفضوا أيديهم منها حالما اهتدوا الى الكتاب المقدس الذي تلألأت لهم فيه الحقيقة التاريخية الراهنة والنواميس السامية . فضلا عن قدمه ، وانصبوا على مطالعته ليـل نهار والتنقيب في ماتضمنه من لآلىء الآداب وجواهر المعتقد ، فتنصروا •

وانبرى الاول يجادل الوثنيين واليهود ، مجتذباً منهم جمّاً غفيراً[1] الى حظيرة يسوع • وألف الثاني نحو سنة ١٧٢ كتابه السرياني «دياطسرون» ، أي مزيج الأناجيل الاربعة ، الذي نقله بعدئذ الى اليونانية[2] ، في خمسة وخمسين فصلا مبتدئا من الآية الاولى من إنجيل يوحنا « في البدء كان الكلمة الخ » .مقيداً فيه بالتتابع التاريخي

---

(١) التاريخ الكنسي لاوسابيوس القيصري ٤ : ٢٥ •

(٢) لقد نقل فيما بعد الى الأرمنيـة ، وفي القرن الحادي عشر الى العربية • وعام ١٨٨٨ نشر النقل العربي مترجماً الى اللاتينية ، ثم نقل الى الانكليزية فالالمانية سنة ١٨٩٦ ـ ١٩٢٦ •

وبانشاء سهل متين ، ما انفرد بـه كلّ من الاناجيل الاربعة من سيرة ربنا وتعاليمه . ومنه يتبين من جهة أن الاناجيل الاربعة التي بين أيدينا اليوم كانت معروفة عند كتابته ، ومن جهة أخرى أنها وحدها كانت مقبولة في الكنيسة مثلما هي الآن اذ يستند اليها وحدها . انما يؤاخذ على اغفاله نسب السيد المسيح . وصنف الثالث مؤلفا نفيسا في قدم الكتاب المقدس وسمو منزلته وأفضليته على كتب العالم طرّا . وهو أول من صرح بأن كاتب الانجيل الرابع هو يوحنا الرسول[٣] . وكان هو الآخر قد عنّ له جمع الاناجيل في كتاب واحد[٤] . ومما يؤثر عنه أنّه أول من جاهر بالجوهر الواحد للثالوث الاقدس[٥] .



(٣) دائرة المعارف البريطانية طبعة ٩ مج ١٠ ص ٨١٨ .

(٤) شهادة العلامة ايرونيمس في اللؤلؤ المنثور لقداسة البطريرك أفرام برصوم ص ٥٢٢ .

(٥) بطريركية انطاكية للدكتور نيل ص ٢٩ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للمؤلف ج١ ص ١١٣ .

الفصل السابع

ترجمتها الكتاب المقدس

كان العلاّمة أوريجانس الاسكندري في القرن الثالث أول من وضع أساساً للأبحاث الفلسفية في الكتاب المقدس، موحداً الفلسفة مع الدين والثقافة مع الانجيل ثم جاء ملافنتنا العظام وغاصوا في محيط الكتاب الواسع، واستخرجوا لآلئه اللألاءة، طوّقوا بها جيد البشرية ۰ وجثموا في حديقة طيوبه الغناء، ورتعوا في أفياء خمائله الفيحاء، فجمعوا منها سواسن الطهر والنقاء ونظموا ضمة الفضائل، عطروا بها نفوس المؤمنين ۰ أجل، لقد تناولوه درساً وترجمة وتفسيراً، فأغنوا خزائن الشرق والغرب بما خلفوه من مجلدات ضخمة في هذه الحلبة ۰

من الثابت أن أسفار العهد القديم كتبت باللغة العبرية عدا سفر أيوب الذي كتب أولا بالعربية ثم نقل

الى العبرية ، ومعظم أسفار دانيال وعزرا ونحميا التي كتبت بالسريانية[٦] • وفي حدود سنة ٢٨٠ ق•م نقل معظم هذه الاسفار الى اليونانية بأمر بطليموس فيلادلفوس ملك مصر ،وعرف هذا النقل بـ « السبعيني » فاستعملته مجامع اليهود سوى التي في فلسطين • وفي أواخر القرن الاول للميلاد ترجم بعض اليهود المتنصرين العهد القديم من العبراني الى السرياني ، عرفت ترجمتهم أولا بعنوان « صورة الكتاب » وبعد القرن الثامن بـ « البسيطة »[٧] ، فاستعملتها الكنيسة السريانية دون النقل السبعيني الذي اعتمدته الكنائس الاخرى • أما أسفار العهد الجديد التي كتب أولها وهو انجيل متى بين سنتي ٣٩ ـ ٤٢ وآخرها وهو انجيل يوحنا سنة ٩٨ فما عدا انجيل متى والرسالة الى العبرانيين . فقد كتبت باليونانية اذ وجهت الى أناس يتكلمون هذه اللغة • أما انجيل متى فقد كتب بالسريانيـــة بحسب اللهجة الفلسطينية • وأما الرسالة الى العبرانيين فقد كتبت بالعبرانية ثم نقلها مار اقليميس الروماني الى اليونانية فظنّها بعضهم من قلمه • واليه

---

(٦) دانيال ص ٢ : ٤ـص ٧ وعزرا ص ٤ : ٨ ـ ص ٦ : ١٨ و ص٧:١٢ـ٢٦ •

(٧) (الملكيون » للخوري اسحق أرملة ص ٩١ و ١٠٤ •

يعزى جمع رسائل معلمه مار بولس في كتاب واحد في أواخر القرن الاول ٠

وفي صدر القرن الثاني عملت الترجمة السريانية «البسيطة» للعهد الجديد خالية من رسالتي يوحنا الثانية والثالثة ورسالة بطرس الثانية ورسالة يهوذا وسفر الرؤيا ، عقبتها ترجمة أخرى متينة لاستعمال كنيسة أنطاكية خاصة ، سميت بالترجمة الانطاكية ، وتعرف اليوم بـ « السينائية » لوجود نسختها في دير طور سينا عام ١٨٩٢ وهي موسومة بعدد ٣٠ بخط يوحنا العمودي في دير مار قانون في معرة مصرين سنة ٦٩٨ أو ٧٨٩ ونشرتها السيدة لويز عام ١٩١٠ ٠ وقد خيل الى فريق من العلماء المعاصرين أن ططيانس اعتمد هذه الترجمة في جمع الدياطسرون الآنف الذكر[٨] ٠ ونحو سنة ٢٠٠ عملت ترجمة ثالثة للأناجيل المفردة نسبت الى الاسقف فالوط الرهاوي ٠ وفي الربع الاول من القرن الخامس ضبط مار ربولا الرهاوي نقل الاناجيل المفردة على الاصل اليوناني ٠ وفي سنة ٥٠٥ عمل الخورفسقفوس بوليقربوس ترجمة رابعة للعهد الجديد بعناية مار

---

(٨) اللؤلؤ المنثور ص ٥٢١ ٠

فيلكسينوس المنبجي فعرفت بـ « الفيلكسينية » • وفي سنة ٦١٦ أنجز مار توما الحرقلي مطران منبج ترجمة خامسة عرفت بـ « الحرقلية » •

أما الدياطسرون فقد استعملته كنائس ما بين النهرين والمشرق حتى ألغاه مار ربولا مطران الرها الموما اليه وأحل محله الاناجيل المفردة • وفي هذا الزمن أتلف منه ثاودوريط التورشي نيفا ومئتي نسخة . فضاع أصله السرياني بعد المئة الحادية عشرة ، وبقيت ترجمته العربية التي عملت في أواسط هذه المئة ، والارمنية المخطوطة عام ١١٩٥ •

وأما السبعيني فقد عني بنقله الى السريانية مار بولس السرياني مطران تل موزلت سنة ٦١٥ـ٦١٧ بايعاز من مار أثناسيوس الاول بطريرك أنطاكية (٥٩٥ـ٦٣١) عن هكسبلة أوريجانس أي الترجمة اليونانية المسدسة المصادر . فاعتمده علماؤنا في تفسير الكتاب العزيز • وكان منه نسخة في خزانة دير مار متى في ولاية الموصل في مطلع القرن التاسع[٩] •

---

(٩) الرسالة السابعة والأربعون للجاثليق طيمثاوس الأول النسطوري الى سرجيس أسقف عيلام •

وكما فضّــل العلاّمة أوريجانس في القرن الثالث النقل السبعيني عــلى غــيره من النقول . كذلك فضّله العلاّمة ابن العبري في القرن الثالث عشر على الترجمة السريانية البسيطة لسببين : الاول قوله أن « البسيطة » مشوبة بأخطاء لغوية وخالية من البلاغة ٠ والثاني ،قوله أن الآيات التي اقتبسها العهد الجديد من العهد القديم تطابق النقل السبعيني ، دون الترجمة البسيطة[١٠] ٠

لقد مرّ معنا أن متى الرسول كتب انجيله بالسريانية بحسب اللهجة الفلسطينية ٠ على أن علماء السريان عملوا بعدئذ ترجمة كاملة للعهدين بحسب هذه اللهجة لم يبق منها سوى نتف ، عثر على قطع متعددة منها في مكتبة الجامع الاموي بدمشق ، الدكتور برونو فيوليت الالماني أحد تلامذة العلاّمة نولدكه ، على أثر فتحها في مطلع هــذا القرن باذن السلطان عبد الحميد ٠ وكان قد أوفده اليها البارون هرمن فون سودن مدرس اللاهوت في كلية برلين، بمعرفة جمعية العلوم الملكية في برلين[١١] ٠

---

(١٠) راجع كتابه « اللمع » ب ٤ ق ٤ ف ٦ ٠ بعد أن أورد بضع شهادات من أسفار العهدين دعماً لصحة قوله استطرد قائلا : انه أورد هذا النزر اليسير لا تعييرا لبني قومه بل غلقاً الباب الجدال والمماحكة ٠

(١١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها للكاتب حبيب الزيات ص ٣و٤ ٠

وفي أواخر القرن الثاني استنبط الاديب بولس بن عرقة السرياني الرهاوي خطا لكتابة الاناجيل عرف بـ « الاسطرنجيلي » أو « الرهاوي » نسبة الى مستنبطه ٠

ومنذ صدر القرن الخامس أخذت مدرسة الرها الشهيرة في إحكام ضوابط الاسفار القدسية السريانية ، بترقيم الحركات والنقاط فوق الكلمات ، فطبع على غرارها كثير من الاساتذة منهم سبروي مؤسس مدرسة بيث شاهاق ـ كورة نينوى ، وولداه الربان راميشوع والربان جبرائيل في مدرستي بيث شاهاق ودير مار متى في القرن السابع[١٢] ٠ وفي سنة ٧٠٥ أعاد العلاّمة مار يعقوب الرهاوي النظر في ضبط متون الكتاب وأتم هذه الطريقة ،فقسم الاسفار فصولا قدم على كل منها مضمون ما يشتمل عليه ، وعلّق على المتن حواشي في النقول السريانية واليونانية ولفظ الكلمات الصحيحة ، فنسج على منواله علماء لغويون من رهبان دير قرقفتا على نهر الخابور[١٣] ٠

---

(١٢) رسالة الربان داود بن فولوس الى الاسقف يوحنا في النقاط ، وكتاب « دفقات الطيب » للمؤلف ص ٥٥ ٠

(١٣) اللؤلؤ المنثور ص ٤٥ ٠

ومع اشتغال علماء السريان بترجمة الكتاب المقدس الى لغتهم ، فقد عنوا أيضاً بنقله منها الى لغات أخرى ٠ ففي سنة ٤٠٤ تعاون الملفان دانيال السرياني والاستاذ مسروب الارمني على نقله الى الارمنية فضلا عن الدياطسرون الذي كان قد نقل اليها ٠ وفي حدود سنة ٦٤٣ نقل علماؤنا العرب من بني طي وتنوخ وعاقولا (الكوفة) ، الانجيل المقدس الى العربية بأمر بطريركنا الانطاكي يوحنا أبي السدرات ، إجابة الى رغبة عمير بن سعد ابن أبي وقاص الانصاري أمير الجزيرة[١٤] ٠ وفي سنة ١٢٢١ نقله الى الفارسية يوحنا ابن القس يوسف السرياني التفليسي عن نسخة سريانية مصححة بخط البطريرك يوحنا بن شوشان ، وشرح غوامضه ، وذلك برسم السلطان علاء الدين كيقوباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم ٠ وفي العقد الاول من القرن التاسع عشر نقله الى المليالم لغة جنوبي الهند ، الربان

---

(١٤) في خزانة دير مار متى نسخة فريدة نفيسة من الانجيل الشريف مكتوبة بالسريانية ومنقولة الى العربية ، أنجزها الشماس مردبنا بن يوسف مركيز بن توما من باسخرايي بخطه الجميل سنة ١١٧٧ ، يظن أنها الترجمة التي عملها هؤلاء العلماء ٠ وقد عارضتنا بعض صفحات منها بالاصل السرياني وبالترجمات اليسوعية والبروتستانتية والموصلية فألفيناها صحيحة متينة بل أفصحها ٠

فيلبس السرياني الملباري من قاينكولم · وفي هذا القرن نقل الملفان الخورفسقفوس متى كوناط السرياني الملباري، الى هذه اللغة ، العهد الجديد برمته عدا سفر الرؤيا ·

ومما يدل على أمانة النقلة السريان للكتاب العزيز ، ما دار من الحديث بهذا الصدد بين أمير الجزيرة الآنف الذكر و بطريركنا مار يوحنا أبي السذرات · فقد رغب الامير الى الامير البطريرك في نقل الانجيل الشريف من السريانية الى العربية شريطة ألا يذكر فيه ألوهة السيد المسيح أو صلبه أو المعمودية · فأجابه القديس بكلّ جرأة وإقدام قائلا : حاشا لي أن أخرم حرفاً واحداً من انجيل ربي ولئن اخترمتني سهام معسكرك كلها · فلما تبين الامير شجاعته قال له امض واكتب كما ترى[١٥] · ولبطريركنا القديس مع هذا الامير محاورة دقيقة في إثبات حقائق المسيحية[١٦] ، سننقلها الى لغة الضاد في فرصة أخرى ·

---

(١٥) تاريخ مار ميخائيل الكبير مج ٢ ص ٤٢١ وتاريخ الرهاوي المجهول مج١ ص ٢٣٦ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ ص ٢٧٥ ·

(١٦) ذكرها مار ميخائيل الكبير والرهاوي المجهول ونشر الاب فرنسوا نو سنة ١٩١٥ نصها السرياني منقولا الى الفرنسية ·

الفصل الثامن

حرصها على الكتاب المقدس

وبهذه المناسبة لا يسعنا إلاّ أن نطري حصافة الرهبان والاكليريكيين الخطاطين على ما بذلوه من الجهود الجبارة المتواصلة في نسخ مخطوطات الكتاب المقدس وتخليد تلك الكنوز النادرة والحرص عليها حرصهم على أثمن الجواهر، مسدين الى المسيحية بصمتهم الذهبي فضلا عميما . وقد كان أغلبهم لحسن الحظ ممن حسن خطهم وكثر ضبطهم، فتوفرت لديهم خزائن كبرى حفلت ليس بنقول الكتاب المقدس فحسب بل بألوف من نفائس المصنفات ونوادر المخطوطات ، ما يدهش العقول ويشده الالباب . ويدل دلالة واضحة على كلف السريان منذ أول أمرهم بالعلوم وبنسخ الكتب وجمعها ، رغم تواتر المحن على بلادهم وما ألم بهم من الحيف والعسف وما انتابهم من الغير والآفات والنهب والسلب والحريق .

أجل ، لقد أضاعت صروف الليالي شيئاً كثيراً من حسناتهم • روى التاريخ أنه في ٢٣ شباط سنة ٣٠٣ أصدر القيصر ديوقليطيان الى جميع البلاد الخاضعة له مرسوما يقضي باحراق الاسفار المقدسة حيثما وجدت[١٧] • وفي سنة ١٥٩٩ أحرق الكسيس دي منيزيس الاغسطيني رئيس أساقفة غوا اللاتيني ، في بهرة مجمع ديامبور في جنوبي الهند ، جميع الكتب والطقوس السريانية الخاصة بالكنيسة السريانية في الهند[١٨] • وفي سنة ١٧٨٠ حين انفصل أهل قرقوش – الموصل عن الكنيسة السريانية ، طرحوا في بئر كنيسة الطاهرة بالموصل ، مجلدات كثيرة من كتب السريان[١٩] • وفي أواسط القرن التالي أحرقت راهبات دير الشاغورة بصيدنايا برئاسة الحاجة « كاترينة مبيض » ، شتى المخطوطات السريانية النفيسة النادرة ومعظمها من رق الغزال ، اذ خشي وكلاء هذا الدير من كثرتها أن تكون حجة بيد السريان يتقوون بها على إثبات حقوقهم على الدير (كذا) ، فأجمع رأيهم على اتلافها تخلصاً من شرها !! وبدأوا يحرقونها تحت القناطر ثم

---

(١٧) التاريخ الكنسي لاوسابيوس القيصري ٨ : ٣ •

(١٨) تاريخ الكنيسة السريانية الهندية للمؤلف ص ٥٩ •

(١٩) السريان في القطر المصري للخوري اسحق أرملة ص ٤٧ و ٤٨ •

كرهوا أن تذهب نارها ضياعاً فجمعوها في فرن الدير لتكون وقوداً له لمدة أربعة أيام ، خبزوا عليها خبزتين[٢٠] . وللغايـة نفسها أحرق أحـد أساقفة الروم اليونانيين المشهورين بكراهيتهم للغة السريانية ، مجموعة سريانية أخرى في دير القديسة تقلا في معلولا[٢١] . هذا فضلا عمّا أتلفه الاكراد وغيرهم في جملة غارات عارمة شنوها على الكنائس والاديار السريانية على مرّ الاحقاب ، وما ذهبت به أحداث الحرب الكونية الاولى .

وبالرغم من ذلك فقد صمدت بقية صالحة من ذلك التراث الثمين ، تضمَّخت بها خزائن الكتب شرقاً وغرباً ، وهي أقدم مصاحف العالم ، ولا سيما المخطوطات النادرة التي نقلت من خزانة دير السريان في مصر الى خزائن الفاتيكان ولندن[٢٢] وميلان وبرلين وباريس وأوكسفورد وكمبرج وغيرها ، والتي يرتقي عهـد نسخ بعضها الى القرن الخامس والسادس .

وترى في خزانة ميلان ، بين هذه المخطوطات النفيسة ،

---

(٢٠) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ص ١١٧ و ١١٨ .

(٢١) فيه ص ١٦٠ .

(٢٢) نُشر فهرسها في ثلاثة مجلدات .

نسخة اسطرنجيلية نادرة المثال ، حوت أسفار العهد القديم برمتها أي القانونية منها وغير القانونية ٠ ومما يدل على قدمها انها سنة ١٠١٦ م جددت وجلدت بعد تفككها وقد طبعها بالنور والحجر الاب A. Cexiani في ميلان سنة ١٨٧٦ في مجلدين ٠ ونسخة أخرى للعهد القديم في خزانة باريس (عد ٢٧) أنجزت سنة ٧٢٠ م ورد فيها ما تعريبه عن السريانية « وهب لدير برية الصعيد في مصر رهبان تكريتيون يلتمسون الصلاة والدعاء لجميع التكريتيين الذين اشتروا هذا الدير من الاقباط بمبلغ اثني عشر ألف دينار بمساعي ماروثا بن حبيب الرئيس الكبير »[٢٣] ٠

ولكي تتبين فضل السريان في نشر الكتاب المقدس وتخليده . تأمل عدد النسخ المصونة منه اليوم في مختلف المكاتب الشرقية والغربية ٠ فقد أحصى الاب بولان مرتان خمسا وخمسين نسخة سريانية اسطرنجيلية من الترجمة « البسيطة » ، مكتوبة في القرن الخامس والسادس

---

(٢٣) السريان في القطر المصري ص ٥٢ و ٥٣ ٠

والسابع يقابلها ٣٢ نسخة لاتينية و ١٠ نسخ فقط يونانية(٢٤) ٠

وكفى الكنيسة السريانية فخراً ، ان أقدم نسخة من الانجيل المقدس اليوم هي بالسريانية ، خطها الكاتب يعقوب في الرها سنة ٤١١ وهي مصونة في خزانة الكتب في المتحف البريطاني ٠

وقد امتازت هذه المصاحف الثمينة بجودة الخط ، وبلغت من التنميق والتنسيق والتأنق والاتقان ما يبهر الابصار ٠ فمنها ما كتب بالخط الاسطرنجيلي وذلك منذ القرن الخامس حتى الثالث عشر ٠ ومنها بالخط الغربي منذ القرن الثالث عشر ٠ ومنها بالكركري المنمنم المطرز منذ القرن السادس عشر ٠ وهي على أشكال ثلاثة غليظ ووسط ودقيق ٠ وقد تميز كثير منها بالنقوش المستبدعة والصور المستملحة التي تعد آية في الفن ٠ وبين مخطوطات خزانة الكرسي البطريركي النفيسة النادرة ، ثلاثة أناجيل كنسية اسطرنجيلية على الرق ، الواحد بخط الراهب الشماس عمنوئيل ابن أخي يوحنا السبريني مطران دير قرتمين (٩٩٨ ـ ١٠٣٤) الذي كتب سبعين

---

(٢٤) « الملكيون » للخوري اسحق أرملة ص ١٠٤ نقلا عن معجم الكتاب المقدس تأليف فيكورو ص ١٣٢ و ١٣٣ ٠

مجلدا معظمها من أسفار العهدين بحسب نقولها البسيطة والسبعينية والحرقلية ، والتي قال عنها العلامة ابن العبري ان « لا مثيل لها في الدنيا »[٢٥] • والثاني بخط الشماس بطرس الكاتب ومعلم مدرسة ملطية ابن القس جبرائيل ، أنجزه في ملطية يوم السبت ٢١ كانون الثاني سنة ١٠٥٥ م في عهد مار يوحنا بطريرك أنطاكية سوريا ومار خريستودول بطريرك الاسكندرية ومار يوحنا مطران ملطية ، وزخرفه بخمس صور ملونة بديعة ، تمثل الاولى السيد المسيح في الوسط ومار بطرس ومار بولس عن يمينه وشماله ، والثانية السيدة العذراء والدة الاله ، والثالثة مار يوحنا المعمدان ، والرابعة القديس مار برصوم رئيس الابيلين ، والخامسة مار جرجس • وهذه المخطوطة كان قد أهداها الراهب لعازر من كيشوم الى دير مار برصوم • وقد أخبرنا العلامة ابن العبري ان كاتبها فاز باكليل الشهادة سنة ١٠٥٨ • وذلك أنه فيما كان ينسخ فنقيثاً سريانياً لفروض الصلاة ، وصادف أن كتب بيتاً تعريبه « يشبه رأس يوحنا عنقوداً قطفته هيروديا » الخ ، باغته بعض الاوغاد الذين كانوا قد

---

(٢٥) التاريخ الكنسي مج١ ص ٤١٧ •

عاثوا في ملطية فساداً ، نهباً ، وتدميراً وتنكيلا وتقتيلا ، وصبوا على رأسه قاراً مذوباً ووضعوا على صدره جمراً في لقان · ولما أوشك أن يفارق الحياة لاحظ ناراً آخذة بقدميه فقال لهما طوباكما لانكما تطهرتما ، ثم فاضت روحه الطاهرة[٢٦] · والثالث بخط الراهب عبد المسيح من رهبان دير مار جرجس غربي مدينة ماردين ، أنجزه سنة ١١٧٠ لبيعة الشهداء الاربعين في ماردين ، في عهد البطريرك مار ميخائيل الكبير · وقد موه الخطاط بماء الذهب والفضة رؤوس فصوله وبعض صفحاته التي سبق فطلاها بمختلف الالوان الزاهية الخلابة · على ان مار ميخائيل نفسه كان قد تأنق في كتابة انجيل نفيس موهه بماء الذهب والفضة صفحة صفحة وجلّده بالفضة[٢٧] · ثم جاء البطريرك يوحنا المعروف بيشوع الكاتب (+١٢٢٠) فوشّى انجيلا بماء الذهب[٢٨] · ومن مصاحف خزانة دير مار متى ــ الموصل النادرة التي آلت الى الخزانة الفاتيكانية ، مصحف بديع لانجيل كنسي بالقلم الاسطرنجيلي ، أنجزه الراهب مبارك بن داود بن صليبا

---

(٢٦) تاريخ الزمان أو المدني بالسريانية ص ٢٣٨ ·

(٢٧) تاريخ الرهاوي المجهول مج ٢ ص ٣١٥ ·

(٢٨) اللؤلؤ المنثور ص ٢٩ ·

ابن يعقوب البرطلي يوم السبت أول أيلول سنة ١٢٢٠م •
وقد زيَّنه ناسخه الذي اشتهر بالخط المليح وبفن الرسم، بأربع وخمسين صورة ملونة في غاية التأنق والاتقان •
تمثل الصورة الاولى موسى الكليم بيده قلم ، وفي أسفلها صورة يوحنا الانجيلي والى جانبها أرزة لطيفة من أبدع ما نمّقته ريشة نقّاش • وتمثل الصورة الثانية زكريا الكاهن عند مذبح البخور ، وجبرائيل رئيس الملائكة يبشره بميلاد يوحنا • وتمثل الثالثة العذراء مريم ، وجبرائيل يبشرها • والرابعة زيارة العذراء لاليصابات •
والخامسة زكريا بيده لوح مكتوب عليها « يوحنا اسمه » •
والسادسة يوسف خطّيب مريم ، والملاك • والسابعة ميلاد السيد المسيح • وهكذا تجد صور قتل أطفال بيت لحم ، وهرب يسوع الى مصر ، ورجم مار اسطيفانس أول الشهداء ، ومار أنطونيوس أبي الرهبان ، ومار شمعون الشيخ ، وعرس قانا الجليل ، وابن أرملة نايين ، والسامري ، والمرأة الخاطئة ، وغسل السيد لاقدام التلاميذ ، والعشاء السري ،وقيامة المسيح ، وصعوده الى السماء ، وصورة قسطنطين الملك وأمه هيلانة يتوسطهما صليب قد أمسك به كل منهما بيمينه •

لقد بلغ ببعضهم شغفهم بكتاب الله الى نسخ نصوص الاناجيل اليونانية بحروف سريانية اسطرنجيلية • منها نسخة يرتقي عهدها الى القرن التاسع وقعت سنة ١٨٩٠ الى المستر باري المستشرق الانكليزي في مذيات طور عبدين • ولابدع فان كثيرين من علماء السريان برعوا باللغة اليونانية • بل ان مار لوقيانس السرياني السميساطي مؤسس مدرسة أنطاكية اللاهوتية صحح النقل السبعيني اليوناني وضبطه ، فعولت عليه الكنائس اليونانية في الشرق •



الفصل التاسع

نشرها الكتاب المقدس

أما العناية الكبرى التي أبداها المبشرون السريان ، بحمل مشعل الانجيل الوضاء الى مختلف البلاد والشعوب، فحدّث عنها ولا حرج . ولا سيما الى القبائل العربية ، التغالبة والحميريين والقطريين وبني كندة وبني طي وعقيل وتنوخ والغساسنة والنمر وبني شيبان « ثعلبة » وبني بكر بن وائل في ديار بكر والمناذرة . والفرس والافغان والهنود وأهل الصين والارمن والحبشة[٢٩] وبلاد آسيا الصغرى وقاريا وفروجيا ولوديا وغيرها من البلاد[٣٠] .

---

(٢٩) في القرن السادس اهتدى جم غفير من الاحباش الى حظيرة المسيح بواسطة القس يوليان السرياني .

(٣٠) في القرن السادس نفسه تنصر في هـــذه البلاد ثمانون ألفاً من الوثنيين بواسطة مار يوحنا السرياني الآمدي أسقف أفسس ، وبهمة القيصرة تيودورة السريانية زوجة يوسطينيان .

ففي سنة ١٨٠ وجد بنتينوس الفيلسوف الاسكندري، في اليمن عند اليهـود المتنصرين ، نسخة من انجيل متى باللغة السريانية الفلسطينية[٣١]. وفي سنة ٤٨٨ وجدت نسخة أخرى منه على صدر مار برنابا في ضريحه في جزيرة قبرص ، فأرسلت الى القيصر زينون في القسطنطينية حيث حفظت في البلاط الملكي بكرامة جزيلة ، وكانت مكتوبة بحروف غليظة كما ذكر القديس سويريوس الانطاكي الذي عاينها[٣٢] . أمـا الترجمة العربية التي عملهـا البطريرك مار يوحنا أبو السذرات نحو سنة ٦٤٣ ،وقدم منها للأمير العربي نسخة مكتوبة بخط جلي أنيق عـلى رق صقيل ، ومجلّدة تجليداً فاخراً[٣٣] ، فتعتبر في حد ذاتها عمـلا تبشيرياً لا مثيل لـه . وهنالك في كنيستنا الكبرى في كوطيم ـ ملبـار الهنـد ، صليبان حجريان كبـيران ، نقشت عليهمـا كتابات بهلوية ، يرتقي عهد أحدهما وهو الاحدث الى المئة العاشرة في رأي الدكتور برنل . وقد زبرت عليه بالسريانية والقلم الاسطرنجيلي

---

(٣١) التاريخ الكنسي لاوسابيوس القيصري ٥ : ١٠ .

(٣٢) رسالته الـ ١٠٨ الى توما أسقف مرعش طبعة بروكس ص ٢٦٦

(٣٣) تاريخ الرهاوي المجهول مج ١ ص ٢٦٣ و ٢٦٤ .

عبارة الرسول القائلة : « وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلاّ بصليب ربنا يسوع المسيح » ما يدل على انتشار الترجمات السريانية في تلك الاصقاع النائية منذ أمد بعيد · وفي سنة ١٨٠٦ أوفدت حكومة بنغال الى الكنيسة السريانية في ملبار الهند ، الدكتور كلوديوس بوكانان نائب رئيس كلية « فورت وليم » في كلكتا ، لجمع المخطوطات السريانية القدمى ولنقل الكتاب المقدس الى المليالم · فأهدى اليه ديونيسيوس الاول مطران ملبار (١٧٧٠ ـ ١٨٠٨) مخطوطة سريانية قديمة ثمينة من الكتاب المقدس ، كانت مصونة في خزانة كنيسة انكمالي السريانية ، قائلا : « انها ستكون في مأمن بأيديكم أكثر مما هي بأيدينا » · فأجابه بوكانان « أرجو أن تتمكن لندن من صيانتها ألف سنة »[٣٤] · ووعد بأن ينقل الكتاب المقدس الى المليالم · وفي السنة التالية زار ديونيسيوس مرة ثانية ، وأخذ الى بومباي مسودة الاناجيل الاربعة التي نقلها من السرياني الى المليالم الربان فيلبس السرياني القاينكولمي الآنف الذكر ، حيث نشرها سنة ١٨١١ بمطبعة كورير COURIER ، ثم نشر في لندن ترجمة

---

(٣٤) كتابه الابحاث المسيحية في آسيا ص ١٣٠ و ١٣١ ·

الكتاب المقدس السريانية المعروفة « بالبسيطة » لمنفعة سريان ملبار[٣٥] ٠ أمّا المخطوطة الثمينة فأهداها الى خزانة كمبردج في انكلترا حيث لا تزال مصونة تحت رقم ٢٠٤ ٠ وتعرف بـ « كتاب الانبياء » ܟܬܒܐ ܕܢܒܝܐ وهي منسوخة بالخطين الاسطرنجيلي والغربي ، ثلاثة عواميد في الصفحة الواحدة . أنجزها الراهب باسيل ابن الشيخ سعيد المعروف بآل مقدسي في دير القديسة بربارة في جبل الرها في ٤ كانون الثاني سنة ١١٧٤ في عهد مار ميخائيل بطريرك انطاكية ومار أثناسيوس مطران الرها ٠ وقد كانت بين المخطوطات الكتابية . الدينية ، التفسيرية ، الفقهية ، والطقسية الست والاربعين التي أهداها البطريرك جرجس الثالث (١٧٤٥ ـ ١٧٦٨) سنة ١٧٤٩ الى الكنيسة السريانية في الهند بواسطة مار باسيليوس شكر الله الحلبي مفريان ملبار ٠ كما انها كانت مع مخطوطتين أخريين للكتاب المقدس وثالثة تتضمن تفسير الانجيل لابن صليبي ورابعة تحوي هدايات ابن العبري[٣٦] ، أقدم تلك المخطوطات وأشهرها وأنفسها[٣٧] ٠

---

(٣٥) تاريخ الكنيسة السريانية الهندية للمؤلف ص ١٨٣ ـ ١٨٥ ٠

(٣٦) أنجزت في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٢٩٠ م ٠ وهي مصونة في خزانة الخوري متى كوناط ملفان ملبار في بامباكودا ، وهي أقدم نسخة معروفة من هذا الكتاب ٠

(٣٧) تاريخ الكنيسة السريانية الهندية ص ١٣٣ ٠

الفصل العاشر

تفجيرها طاقات الكتاب المقدس

ومثلما حرصوا على صيانة الكتاب المقدس ، وأغرقوا في جوب أطراف المعمور ينشرونه بين مختلف الشعوب ، كذلك كتبوا مجلدات ضخمة في كشف غوامضه وفتح مغلق معانيه . وأشهر علمائنا الذين برزوا في هذه الحلبة هم ، مار افرام نبي السريان[٣٨] وتلميذه آبا ومار يعقوب السروجي ومار فيلكسينوس المنبجي ومار دانيال الصلحي ومار ماروثا التكريتي ومار يعقوب الرهاوي ومار جرجس أسقف العرب ومار ايوانيس مطران دارا ومار سويريوس موسى ابن كيفا مطران الموصل ومار ديونيسيوس يعقوب ابن صليبي ومار غريغوريوس يوحنا ابن العبري .

---

(٣٨) لقد سماه العلامة ابن العبري « افرامنا شمس السريان » (اللمع ب ٤ ق ٤ ف ٦) .

والذي أحرز قصبات السبق في هذا المضمار هو ابن صليبي بتفسيره العهدين تفسيراً مطولا. أما ابن العبري ففسر العهدين في كتاب أسماه « مخزن الاسرار » . وقد أهمل في هذا الكتاب النفيس تفسير سفر الرؤيا زاعماً أن كثيرين من آباء الكنيسة بدءاً من القديس ديونيسيوس الاسكندري في القرن الثالث لم يعترفوا بقانونيته ناسبين إياه الى غير يوحنا الرسول(٣٩) .

وفي نمط التفسير اعتمد بعضهم طريقة المدرسة الاسكندرية ونحا البعض الآخر نحو المدرسة الانطاكية بل هنالك من جمع بين طريقتيهما كابن صليبي مثلا . ذلك أن المدرستين اللاهوتيتين المذكورتين تنافستا في هذا المضمار . فأوجبت الاسكندرية لكلّ آية ثلاثة معاني مختلفة هي الحرفي أو اللفظي ، والروحي ، والرمزي . فيما اقتصرت الانطاكية على التفسير الحرفي أو اللفظي الا عند الاقتضاء .

وعلاوة على تلك التفاسير القيّمة فقد نقل بعض علمائنا من اليونانية الى السريانية تفاسير الملافنة القديسين

---

(٣٩) الهدايات ب ٧ ف ٩ .

باسيليوس الكبير والذهبي الفم وكيرلس الاسكندري وسويريوس الانطاكي وغيرهم ·

وبعد أن قسم علماؤنا أسفار الكتاب فصولا عينوا منها بمنتهى الحكمة والذوق ، وعلى نسق الترتيب الكنسي ، قراءات تتلاءم وموضوع الآحاد والاعياد على مدار السنة ، فضلا عن أيام الصوم الاربعيني وطقوس الاعياد الحافلة والرسامات والعماد وبركة الاكليل وتقديس الميرون وزيت العماد ، والصلاة على الجنائز · فخصصوا لكل من الآحاد والاعياد ثلاث قراءات من العهد القديم ثالثتها من أسفار النبوات ، وخمساً من العهد الجديد ثلاث منها من الانجيل ، تتلى أولاها في أثناء صلاة المساء والثانية في أثناء صلاة الصباح والثالثة في أول القداس ، والرابعة من أعمال الرسل أو احدى الرسائل الجامعة ، والخامسة من الرسائل البوليسية ، وكلاهما تتليان في أول القداس قبل تلاوة الانجيل · ويمتاز عيدا الميلاد والقيامة بقراءة رابعة من الانجيل تتلى في أثناء صلاة الليل ·وخصصوا لكل من أيام الصوم الاربعيني ما عدا السبت سبع قراءات ، ثلاث منها من العهد القديم واثنتان من الانجيل تتلى أولاهما مساء والثانية صباحاً ،

والاثنتان من أعمال الرسل والرسائل كما مرَّ معنا ·
أما السبت فخصصوا له قراءتين الاولى من الرسائل البولسية والثانية من الانجيل · ويمتاز أسبوع الآلام بتخصيص قراءة من الانجيل لكل قومة فضلاً عن نظام القراءات في أيام الصوم ·

أما في الاعياد الحافلة ، فقد خصصوا لطقس بركة الماء في عيد الدنح (الغطاس) . سبع قراءات ، منها أربع من العهد العتيق وثلاث من العهد الجديد ، ولطقس التسامح أو الغفران في الاثنين الاول من الصيام الكبير، ثلاث قراءات من العهد الجديد · ولكل من طقوس بركة الاغصان في عيد السعانين ، وغسل الاقدام في خميس الاسرار ، وجناز الصليب يوم الجمعة العظيمة ، والسلام في صباح عيد القيامة ، ست قراءات ، ثلاث من العهد القديم وثلاث من العهد الجديد ، ولحفلة المصابيح (النهيرة) في ليلة اثنين الآلام أربع قراءات واحدة من العهد العتيق وثلاث من العهد الجديد · ولطقس المسامحة يوم سبت البشائر قراءة واحدة من الانجيل . ولكل من قومات السجدة الثلاث في عيد العنصرة خمس قراءات اثنتان من العهد العتيق وثلاث من العهد الجديد . ولتقديس الميرون

خمس قراءات (وفي بعض النسخ عشر) من العهد العتيق وثلاث من العهد الجديد ، ولكل من طقوس القدّاس والعماد والاكليل قراءتين من العهد الجديد ، الاولى من الرسائل البولسية والثانية من الانجيل ، ولمسحة المرضى ثلاث قراءات من العهد الجديد ، ولكل من الجنائز أربع قراءات واحدة من العهد العتيق وثلاث من العهد الجديد، ولكل من طقسي بركة بيت ودخول المرأة الى الكنيسة بعد ولادتها بأربعين يوماً ، قراءة واحدة من الانجيل ·

وأما في طقوس الرسامات الكهنوتية وخدمة الاسرار المنوطة بالاحبار ، فقد عينوا لترقية كل من المرتل والقارىء والافودياقون قراءتين ، الاولى من العهد العتيق والثانية من الانجيل ، ولرسامة الشماس والخورفسقفوس قراءتين ، الاولى من الرسائل البولسية والثانية من الانجيل ، ولرسامة كل من القسوس والقسيسات والاساقفة ، ولوضع حجر الاساس لكنيسة ، ثلاث قراءات من العهد الجديد ، ولتلبيس الاسكيم للرهبان تسع قراءات ، ست من العهد العتيق وثلاث من العهد الجديد· ولتكريس الايقونات قراءتين من العهد العتيق ، ولكل من تكريس الكنائس وتقديس الزيت ست قراءات ، ثلاث

من العهد العتيق وثلاث من العهد الجديد • ولطقس من يتوب عن أحد الاديان الغريبة أو احدى الهرطقات ، قراءة واحدة من الانجيل •

على هذا الوجه الامثل ، فرضت الكنيسة المقدسة قراءة الكتاب العزيز ، اعتقاداً منها بأنه علم الخلاص وبشارة الملكوت وترياق النفوس ، كما قدمت تلاوة العهد العتيق ليشهد لحقيقة العهد الجديد الذي يعقبه فوراً كي يعلن أنه كمله • وتتقدم موكب الانجيل الشريف أقوال الانبياء فأعمال الرسل أو الرسائل الجامعة فالرسائل البولسية كما مرَّ بك مثلما يتقدم الرسل الملك عند زيارته بلدا ما • أما مار بولس فهو المنادي المباشر الذي يُعدّ المؤمنين لاستقبال الملك الالهي ، ولذلك يصغون الى رسائله وقوفا برهانا على استعدادهم التام لاستقباله ، فيما انهم يفعلون ذلك جلوساً عند قراءة العهد العتيق وأعمال الرسل • ثم يصل الملك السماوي (الانجيل) ليخاطب المؤمنين من فوق المنبر ، وسط البخور والاضواء وحفيف المروحتين والتهليل ، كما نزل العلي الى جبل

سيناء وخاطب كليمه موسى في وســط الدخان والبروق والرعود وصوت البوق ، وأعطاه الوحي ولَوحَي الشريعة ·
وينفرد بقراءته الكهنة ورؤســاء الكهنة ممثلو السيد المسيح ، مستهلين اياه بالســلام إشارة الى بشارة المسيح آله السلام الذي سالم وآلف بين السماويين والارضيين·
وتضاء أمامه شمعتان لتشيرا الى المبشرين الذين أرسلهم المسيح اثنين اثنين أمامه ·



الفصل الحادي عشر

حقوقها في كنيسة القيامة

« القى قداسة البابا بولس السادس الروماني في بطريركية اليونان الارثوذكس في القدس كلمة جاء فيها قوله : « لقد سرّنا ما بلغنا من أن جوا من التعاون الصريح يسود الآن العلاقات بين طائفتكم والطائفة الكاثوليكية والطائفة الارمنية في ما يتعلق بالعمل لترميم كنيسة القيامة » ومنها يتضح أن قداسته يعتبر الطوائف الثلاث المذكورة وحدها صاحبة الحق في كنيسة القيامة . أفليس لطائفتنا السريانية أيضاً حقوق في هذه الكنيسة ؟

لا ندري لماذا تجاهل قداسته الطائفة السريانية . لا شك في أن أول كنيسة نشأت في أورشليم كانت سريانية بداعي ان اللغة السريانية بالذات كانت اللغة الام للسيد

المسيح ورسله ، بل لغة اليهود في أورشليم طيلة الجيل الرسولي • أما كنيسة القيامة فقد أمرت بتأسيسها الملكة هيلانة السريانية الرهاوية أم قسطنطين الملك في سنة ٣٢٦ • وقد استغرق هذا البناء ست سنوات ودعي « القيامة » • وقد زارها حجاج كثيرون منهم سيلفيا الاكويتانية سنة ٣٨٥ ، فوصفت في رحلتها الشهيرة الاماكن المقدسة والحفلات الدينية وصفا دقيقا • ومما قالت : « ان أسقف أورشليم مع كونه يعرف السريانية يخطب دوماً باليونانية ،فتنقل خطبه الى السريانية مباشرة بواسطة كاهن يقف الى جانبه » ، الامر الذي يدلّ على أن السواد الاعظم من سكان القدس كانوا سريانا •

وفي أيار سنة ٦١٤ دمرّ الفرس في جملة ما دمّروه من الكنائس والاديار في القدس ، كنيسة القيامة ، التي أعاد بناءها بعد بضع سنوات موديستوس رئيس دير تيودوسيوس وانتهى منه سنة ٦٢٩ • وفي ٢٣ أيار سنة ٩٦٦ أحرق أبوابها ونهبها محمد بن اسماعيل الصناجي والي بيت المقدس وأتباعه ، فسقطت قبتها ، فجدّدها علي ابن الخمار السرياني البغدادي كاتب أفتكين القائد التركي مولى معز الدولة بن بويه الذي غلب على الشام

برضى أهلها سنة ٩٧٤ · روى المؤرخ الرومي الملكي المعروف يحيى بن سعيد الانطاكي في ذيله على تاريخ سعيد بن بطريق قال : « وفي رئاسة أنبا توما البطريرك (هو توما الثاني بطريرك الروم في أورشليم سنة ٩٦٩ ـ ٩٨٠) أعاد ما انخرب في كنيسة القيامة وجدّده واهتم بذلك رجل كاتب نصراني سرياني يسمَّى علي بن سوار ويعرف بابن الخمار فبنى قبَّة القيامة · وجاء في نسخة ثانيةمن هذا التاريخ ما يأتي « وجدّد أكثر ماخرب كاتب نصراني يسمَّى ابن سوار » · (الجزء الثاني ص ١٢٥ و ٢٤٠)·وفي سنة ١٠٠٩ أمر بتدميرها الحاكم بأمر الله أحد الخلفاء الفاطميين بمصر ، وفي سنة ١٠٤٨ تمكن قسطنطين مونوماخوس ملك الروم من مباشرة بنائها · وفي تموز سنة ١٠٩٩ استولى الصليبيون على القدس وأسسوا دولة لاتينية دامت ٨٨ سنة وبقيت القيامة طيلة هذه المدّة تحت النفوذ اللاتيني · أما الطوائف الشرقية فأبقي لها قسم ضئيل من حقوقها فيها واستمرت تمارس طقوسها تحت سقفها·وفي سنة ١١٤٩ انتهى الصليبيون من توحيد جميع بنايات القيامة تحت سقف قبة شاهقة ، وفي سنة ١٢٣٩ انتهى حكم الصليبيين

نهائياً من القدس ، وبانتهائه انتهت أيضاً سيادة اللاتين المطلقة التي تمتعوا بها في ادارةالاماكن المقدسة ، وأعيد بعض ما اغتصبوه من الاملاك الى أصحابه • ومنذ القرن الثالث عشر الى أيامنا هــذه ، رمِّمت الكنيســة التي خلفها الصليبيون مرارا ، لما طرأ عليها من حوادث الزلازل والحريق واجتياح الامم • وفي سنة ١٨٦٩ اتفقت روسيا وفرنسا وتركية على تجديد بناء القبَّة التي فوق كنيسة القبر وهي القبة الحالية •

من هنــا أن الطوائف التي كانت تتمتع بحقوق في كنيسة القيامة في أول الامر هي السريانية واليونانية • ثم جاءت اللاتينية • أما الارمنية فوجدت في القدس في القرون الوسطى فقط • وأما حقوقها في كنيسة القيامة فهي مما اغتصبته من الطائفة السريانية • وقد ساعدتها على ذلك ظروف قاهرة ليس إلاّ •

وهنالك وصف لاورشليم وكنائسها وديورتها دوّنه رجل رومي عربي اللسان عند زيارته أورشليم ورؤيته ما كان لجميع الملل المسيحية في زمانه من الكنائس والمذابح وما إليها • والاغلب انه عاش في القرن الخامس عشر أو في القرن التالي كما ارتأى المستشرق أنطون بومشترك

الذي نشر مقاله في مجلة الشرق المسيحي وسبّقه بمقدمة المانية ونقله الى اللاتينية · جاء فيه « في الوسط قبة القبر وخلفه كنيسة للقبط ومن قدامها كنيسة للسريان وفي وسطها قبور يوسف ونيقوديموس اللذين جنزا المسيح » « وفوق قبة الحجر المقدس الذي غطى فيه يوسف قبر المسيح مشعول من القناديل ··· للسريان اثنان » « وداخل القبر مشعول فوقه قناديل ··· للسريان ثلاثة » « وخارج كنيسة السابق يوحنا التي تحت الجلجلة، المغتسل حيث كفنوا المسيح فوقه ثمانية قناديل ··· للسريان واحد » « وفي القبر يوجد ناس من الارثوذكس والافرنج والارمن ومن القبط ومن السريان ومن الحبش ويخدمون كل منهم في الكنيسة » (راجع المجلة البطريركية ـ القدس السنة الرابعة ١٩٣٧ ـ ص ٧٨ ـ ٨٩) ولا تزال طائفتنا السريانية الارثوذكسية تمارس حقوقها في كنيستها المذكورة آنفاً داخل كنيسة القيامة · وهي تحتفظ بوثائق رسمية تنطق بحقها الشرعي فيها ·



الفصل الثاني عشر

بيت يوحنا مرقس

أول كنيسة مسيحية[1]

ننشر هذا الفصل خدمة للتاريخ واخلاصاً للحقيقة ، لمناسبة الدعايات الغربية التي راجت حول البيت الذي تناول فيه السيد المسيح العشاء السري ، أي بيت مريم أم يوحنا مرقس ، جاعلة اياه اعتباطياً في المنطقة المحتلة من القدس. وهذا الفصل يكشف النقاب عن وجه الحقيقة الوضّاءة ،مبيناً أن دير مار مرقس المعروف بدير السريان في القدس ، هو البيت الذي تم فيه العشاء السري ، استناداً الى الوثائق التاريخية الثابتة .

ان يوحنا الملقب مرقس أحد الذين ساعدوا الرسل

---

(١) وهو الفصل الحادي والعشرون من الباب الاول والجزء الاول من كتاب « تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية » للمؤلف .

في نشر البشارة الخلاصية ، ينتمي الى أسرة عريقة ، أمه مريم أخت مار برنابا (كو ٤ : ١٠) • بشر في انطاكية وسلوقيا وقبرص بصحبة برنابا وبولس ، ثم فارقهما في برجة بمفيلية راجعاً الى أورشليم • ولما أراد برنابا أخذه معهما ثانية بعد مدة ، أبى بولس ذلك ، فأخذه برنابا الى قبرص • غير أن بولس عاد فقبله بعد ذلك • وقد رأيناه يثني عليه ويوصي به أهل كولوسي (كو ٤ : ١٠) • قال بعضهم انه مرقس الانجيلي نفسه بينما أثبت آخرون انهما اثنان •

كان لأمه مريم بيت في أورشليم ، ومن الثابت من التقليد العام والوثائق القديمة ، ان هذا البيت كان له شأن عظيم ، لان فيه حل الرب مع رسله وأنجز الفصح الموسوي وغسل أرجل التلاميذ واستودعهم سر جسده ودمه ، ولفظ خطابه المشهور • وفيه كان الرسل يجتمعون حيث أتاهم الرب بعد قيامته والابواب مغلقة ، وأعطاهم سلطان الكهنوت بقوله لهم « سلام لكم كما أرسلني الآب أرسلكم أنا •• ثم نفخ فيهم وقال لهم اقبلوا الروح القدس ، من غفرتم له خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » (يو

٢٠ : ١٩ ـ ٢٣) ، وبعد صعود الرب الى السماء كان الرسل والنساء ومريم أم يسوع واخوته مواظبين على الصلاة في هذا البيت ٠

وفي تلك الايام بينما كان عدة أسماء معاً نحو مئة وعشرين انتخب ماتياس بالقرعة للرتبة الرسولية بدلاً من يهوذا الاسخريوطي ٠ وفيه بينما كانوا مجتمعين حل عليهم الروح القدس ٠ وبعد ذلك كرسه الرسل كنيسة باسم والدة الاله ٠ وفيه كان التلاميذ والمؤمنون يجتمعون دوماً للصلاة ٠ وفيه صلوا بلجاجة من أجل بطرس حين كان في السجن ٠ واليه جاء بطرس لما أنقذه الملاك ، فأهميته العظمى دعت الى اتخاذه مركز كرسي أورشليم ٠ وفيه أقام يعقوب أخو الرب أول أساقفة أورشليم وخلفاؤه كما أجمع المؤرخون الثقات الشرقيون والغربيون[٢] ٠

والبيت المذكور هو البيعة المعروفة اليوم في أورشليم باسم دير مار مرقس أو بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس؛

---

(٢) راجع كتاب تحفة الجيل في تفسير الأناجيل للسيد يوسف الدبس الماروني ص ٣١٨ نقلا عن بارونيوس والخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ج ١ ص ٥٨ ومجلة اليقظة ج ٧ م ٤ ص ٤٩٦ وكتاب البراهين العقلية والعلمية في صحة الديانة المسيحية تاليف القائمقام ترتن ص ١٦٨ ٠

وهي قريبة من كنيسة القيامة • ولا تزال منذ العصور البعيدة بيد السريان الارثوذكس ، يقيم فيها المطران الاورشليمي • وهذا لا شك برهان على أنّ السريان أول من اعتنق المسيحية • ولا عجب فان لغة المسيح وأمه الطوباوية ورسله الاطهار والجيل الرسولي كانت السريانية كما أسلفنا •

ومما يتخذ حجة قاطعة على قدم الكنيسة المرقسية الاثرية ، وحق السريان فيها منذ أول العصور المسيحية : أثر ثمين وشاهد تاريخي صادق ألا وهو كتابة سريانية أسطرنجيلية نفيسة في غاية القدم مزبورة على حجر القاعدة اليمنى في مدخل باب الكنيسة من الوجهة الداخلية على ارتفاع زهاء متر من الارض ، وهي بحبر جلي حالك السواد ، ظهرت في أواسط ايلول سنة ١٩٤٠ أثناء تبييض الكنيسة المشار اليها ، عندما قشر وأزيل الكلس عن حيطانها • وكانت محفوظة خير حفظ لانها كانت مغطاة بقماش أبيض صفيق تعلوه طبقة من الجبسين بغاية العناية • وهذه ترجمتها :

« هذا بيت مريم أم يوحنا الذي دعي مرقس — وكرّسه الرسل القديسون كنيسة باسم والدة الآله مريم بعد صعود

سيدنا يسوع المسيح الى السماء ، وبني ثانية سنة ٧٣ مسيحية بعدما أخرب الملك طيطس أورشليم » ٠

ونثبت هنا خبر اكتشاف هـذا الاثر التاريخي النفيس كما أوردته المجلة البطريركية السريانية الصادرة في القدس ص ٢٢٠ من السنة السابعة ٠ قالت المجلة :

وجود اثر تاريخي نفيس

« كان سيادة مطراننا الحبر الجليل مار فيلكسينوس يعقوب النائب البطريركي في القدس قد استأذن قداسة سيدنا البطريرك الانطاكي في تبييض كنيسة ديرنا المرقسي العامر لشدة الحاجة الى ذلك ٠ ففي أثناء العمل في أواسط شهر ايلول عندما قشر وأزيل الكلس عن الحيطان ظهرت على القائمة اليمنى في مدخل باب الكنيسة من الوجهة الداخلية على ارتفاع زهاء متر من الارض : كتابة سريانية اسطرنجيلية نفيسة في غاية القدم مزبورة على حجر القاعدة بحبر جلي حالك السواد محفوظة خير حفظ لانها مغطاة بقماش أبيض صفيق تعلوه طبقة من الجبسين بغاية العناية ٠

فاعتنى سيادته بأخذ رسمها الفوتغرافي وأعلم حضرة المستر هاملتن مدير دائرة الآثار بالقدس ، فحضر يصحبه المهندس الخاص لدائرة الآثار المستر جونس والمهندس الخاص بكنيسة القيامة المستر وينتر ورسمها ورسم صوراً أخرى لقبة الكنيسة وحيطانها ونوافذها وأدهشهم هذا الاكتشاف النادر ، وزادت كنيستنا التاريخية في نظرهم إجلالا واعتباراً لا يقل عن اجلال كنيستي القيامة والمهد المقدس • وأبدوا ما سنح لهم من الرأي في اتمام التبييض فرفع سيادته هذا الخبر الهام الى مقام الكرسي الرسولي فسرّ قداسته كل السرور بهذا الاثر الثمين والشاهد التاريخي الصادق ، الذي جاء حجة قاطعة على قدم كنيستنا المرقسية الاثرية وحقنا فيها منذ أول العصور المسيحية • ورأى قداسته بما له من نظر دقيق في علم لغتنا السريانية وتاريخ خطوطها القدمى ، ويد طولى في علم تاريخ النصرانية ، ان هذا الخط السرياني الاسطرنجيلي الذي يثبت فيه شكل الالف والتاء امتزاجه بالخط الفلسطيني ويقال له أيضاً الملكي (باسكان اللام ثانية) هو في منتهى القِدم • ويرجح ان هذه الكتابة

زبرت حوالي القرن السادس للمسيح • أما تاريخ تغطيتها : خشية التشويه أو لعلة أخرى : فليس من السهل تحديده ـ ثم أصدر قداسته أمره السامي بإبقاء الكتابة الاثرية والقوسين وحجارة العتبة مكشوفة لتشهد على قِدم الكنيسة » •



الفصل الثالث عشر

أجهل أم تجاهل ؟

جمع سيادة المطران ناوفيطوس ادلبي المستشار البطريركي لاخوتنا الروم الكاثوليك ، كتاباً في الصلاة وشرحه وطبعه سنة ١٩٦٢ متوجا بتصديق غبطة البطريرك مكسيموس الرابع • ومما قاله في صفحة ١٠٢٨ عن كنيسة القيامة انها تضم بين جدرانها ممثلي الطقس البيزنطي والارمني والقبطي واللاتيني » •

قلنا : ان قوله هذا ذو شقين ، الاول : تجاهله أرثوذكسية ممثلي الطقس البيزنطي والارمني والقبطي المشار اليهم • والثاني : تجاهله ممثلي الطقس السرياني الانطاكي • فعن الاول نقول : انه كان ضروريا أن يصرح سيادته بأن ممثلي الطقس البيزنطي والارمني والقبطي المومأ اليهم هم أرثوذكس لا كاثوليك • لان سيادته يعتبر

في هذا الكتاب بالذات طائفته الكريمة أيضاً ممثلة للطقس البيزنطي ، بينما هي ليست ممثلة في كنيسة القيامة ، كما ان الارمن الكاثوليك والقبط الكاثوليك أيضاً ليسوا كذلك .

وعن الثاني نقول : اننا قد نشرنا في العدد ١٦ من المجلة البطريركية وفي هذا الكتاب أيضا عن حقنا التاريخي الشرعي في هذه الكنيسة . أما هنا فنقتصر على سرد ما نمارسه من حفلات في هذه الكنيسة التي هي بكل حق قبلة أنظار المسيحية جمعاء .

ان كنيستنا داخل كنيسة القيامة ، تعرف بكنيسة مار نيقوديموس ، نسبة الى قبر مار يوسف ونيقوديموس الاصلي المنقور في الصخرة كما ورد في الانجيل المقدس . وفي هذه الكنيسة نقيم الصلوات والقداس الالهي صباح كل أحد على مدار السنة ، منذ الساعة السابعة حتى العاشرة أو بعدها بقليل . أما في الصوم الاربعيني فلنا ست دخلات رسمية الى كنيسة القيامة ، بدءا من مساء السبت الاول الواقع فيه عند مار افرام السرياني حتى أحد الشعانين . وتكون هذه الحفلات مساء السبت وصباح الاحد على النحو التالي :

يغادر موكبنا الرسمي دير مـار مرقس في الساعة الثانية والربـع أو النصف بعد ظهر السبت ، يتوسطه العكاز الابوي ، ويتقدمه الترجمان والقواصان • وعند وصوله الى كنيسةالقيامة ، يذهب تواً الىالقبر الخلاصي وهناك نتبرك ونجري صلاة (تشمشت) الموتى ، ثـم نقصد كنيسة مار نيقوديموس حيث نقيم صـلاة المساء بشكل احتفالي • وفي ختامهـا يخرج موكبنا بنظامه الىكنيسة الجلجلة ،فيخترقموكب الاقباطويسير من وراء المغتسل • وبعد أن نجري في الجلجلة صـلاة (تشمشت) الصليب ، يعود الموكب الى الدير • أما في صباح الاحد ، فيغادر موكبنا الدير نحو الساعة السابعة أو بعدها بقليل ، ويذهب توا الىالقبر الخلاصي ، وبعد الصلاة المذكورة مساء ، يواصل سـيره الى كنيسة مـار نيقوديموس حيث يقيم الصلاة كاملة مع القداس ، ثم يعود الى الدير •

هذا وفي الدخول والخروج على الدوام ، نتبرك من حجر المغتسل •

ومنذ مساء أحد الشعانين حتى صباح يوم القيامة ،

يقيم حجاجنا في علّيتنا التي فوق كنيسة مار نيقوديموس المشار اليها ·

وفي صباح أحد الشعانين ندور ثلاث دورات حول القبر الخلاصي مع موكبي الارمن والاقباط بحلل الخدمة الرسمية بينما يكون بعض الشمامسة بثياب الخدمة والبعض الآخر بالجبب السوداء · وفي هذه الدورات يتألف موكبنا كالتالي :

يتقدم الموكب حاملو البيارق وعددهم ستة في صفين، ويسير وراءهم حاملا الصليبين الكبير والصغير ،في الوسط الواحد تلو الآخر · ويمشي في وسط الموكب مبخران يبخران في الكنيسة كلها · ويسير وراء رئيس الموكب حامل البيرق السابع · وفي الدورة الثالثة نحتفل بطقس الشعانين داخل القبر الخلاصي ، ونقرأ الانجيل المقدس في باب القبر · وفي الباب أيضا يزيح رئيس الموكب الصليب · وفي نهاية الزياح يعود الموكب الى كنيستنا حيث نخلع ثياب الخدمة ونعود الى الدير في نحو الساعة الواحدة بعد الظهر ·

وفي أثناء هذه الدورات الثلاث ، يجلس رئيس الموكب

مرتين ، أولاهما : ازاء باب القبر الخلاصي ، والثانية على المغتسل حيث يجري بعض الفروض •

وفي مساء جمعة الآلام العظيمة ، يتحرك موكبنا الرسمي من الدير نحو الساعة الخامسة ، يتقدمه الصليب الكبير (الهندي) ولما يصل الى كنيسة القيامة ، يتوجه رأساً الى كنيسة مار نيقوديموس• ثم يواصل سيره بدورة رسمية وراء كنيسة اللاتين ، ويمر ببقية مراحل درب الصليب حتى يصل الى درج كنيسة الجلجلة ، فيتسلقها : ويقف الجميع أمام مذبح اللاتين حيث تحتشد جوقة المرتلين والمرتلات وتقام حفلة الجمعة الرسمية بما فيها الحوسايات والقراءات والانجيل والتبخير بواسطة شماسين ، لمدة ساعة ، ثم ننتقل الى مذبح اليونان الاول حيث نجري بعض الفروض ومن جملتها تزييح الصليب بالصلوات المألوفة بهذه المناسبة • ثم ننتقل الى المغتسل حيث نكمل الطقس المقرر مع قراءة الانجيل وعظة مناسبة• وهناك فوق حجر المغتسل نعطّر الصليب• وبعد التبرك من هذا الحجر المقدس ، ننتقل الى القبر الخلاصي حيث نحتفل على حجره بطقس الدفن وتكفين الصليب • ثم نغادره الى كنيستنا (مار نيقوديموس)

حيث ندفنه بالصلوات المألوفة في القبر القديم الاصلي المنقور في الصخرة ثم نعود الى الدير ٠

وفي صباح سبت النور يترك الموكب الرسمي الدير بين العاشرة والعاشرة والنصف متوجهاً رأساً الى كنيسة مار نيقوديموس ، مخترقاً موكب الاقباط ٠ فيحتفل أحد الكهنة بقداس القيامة ٠ وفي ختامه يرتدي رئيس الموكب والكهنة والشمامسة حلل المذبح ، وبعض الشمامسة الجبب ٠ ثم يدخل بطريرك اليونان الى القبر ومعه وكيل بطريرك الارمن ووراءهما وكيلان عن السريان والاقباط ٠ ثم يتم فيضان النور ٠ وبعد أن يتسلمه الارمن والسريان والاقباط ، تجري الدورات الثلاث التقليدية حول القبر الخلاصي ٠ وفي الدورة الثالثة يدخل رئيس الموكب ومعه الكهنة وبعض الشمامسة ويجرون الطقس الخاص بعيد القيامة ، ومن جملته الحوساي والانجيل وتزييح الصليب ٠ وفي ختامه يواصل الموكب دورته عائداً الى كنيسة مار نيقوديموس ومنها الى الدير في نحو الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ٠

وفي ليلة عيد القيامة يغادر موكبنا الدير كالمعتاد في تمام الساعة الحادية عشرة ، ويتوجه تواً الى كنيسة

مـار نيقوديموس حيث نقيم الصـلاة كاملة فالقداس الرسمي الذي يحتفل به رئيس الموكب وفي ختامه يتهيأ الموكب بحسب الاصول للقيام بالدورات الثلاث التقليدية حول القبر الخلاصي · وفي الثالثة يدخله رئيس الموكب ومعه الكهنـة ، ويجرون طقس القيامـة ومن ضمنه الحوسـاي والانجيل وتزييح الصليب أمـام باب القبر بالصلوات المعروفة · ثم يواصل الموكب سيره الى كنيسة مار نيقوديموس ومنها الى الدير ·

وفي عيـد الصليب لنا الى كنيسـة القيامة دخلتان رسميتان مساء وصباحاً · ففي المساء يغادر موكبنا الدير كالمعتاد نحو الساعة الثانية والنصف ، يتوسـطه العكاز الابوي · فيتبرك رئيس الموكب والكهنة بحجر المغتسل ثم يعرّج الى القبر الخلاصي حيث يكمل صلاة (تشمشت) الموتى ويواصل السير عن طريق كنيسة اللاتين الى كنيسة مار نيقوديموس حيث تقام صـلاة المساء كاملة · وفي ختامهـا ينتقل الموكب لزيارة الجلجلة فمغارة الصليب العائدة الى الارمن · ويزور في طريقه محل حبس المسيح وموقف المريمات · ثم يصل الى مغارة الصليب حيث ترتل صلاة (تشمشت) الصليب · وبعد أن يتبرك الجميـع

من مغارةالصليب ، يغادرها الموكب الى المغتسل ومنه الى الدير • أما في الصباح فيتحرك موكبنا من الدير نحو الساعة السابعة ويقصد القبر الخلاصي فكنيسة مار نيقوديموس كالعادة • وهناك نقيم الصلاة كاملة فالقداس • ثم يعود الموكب الى الدير •



الفهرس



كتب المؤلف

١ ـ تاريخ الكنيسة في القرون الثلاثة الاولى (بالمليالم)

٢ ـ تاريخ جثلقة المشرق ومفريانية تكريت جزءان (بالمليالم)

٣ ـ ترجمة الطيب الذكر البطريرك افرام الاول (بالمليالم)

٤ ـ رد على بعض الكتّاب الكاثوليك (بالمليالم)

٥ ـ من هو بطريرك انطاكية الشرعي (بالعربية)

٦ ـ نسب السيد المسيح في الجسد (بالعربية)

٧ ـ بين الشرق والغرب صفحات ذهبية من تاريخ الكنيسة المسيحية (بالعربية)

٨ ـ تاريخ الكنيسة السريانية الهندية (بالعربية)

٩ ـ تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية حتى اوائل القرن السادس جزءان (بالعربية)

١٠ ـ نزهة الرائد في الكتاب الخالد (خطب دينية بالعربية)

١١ ـ المشعل الوضاء في طريق السماء (خطب دينية بالعربية)

١٢ ـ الكنيسة السريانية الانطاكية (بالانكليزية)

١٣ ـ الكنيسة السريانية الارثوذكسية (بالعربية)

١٤ ـ ديوان شعر بالسريانية

١٥ ـ دفقات الطيب في تاريخ دير مار متى العجيب (بالعربية)

١٦ ـ الكِندي والسريانية (بالعربية)

١٧ ـ الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية (بالعربية)

١٨ ـ بطاركة المشـرق (بالعربية)

١٩ ـ خطب المهرجانات (بالعربية)

٢٠ ـ صدى المنابر يتضمن اربعين موعظة دينية ، تفسير ، تهذيبية (بالعربية)

٢١ ـ اللآلىء المنثـورة في الاقوال المأثـورة ، وهي منتخبات من الادب السرياني (انتخبها ونقلها من السريانية الى العربية)

٢٣ ـ البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية

٢٤ ـ الاحاجي فيجهاد القديس مار فيلوكسينوسالمنبجي (بالعربية)

٢٥ ـ نفح العبير او سيرة البطريرك مار سويريوس الكبير (بالعربية)

٢٦ ـ هبة الايمان او الملفان مار يعقوب السـروجي اسقف بطنان (بالعربية)

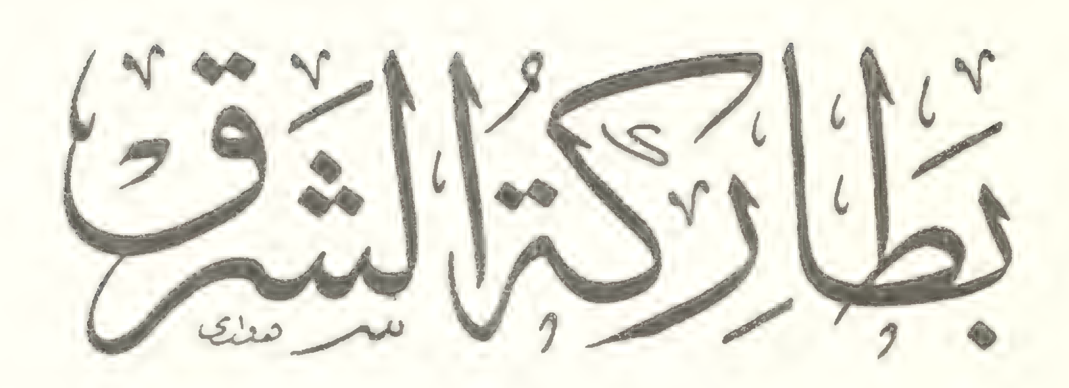
٢٧ ـ بيان في عقيدة الكنيسة المسيحية في مسؤولية صلب السيد المسيح (بالعربية)

٢٨ ـ كنيسة انطاكية سورية

تأسيسها · آراميتهـا · اسمها · ليتورجيتها · اهتمامهـا بالكتاب المقدس · حقوقها في الاماكن المقدسة (بالعربية)



مطابع ألف باء - الأديب . دمشق



بقلم

اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

نشر تباعاً في المجلة البطريركية في دمشق

١٩٦٩





بقلم

اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

نشر تباعاً في المجلة البطريركية في دمشق

١٩٦٩



مقدمة

بعد حمد الله نقول : هوذا بين يديك ايها القارىء الكريم ، مقالنا التأريخي المطول في « بطاركة الشرق » ، الذي اصدرته المجلة البطريركية في دمشق متسلسلاً في اعدادها ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ . وقد انطوى على تصحيح علمي رصين ، معزز بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة ، لمقـــال بهذا العنوان للاب انطوان ضو الماروني . ولا نستهدف من عملنا هذا سوى الحقيقة التأريخية . والله من وراء القصد .

دمشق في ١٥ / ٣ / ١٩٦٩

المؤلف



بطاركة الشرق

طالعنا في ملحق جريدة « النهار البيروتية » العدد ٩٨٢١ ، الاحد كانون الاول سنة ١٩٦٧ ، مقالاً ضافياً بعنوان « بطاركة الشرق خلفاء الرسل ، وكثرتهم معضلة لم يحلها المجمع » ، بقلم الأب انطوان ضو (الانطواني) . ومع ان الكاتب الماروني البارع طبع على غرار غيره من اتباع روما في معظم ما تضمنه المقال من النقاط ، إلا أنه تميز بشيء من الجرأة في بعض تصريحاته ، مخالفاً بذلك التقليد الروماني المعروف . من ذلك اعترافه « بأن مؤسس الكرسي الانطاكي هو مار بطرس الرسول » ، و « ان مجمع خلقيدونية اثبت القانون الثالث من مجمع القسطنطينية » ، و « ان باباوات روما اعترفوا تباعاً بمقررات المجامع المسكونية في ما يخص الكراسي البطريركية بعدما رفضوها » ، و « ان الموارنة كانوا يعترفون بمشيئة واحدة للمسيح الأمر الذي كان يجعلهم مختلفين بالرأي مع الروم » . وقوله : « وراحت روما تقبل العائدين اليها طائفة بعد اخرى وتوافق على انشاء بطريركيات جديدة فتزيد في تعقيد القضية الشرقية المسيحية دون ان تدري » . وقد تُعزى جرأته هذه الى اصله الارثوذكسي . ذلك بان اسرة ضو الكريمة كانت سريانية ارثوذكسية . ومنها كان مار ديوسقوروس عيسى ضو مطران اورشليم الذي ولد في لحفد — لبنان وعُرف بالنبكي نسبة الى النبك وطن اجداده . وقد رسمه مطراناً على اورشليم بطريركنا مار اغناطيوس

بهنام الحدلي (البرطلي) في دير الزعفران واسند اليه طرابلس . وتوفي سنة ١٤٧٧[١] .

وبما ان الأب انطوان اخفق في عرضه لمعظم النقاط الواردة في مقاله المشار اليه ، لذلك رأينا درسها هنا واحدة فواحدة .

١ — قال : « فالقديس بطرس دعاه المسيح ليكون راعياً لنعاجه » (يوحنا ٢١ : ٢٧) .

قلنا : ان السيد المسيح دعا جميع الرسل ليكونوا رعاة لنعاجه ، وبواسطتهم دعا جميع الاساقفة خلفائهم ايضاً كما يتضح من قول مار بولس الرسول : « فاحذروا لانفسكم ولجميع القطيع الذي اقامكم فيه الروح القدس اساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » (اع ٢٠ : ٢٨) . اما دعوة المسيح هنا لبطرس ، فكانت بعد قيامته ، أي بعد ان كان بطرس قد انكره ثلاثاً وفقد بذلك رتبته الرسولية . وهكذا بواسطة الاسئلة الثلاثة التي وجهها اليه ، والاجوبة البطرسية الثلاثة المفعمة محبة له وايماناً ، رد اليه رتبته لا غير .

٢ — قال : « كان لبعض الكنائس دورها الخاص في تاريخ الكنيسة اما لانها مؤسسة من رسول كروما وانطاكية واورشليم الخ » .

قلنا : لم يرتب الأب انطوان هذه الكراسي بالنسبة الى تأسيسها بل بالنسبة الى ما رتبته المجامع ، وهو ترتيب مدني بحت . فكان عليه ان يقول : « كاورشليم وانطاكية وروما » .

---

١) ذيل التاريخ الكنسي لابن العبري وكتاب اصدق ما كان عن تاريخ لبنان للفيكنت فيليب دي طرازي مج ١ ص ١١٦ - ١١٧ ومج ٣ ص ٢٨ - ٣١ نقلا عن تاريخ الطائفة المارونية للدويهي ص ١٣٩ وجامعة بني ضو ص ٧ .

٣ – قال : « لكن منذ القديم كانت بعض الكراسي تحاط بالتكريم ولها الاولية كروما التي اسسها بطرس الرسول وفيها مات هو وبولس ، واورشليم التي اسسها يعقوب وفيها تمت اسرار الخلاص ، وانطاكية التي اسسها بطرس الرسول ايضاً والتي دعي فيها التلامذة « مسيحيين » (اعمال ١١ : ٢٦) .

قلنا : اولاً – هنا ايضاً لم يصب الكاتب الفاضل في ترتيب الكراسي المؤسسة من الرسل . فكان عليه ان يقول : كاورشليم التي اسسها يعقوب ، وانطاكية التي اسسها بطرس الرسول الخ . ثانياً – ان ما يلفت النظر هنا هو جرأة الكاتب اللبيب ، اذ صرح بأن مؤسس الكرسي الانطاكي هو مار بطرس الرسول ، ما لم يجرؤ على التصريح به نيافة الكاردينال المعوشي نفسه في المجمع الفاتيكاني – كما ذكرت ذلك هذه المجلة في حينه – خشية ان يثير عليه سخط روما ، مع العلم ان روما نفسها تحتفل في الثاني والعشرين من شباط ، بذكرى تأسيس كرسي مار بطرس الرسول في انطاكية ! ثالثاً – لقد اخطأ الكاتب الفاضل بقوله : « ان بطرس الرسول هو مؤسس كرسي روما » . ذلك بأن الاسفار الوحيية والوثائق التاريخية اثبتت ان مار بولس الرسول هو مؤسس هذا الكرسي لا بطرس[٢] .

ولا بد لنا هنا من القول ، ان الذي يعقل ألسنة البطاركة الشرقيين الخاضعين لروما من التصريح بأن « بطرس الرسول هو مؤسس الكرسي الانطاكي » ، هو اعتقادهم برئاسة البابا الروماني العامة على الكنيسة . لأن هذه الرئاسة انما بنيت على الخلافة البطرسية . فقد يتسائل سائل قائلاً : اذا كانت رئاسة البابا الروماني على الكنيسة نتيجة الخلافة البطرسية فقط ، فلِمَ

---

٢) راجع المجلة البطريركية السنة ٢ العدد ١٥ .

لا تكون كذلك لخلفاء بطرس في الكرسي الانطاكي ايضاً ؟ وبعبارة اخرى لِمَ لا يكون بطريرك انطاكية معادلاً لبابا روما في الرئاسة البطرسية ، كما كان يعتقد مثلاً البابا غريغوريوس الاول الروماني[٣] ؟

٤ — قال : « ففي المجمع النيقاوي الأول المنعقد سنة ٣٢٥ ، جاء في قانونه السادس عن الاسكندرية وانطاكية ما يلي : « تبقى مستمرة العادة القديمة الدارجة في مصر وليبيا وبنتابولي ، وهي ان مطران الاسكندرية تبقى صلاحياته على كل هذه المقاطعات ... كما تجب المحافظة على الحقوق القديمة لكنائس انطاكية وسائر المقاطعات » .

قلنا : لا ندري لماذا لم يورد الكاتب الذكي نص هذا القانون بكامله ! فقد حذف منه العبارة التالية : « لأن اسقف رومية ايضاً له هذه العادة » . وهي توضح بجلاء ان سلطة اسقف رومية كانت على مقاطعته فقط أي على بلاد الغرب وحدها ، كما كانت مثلاً سلطة اسقف انطاكية على الشرق وسلطة اسقف الاسكندرية على افريقية ، وذلك بحسب العادة القديمة الدارجة . والجدير بالذكر ان روما ، على تمادي الزمان ، حرّفت هذه العبارة فجعلتها « لأن اسقف رومية امر بهذا » . أي لتتلاءم والرئاسة العامة الوهمية التي تدعيها على الكنيسة . في حين ان النص الثابت ينفي مثل هذا الادعاء على الاطلاق ، ويبين بوضوح ان رئاسة روما كانت على مقاطعتها وحدها كما مر معنا . والظاهر ان الأب انطوان لا يؤمن بهذا التحريف ، ولذلك تحاشى ذكر العبارة الثابتة خشية ان يستهدف لغضبة روما !

والشيء بالشيء يذكر . ان هذا القانون كان من جملة القوانين التي زورها زوسيموس الروماني سنة ٤١٨ ونحلها مجمع نيقية ، لتثبيت رئاسته

---

٣) مجموعة الآباء اللاتين لمين ٧٧ : ٢٩٩ .

العامة ، وارسلها الى المجمع الافريقي المنعقد في قرطاجنة ، والمؤلف من ٢١٧ اسقفاً . فأنكر المجمع دعواه اذ لم يجد لها اثراً في جملة نسخ لاتينية لقوانين مجمع نيقية . ثم كتب الى بطاركة انطاكية والقسطنطينية والاسكندرية طالباً صورة ثابتة لقوانين مجمع نيقية . كما كتب الى بونيفاسيوس الاول الذي خلف زوسيموس سنة ٤١٨ كي يكتب هو ايضاً الى آباء هذه الكنائس الشرقية ويأتي بالقوانين النيقاوية الثابتة « لأن فيها المراسيم الاصلية نفسها » فوردت الى المجمع صورة طبق الاصل لهذه القوانين من كل من القديسين اتيقوس القسطنطيني (٤٠٦ – ٤٢٦) وكيرلس البابا الاسكندري (٤١٢ – ٤٤٤) ، وهي خالية من دعوى اسقف رومية . فكتب المجمع من ثم الى قلسطينس خلف بونيفاسيوس ، رسالة شديدة اللهجة في دحض دعوى رومية[٤] .

٥ — قال : « اما القانون السابع فأعطى اورشليم مكاناً شرفياً بعد الاسكندرية وانطاكية » .

قلنا : ان هذا القانون لم يعط اورشليم هذا المكان الشرفي ، لكنه مع تصريحه بأن يحل اسقفها محل الشرف والاعتبار ، فقد اخضعه لسلطة متروبوليت قيصرية فلسطين . اما الذي اعطى اورشليم هذا المكان الشرفي فهو المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ لقاء انحياز يوبيناليوس اسقف اورشليم اليه . ففي جلسته السابعة سلخ عن الكرسي الانطاكي ولايات فلسطين الاولى والثانية والثالثة وهي اليهودية والسامرة والجليل ، وضمها الى اورشليم ، واطلق

---

٤) الوضع الآلهي في تأسيس الكنيسة لكيرلس مقار بطريرك الاقباط الكاثوليك طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥ ج ٣ ص ٤٧ - ٥٦ وتاريخ الانشقاق لجراسيموس مسرة طبعة بيروت ١٩٣١ ج ١ ص ١٨٢ - ١٩٨ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٩ و ٢٠ .

لقب بطريرك على اسقف اورشليم عرف بعدئذ بالبطريرك الخامس(٥) .

٦ – قال : « مجمع القسطنطينية الاول ٣٨١ وضع تشريعاً جديداً في قانونه الثالث في ما يتعلق بالقسطنطينية اذ جعلها تتقدم على سائر البطريركيات وتحل بعد روما فوراً » .

قلنا : لم يكن لقب البطريرك والبطريركية قد أطلق بعد في الكنيسة ، بل كان ذلك في القرن التالي (الخامس) . فالاصح ان يقال : « جعلها تتقدم على سائر الكراسي » .

٧ – قال : « مجمع خلقيدونية ٤٥١ اثبت القانون الثالث من مجمع القسطنطينية ... وتباعاً اعترف بمقررات المجامع المسكونية بباباوات روما بعدما رفضوها » .

قلنا : انه يعني قانونه الثامن والعشرين الذي هو صدى القانون الثالث القسطنطيني ، والذي قدّم الكرسي القسطنطيني على سائر الكراسي ، وقانونه التاسع الذي قضى برفع الدعاوى اليه ضد جميع المطارنة والاساقفة . وقد سنّ المجمع الخلقيدوني هذين القانونين في جلسته الخامسة عشرة المنعقدة في ٣١ تشرين الاول ، وذلك في غياب نواب لاون الروماني ، فاعترض عليها نواب لاون في الجلسة التالية ، وهي الاخيرة المنعقدة في ٢٠ تشرين الثاني معلنين عدم ارتياحهم لهما(٦) . بل ابرزوا القانون السادس النيقاوي محرفاً كما اورده اسلافهم في مجمع قرطاجنة ، فكان نداؤهم كصرخة في واد ، لأن

---

٥) تاريخ زكريا الفصيح مج ١ ص ١٥٦ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج٢ ص١٧٣ و ١٧٤ و ١٩٢ و ١٩٨ .

٦) الكنز الثمين لمكسيموس مظلوم بطريرك الروم الكاثوليك مج ٣ ص ٢٨٩ .

آباء المجمع اصروا على ذلك[7] . والانكى ان لاون نفسه اعترض على هذين القانونين في رسالته الى اناطوليوس القسطنطيني والقيصر مرقيان قائلا : « ان الامتيازات التي حازتها كراسي رومية والاسكندرية وانطاكية في المجمع النيقاوي ينبغي ان تبقى ثابتة غير متزعزعة لانها مرتبـــة بروح الله »[8] ، ولكن بدون جدوى ، اذ ظهر فوراً تأثير ذينك القانونين . وقد اعترف اتباع روما انفسهم بأن القانونين نُفذا عملياً ولئن ناهضها لاون[9] ، الأمر الذي ينقض من الاساس الرئاسة العامة التي تدعيها روما على الكنيسة . وإلا فكيف يسن المجمع قوانين ويضع انظمة دون رغبتها ؟ بل كيف تنفذ بعد اعتراضها عليها ؟

بيد ان روما لم تعترف برتبة القسطنطينية حتى القرن الثالث عشر . ففي سنة ٨٦٦ قال البابا نيقولاوس الاول في رسالته الى مجلس شورى بلغاريا رقم ٩٢ « انه لا يوجد في المسيحية سوى ثلاث كنائس اصلية رسولية وهي روما والاسكندرية وانطاكية ، ولهذا السبب ان هذه الكنائس الثلاث وحدها هي بطريركيات » . وقال في منشور رقم ٩٣ « انه بحسب ما ان الحق ذاته يعلم ، ان بطريرك الاسكندرية هو الثاني بعد بابا روما »[8] . وفي بدء القرن الثالث عشر لما اصبح اللاتين اسياداً للقسطنطينية بواسطة الصليبيين ، واقاموا عليها بطريركاً لاتينياً من طقسهم ، كتب اليه البـــابا اينوشنسيوس الثالث قائلا : « ومـا بين الحيوانات الاربعة الموصوفة بانهـا

---

٧) تاريخ الانشقاق لجراسيموس مسرة ج ١ ص ٢٤٣ و ٢٤٤ .

٨) الوضع الآلهي في تأسيس الكنيسة ج٢ ص١٧١ - ١٧٣ . الا يستدل من هذا القول على ان قوانين المجمع الخلقيدوني ليست مرتبة بروح الله ؟ اجل ، ولا يزال علماء اللاهوت الباباويون يشكون في قداسة هذا المجمع بسبب القانونين المذكورين اعلاه .

٩) الكنز الثمين مج ٣ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

حول العرش ، يجعل حزقيال وجه النسر فوق الحيوانات الأخر . لأن من ضمن الكنائس البطريركية الاربع المرموز اليها بهذه الحيوانات ، والتي هي في دائرة الكرسي المقدس (بروما) بصفتها خادمات له ، ترتفع كنيسة القسطنطينية » .

هكذا اكتشف الباباوات الرومانيون في سفر حزقيال ، ان الروح القدس ذاته كان يرمز بالحيوانات الاربعة التي حول عرش الله ، الى الكنائس البطريركية الاربع – القسطنطينية والاسكندرية وانطاكية واورشليم ، التي هي حول عرش البابا بصفة خادمات[10] . وقد اعلن اينوشنسيوس المومأ اليه في المجمع اللاتراني الرابع ، ان الكرسي القسطنطيني له التقدم على الاسكندري والانطاكي والاورشليمي واثبت ذلك اوجانيوس الرابع في المجمع الفيورنتيني[11] .

قلت ومنذئذ انكفت قوانين نيقية عن ان تكون مرتبة بروح الله . كما كفّ الحق ذاته عن التعليم بأن بطريرك الاسكندرية له المقام الثاني ضرورة بعد بابا روما !! وهذا معنى قول الأب انطوان ضو « وتباعاً اعترف بهذه المقررات باباوات روما بعدما رفضوها » .

هذا وقد كانت روما قد ادعت ان القانون الثالث القسطنطيني لم يصل اليها . بيد ان اعمال المجمع الخلقيدوني فضحت هذا الادعاء . ذلك ان لوقانسيوس احد نواب لاون في هذا المجمع ، احتج على مار ديوسقوروس الاسكندري بقوله : انه عقد مجمعاً .. اجلس فيه فلابيانوس القسطنطيني في

---

١٠) الوضع الالهي ج ٢ ص ١٧٣ - ١٧٤ .

١١) الكنز الثمين مج ٣ ص ٢٩٠ راجع هذه الامور في تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٩٢ - ١٩٤ .

الكرسي الخامس بينما كان يجب ان يكون في الكرسي الاول بعد اسقف رومية كما يقضي القانون الثالث للمجمع القسطنطيني . فهنأهم ديوجانيس اسقف قوزيقوس لتمرسهم بالقانون بقوله لهم : « احسنتم » ، ان لكم علماً صحيحاً بالقوانين » فنشقوا بانشراح عبير هذا المديح[12] .

٨ — قال الأب انطوان ضو : « فعندما ينتخب احدهم بطريركا كان يبعث برسالة الى البابا والى اخوانه البطاركة ، وجواب هؤلاء يكون بمثابة الاعتراف القانوني ببطريركيته . هكذا كان يفعل البابا مع البطاركة » .

قلنا : اولاً — ان الأب انطوان يعني « بالبابا » على الاطلاق ، اسقف رومية . مع العلم ان هذا اللقب أطلق اولاً على مار ياركلاس اسقف الاسكندرية في النصف الاول من القرن الثالث[13] ، وما زال لقباً لبطاركة الاسكندرية . اما اسقف رومية فقد اطلقه عليه اولاً إنوديوس مغنوس فيليكس اسقف باريس (٥١٧ — ٥٢١) كما يبدو من مؤلفاته وهو شماس[14] . لذلك رأينا لاون الروماني ، في رسالته الى القيصر مرقيان سنة ٤٥١ ، يسمي نفسه « رئيس اساقفة رومية القديمة » .

ثانياً — ان الأب انطوان ميز هنا البابا الروماني عن البطاركة . وكأني به يلمح الى رئاسة البابا على البطاركة ، في حين ان الجميع اخوة لا غير . فكما ان البطاركة هم اخوة البطريرك المنتخب ، كذلك البابا نفسه .

٩ — قال عن نصارى الكنيسة السريانية الشرقية : « وفي سنة ٤٢٤

---

١٢) مجموعة لابيه ٤ : ١١٥ والوضع الآلهي ج ٣ ص ٩٩ - ١٠٠ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٥٩ .

١٣) التاريخ الكنسي لاوسابيوس القيصري ٧ : ٧ .

١٤ انظر كتاب Who's who in the early Church by Rev. w. m. c. Piercy M.A.P. 36

اعلنوا استقلالهم الرسمي عن الكنيسة الانطاكية . وسنة ٤٨٦ انضموا الى تعليم نسطور رسمياً ولقبوا نساطرة وسيطروا على بلاد ما بين النهرين واتجهوا نحو الشرق » .

قلنا : اولاً — لا صحة لقوله ، انهم اعلنوا استقلالهم الرسمي عن الكنيسة الانطاكية سنة ٤٢٤ » ، لكن الدولة الفارسية هي التي حالت بينهم وبين الكنيسة الانطاكية ، كما يتضح من قول العلامة ابن العبري عن سنة ٤٨٠ : « في هذا الزمان كان برصوم النصيبيني « ومعنا » الاردشيري والمعلم نرســاي ، ينفثون في المشرق سموم البدعة النسطورية وينادون بوجوب اتخاذ الاساقفة سراري ، كما اتخذ برصوم نفسه سرية قائلاً : « ان التزوج خير من التحرق » فلما انتهى امرهم الى الاساقفة الغربيين (أي اساقفة سوريا الانطاكيين) ، كتبوا الى الجاثليق بابويه مبكتين اياه على اهماله . فأجابهم هذا برسالة سريانية قائلاً : « بما اننا خاضعون لسلطة منافقة لا نستطيع ان نعاقب المذنبين ، ولذلك تعبث بنا وبقوانيننا يد الحدثان»[١٥].
ثانياً — لا صحة ايضاً لقوله : « انهم سنة ٤٨٦ انضموا الى تعليم نسطور رسمياً وسيطروا على ما بين النهرين » . ذلك ان الكنيسة السريانية الشرقية واصلت جهادها في المشرق أي في المملكة الفارسية ، رغم اضطهاد زعماء النسطرة لها بقوة العاهل الفارسي فيروز ، وسلخهم قسماً كبيراً من ابنائها . فكما قامت هناك جثلقة سريانية نسطورية كذلك قامت الى جانبها جثلقة سريانية ارثوذكسية ، مرتبطة بالكنيسة السريانية الانطاكية . وقد ساعد على ثبات اولئك الارثوذكسيين في عقيدتهم ، قباذ الذي خلف اباه فيروز في تخت المملكة الفارسية ، وذلك بعد ان وقف على حقيقة النساطرة وازداد

---

١٥) التاريخ الكنسي لابن العبري مج٣ ص٦٣ - ٦٥ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٢٣٦ .

كراهية لهم[١٦] . لقد اثبت مار شمعون الارشمي المعروف بالمجادل الفارسي ، في رسالته التي كتبها سنة ٥١١ « في انتشار النسطرة في البلاد الفارسية » ، ان ثلاثة وثلاثين اسقفاً من بلاد غورزان مع ملوكهم واعيانهم ، واثنين وثلاثين اسقفاً من ارمينية الكبرى الفارسية مع مرازبتهم ، كانوا في عهده وعند كتابة هذه الرسالة ، ارثوذكسيين مناوئين لبدعة نسطور[١٧] . وذكر مار ماروثا التكريتي في رسالته الى البطريرك مار يوحنا ابي السدرات ، ان سبعة رهبان من المشرق توجهوا الى انطاكية حيث اقتبلوا وضع اليد الاسقفي وعادوا ، ولكنهم لم يتمكنوا من التظاهر[١٨] . ولعل هؤلاء هم الذين ذكرتهم سيرة مار يوحنا التلي (٥٣٨+) بانهم اقتبلوا الوسامة الاسقفية منه ، اذ كان البطريرك مار سويريوس الكبير قد اقامه نائباً بطريركياً عاماً وفوض اليه رسامة اساقفة . ولما هدأ الاضطهاد النسطوري ، عاد الاساقفة الذين كانوا قد هربوا من امام برصوم النصيبيني ، كما ظهر الاساقفة الذين رسموا في انطاكية ايضاً[١٨] . ويبدو من سيرة مار شمعون الارشمي المشار اليه ، انه كان في عهده للارثوذكسيين في المشرق ، جملة اساقفة ، احتفلوا برسامته اسقفاً قبيل سنة ٥٠٣ ثم سجنوا معه في نصيبين . وكان خمسة منهم قد حضروا معه قبيل ذلك في مجلس جدل ، دعا اليه الجاثليق باباي النسطوري (٤٩٧ — ٥٠٣)[١٩] . كل هذا يدل دلالة واضحة على ان النساطرة لم يتمكنوا من مد سيطرتهم على الكنيسة السريانية الشرقية كلها .

وفي سنتي ٥٤٠ و٥٤٤ جلا كسرى الاول انوشروان ابن قباد (٥٣١ — ٥٧٩) الى بلاده جمهوراً كبيراً من انطاكية ومن القرى اللائذة

---

١٦) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ٣ ص ٨٣ ودفقات الطيب في تاريخ دير مار متي المعجيب ص ١٣
١٧) راجعها في المكتبة الشرقية للسمعاني مج ١ ف ٢٩ .
١٨) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٦٤ - ٢٧٤ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ٣ ص ١٠٧ - ٧٣
١٩) سير النساك الشرقيين لمار يوحنا الافسسي ص ١٤٦ .

بالرها فتكاثر الارثوذكسيون في المشرق[٢٠] ، وانشئت لهم بيعة في سليق عاصمة المملكة الفارسية . وفي سنة ٥٥٩ تفقد مار يعقوب البرادعي المطران المسكوني ، احوال كنيسة المشرق السريانية ، فاكرم كسرى مثواه ، ما شجعه على رسامة مار احودامه البلدي اسقف باعربايي ، جاثليقاً على المشرق[٢١] . وفي سنة ٦٢٨ عُقد صلح بين المملكتين الفارسية والرومية ، فرسم البطريرك مار اثناسيوس الاول في انطاكية ، مار ماروثا الآنف الذكر مفريانا على تكريت ، وخوله الرئاسة على بلاد المشرق أي بلاد فارس واثور وباعربايي[٢٢] . ولما عاد مار ماروثا من انطاكية الى المشرق ، عقد مجمعاً في دير مار متى - الموصل نظم فيه احوال كنيسة المشرق السريانية ، ورتب لها اثنتي عشرة ابرشية اسقفية . ثم اضاف اليها ثلاث ابرشيات اخرى في افغانستان واذربيجان[٢٣] .

١٠ - قال : حدد المجمع الخلقيدوني ٤٥١ ان في المسيح طبيعتين آلهية وانسانية . فرفض كثير من الآباء هذا التعليم . وكان خلاف على التعبير اكثر مما هو خلاف على العقيدة ... وقام ضد المجمع عالمان كبيران هما فيلوكسين المنبجي وساويرس الانطاكي وتوصلا بشروحهما واسفارهما الى اقناع القسم الاكبر من اساقفة انطاكية والاسكندرية بالوقوف الى جانبهما . ثم اتى يعقوب البرادعي ونظم الكنيسة تنظيماً هاماً حتى دعيت احياناً باسمه « الكنيسة اليعقوبية » .

قلنا : اولاً - لم يحدد هذا المجمع ان في المسيح طبيعتين بل ان

---

٢٠) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ٣ ص ٨٥ - ٨٧ .

٢١) فيه ص ٩٩ والتاريخ الكنسي للافنسي مج ٣ ص ٩٣٠ .

٢٢) راجع رسالته الى مار ادي رئيس دير مار متى ورهبانه في تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٤١٣ .

٢٣) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ٣ ص ١٢٥ - ١٢٧ .

للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد . والبون بين التعبيرين شاسع كما لا يخفى . اجل ، ان المسيح مؤلف من طبيعتين آلهية وانسانية ، ولكنه ليس في طبيعتين ، ولا له طبيعتان بعد ذلك الاتحاد العجيب الذي تم ما بين اللاهوت والناسوت في احشاء العذراء مريم ، بل طبيعة واحدة مركبة ، كما سبق فقرر المجمع المسكوني الثالث (الافسسي الاول) برئاسة القديس كيرلس الاسكندري سنة ٤٣١ . ثانياً — ان الخلاف في المجمع الخلقيدوني لم يكن على التعبير بل على العقيدة . ذلك ان طومس لاون الروماني الذي اعتمده هذا المجمع ، كان مشحوناً بالآراء النسطورية . منها انه ميز الطبيعتين وخواصها وافعالها ، ونسب العجائب وغيرها من الامور الرفيعة في المسيح الى اللاهوت ، والآلام وغيرها من الامور الوضيعة الى الناسوت ، وقال : « حقاً يأتي المسيح الاثنان ، الآله والانسان ، الواحد يبهر بالعجائب والآخر ملقى للاهانات » . وكأن الفاعل في المسيح ليس واحداً . وعلى هذا الاساس رفض المجمع الخلقيدوني القول بتألم وصلب احد الثالوث ، خلافاً لقرار المجمع المسكوني الثالث ، بل خلافاً لقول مار بولس الرسول القائل : « فاحذروا ... لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » (اع ٢٠ : ٢٨) ، و « لانهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » (١ كو ٢ : ٨) . بيد ان الخلاف على العقيدة تضاءل منذ سنة ٥٣٣ اذ اصدر القيصر يوسطينيان الاول في الخامس عشر وفي السادس والعشرين من آذار هذه السنة ارادتين سنيتين ، اكد فيهما وحدة شخص السيد المسيح على طريقة الرهبان السكيتيين الذين قالوا بتألم الإله Theopaschites ، ونظر البابا الروماني يوحنا الثاني في هذا النص بناء على طلب القيصر نفسه ووافق عليه وعلى مضمونه[٢٤] . وفي سنة ٥٤٤ اصدر يوسطينيان مرسوماً ضد مصنفات اقطاب النسطرة : ثاودوروس

---

٢٤) كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى للدكتور اسد رستم ج ١ ص ٣٧١ .

المصيصي ، ثاودوريطس القورشي وهيبا الرهاوي ، الذين كان المجمع الخلقيدوني قد اقر ارثوذكسيتهم ، وقعه البطاركة الخلقيدونيون : مينا القسطنطيني ، زويلس الاسكندري ، افرام الانطاكي وبطرس الاورشليمي[25]. وفي سنة ٥٥٣ عقد مجمعاً في القسطنطينية (هو المجمع الخامس عند الخلقيدونيين) برئاسة اوطاخيوس القسطنطيني وبموافقة ويجيليوس الروماني، حرم اقطاب النسطرة المومأ اليهم ومصنفاتهم وجميع الذين قبلوهم او يقبلونهم واصدر القرار التالي : « محروم من يفصل الآله الكلمة الذي عمل العجائب عن المسيح الذي تألم ، او يقول عن الآله الكلمة انه مع المسيح الذي وُلد من امرأة ، او انه حال فيه كواحد في الآخر ، ولا يقول ان ربنا المسيح وكلمة الله الذي تجسد وتأنس ، هو واحد ، وله العجائب وقد احتمل في الجسد الآلام الارادية الطوعية »[26] . ثالثاً — ان الكنيسة في ولاية الكرسي الانطاكي كانت بسوادها الاعظم ضد المجمع الخلقيدوني منذ اللحظة الاولى ، الامر الذي دعا الى استقالة البطريرك مكسيموس سنة ٤٥٥ وسقوط البطريرك مرطور وقيام البطريرك مار بطرس الثاني المعروف بالقصار سنة ٤٦٨ . ومما ذكر عن مرطور ، انه خطب آنذاك في الكنيسة قائلاً : « انه متخل عن هذا الاكليروس المتمرد وهذا الشعب العنيد وهذه الكنيسة التي شانها الوجس »[27] . كل ذلك تم قبل قيام مار فيلوكسينوس المنبجي ومار سويريوس الانطاكي . وفي عهد هذين العالمين ، كانت ولاية الكرسي الانطاكي كلها ، باساقفتها (سوى ثلاثة) ومؤمنيها ضد المجمع

---

٢٥) تاريخ سوريا للمطران الدبس مج ٤ ص ٥١٢ .

٢٦) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٣٥ و ٢٣٨ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٦٥ و ١٩١ .

٢٧) تاريخ سوريا للدبس مج ٤ ص ٣١٢ - ٣١٣ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

الخلقيدوني . ولم يظهر انصار هذا المجمع على المسرح إلا في خريف سنة ٥١٨ . أي بعد ان اضطهد القيصر يوسطينوس الاول البيزنطي البطريرك مار سويريوس الكبير ونفى زهاء اربعين اسقفاً من هذه الولاية[٢٨] . وهنا انهضت العناية الربانية همة ابن الكنيسة البار مار يعقوب البرادعي للذود عن حياض كنيسته المضطهدة ، فكان له ذلك النصر المؤزّر . اما قول الاب ضو ، ان الكنيسة دعيت باسمه احياناً « الكنيسة اليعقوبية » فذلك بواسطة اعدائها ليس إلا . اما كنيستنا فتعتبرها تسمية دخيلة لا تمت اليها بصلة .

١١ — قال : « كانت مصر ارضاً خصبة لاصحاب الطبيعة الواحدة فكثرة الانصار حدتهم على تنظيم سلطتهم الروحية وانفصالها عن البطريركية الأم . وهكذا قامت في القرن الخامس بطريركية جديدة » .

قلنا : ان البطريركية الأم في مصر ، هي الكنيسة القبطية بالذات ومنها انفصلت السلطة الروحية البيزنطية في اعقاب نفي البطريرك القديس ديوسقوروس الاسكندري سنة ٤٥١ . ألم يعلم القديس كيرلس الاسكندري والمجمع المسكوني الثالث سنة ٤٣١ — قبل المجمع الخلقيدوني — بالطبيعة الواحدة للمسيح بعد الاتحاد ؟ ألم يعترف المجمع الخلقيدوني بارثوذكسية القديس كيرلس والمجمع المسكوني الثالث ؟ هل تغيرت الكنيسة القبطية عن عقيدة مار كيرلس ؟ أليس ان المجمع الخلقيدوني نفسه هو الذي تغير عنها ؟ ألم يكن السواد الاعظم في مصر ضد المجمع الخلقيدوني يومذاك كما هو اليوم ، لتخليه عن عقيدة مار كيرلس ؟ فكيف اذن تكون البطريركية التي تتبع هذا المجمع الأم ؟ ان القديس ديوسقوروس كان قد خلف القديس

---

٢٨) راجع تاريخ زكريا الفصيح مج ٢ ص ٧٨ ـ ٨٠ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ نقلا عن الافسسي .

كيرلس . ولما توفي في منفاه سنة ٤٥٤ خلفه القديس طيمثاوس الثاني . وفي سنة ٤٧٦ نقل القيصر باسيليسكوس رفاته الى الاسكندرية باحتفال مهيب[٢٩] . وهكذا لم تنقطع سلسلة البطريركية الاسكندرية الشرعية في الكنيسة القبطية الأم . اما السلطة الروحية البيزنطية ، ففيها يصح القول انه بانفصالها ، قامت في القرن الخامس بطريركية جديدة في مصر .

١٢ — قال : « تبدأ سلسلة بطاركة اليعاقبة الانطاكيين او السريان الارثوذكس مع يعقوب البرادعي الذي سيم اسقفاً سنة ٥٤٣ وبطريركاً سنة ٥٤٣ — ٥٤٤ رغم انه سبق يعقوب بطاركة على كرسي انطاكية ، ايدوا الطبيعة الواحدة علناً وهم : بطرس القصار (٤٧٠ — ٤٧١ و٤٨٥ — ٤٨٩) ، يوحنا الثاني (٤٧٦ — ٤٧٧) ، وساويروس (٥١٢ — ٥١٩) ».

قلنا : لم يكن مار يعقوب البرادعي بطريركا ولا مؤسساً للكنيسة لتبدأ معه سلسلة بطاركتنا ، لكنه كان مطراناً مسكونياً واحد ابناء الكنيسة وابطالها البواسل لا غير . اما سلسلة بطاركتنا فتبدأ مع مار بطرس الرسول ولم تنقطع البتة . وقد اعترف الاب انطوان نفسه بان « بطاركة على كرسي انطاكية سبقوا يعقوب ، ايدوا الطبيعة الواحدة علناً وهم بطرس القصار ، يوحنا الثاني وساويروس » . فلِمَ لا يعتبر حضرته هؤلاء بطاركتنا ؟ ألم يقل : « وقام ضد المجمع (الخلقيدوني) عالمان كبيران هما فيلوكسين المنبجي وساويروس الانطاكي وتوصلا بشروحها واسفارهما الى اقناع القسم الاكبر من اساقفة انطاكية والاسكندرية بالوقوف الى جانبهما » ؟ ألم يكن ذلك قبل قيام مار يعقوب البرادعي ؟ فاذا كان ذلك كذلك فكيف اذن تبدأ سلسلة بطاركتنا مع مار يعقوب

٢٩) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٥١ والتاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٧٣

هذا ، كما يدعي الاب انطوان ؟ ألم يقل حضرته عن بطريركية الكنيسة القبطية انها قامت في القرن الخامس ؟ فلماذا تكون هذه في القرن الخامس وبطريركيتنا في القرن السادس ؟ ألم يكن بطاركتنا : بطرس القصار ويوحنا الثاني وساويروس المشار اليهم في شركة البطاركة الاقباط الاسكندريين؟ هذا وقد نسي حضرته البطريركين الانطاكيين : بلاديوس (٤٨٨ — ٤٩٨) وفلابيوس الثاني (٤٩٨ — ٥١٢) (في سنواته الاولى) . والكل يعلم ان الحقبة التي سبقت مار يعقوب البرادعي ، وخاصة من سنة ٤٧٦ حتى سنة ٥١٨ ، وفي عهد القياصرة باسيليسكوس وزينون وانسطاس ، كانت البطريركية الانطاكية برمتها على مذهب الطبيعة الواحدة كما اسلفنا . وعلى هذا المذهب كانت بطريركيتا الاسكندرية والقسطنطينية ايضاً[٣٠] . وقصارى القول ، ان ما قلناه هنا في رقم ١١ عن البطريركية القبطية يصح في بطريركيتنا السريانية الانطاكية . فهي الكنيسة الانطاكية الام ، لانها ظلت متمسكة بعقيدة القديس كيرلس الاسكندري والمجمع المسكوني الثالث القائلة « بالطبيعة الواحدة للمسيح بعد الاتحاد » ، وغير معترفة بالمجمع الخلقيدوني الذي كان والمجمع الثالث على طرفي نقيض .

١٣ — قال الاب انطوان ضو : « سنة ٤٩٠ رفض الكاثوليكوس بابكين المجمع الخلقيدوني واتبع مع القسم الاكبر من كنيسته تعليم اصحاب الطبيعة الواحدة » .

---

٣٠) رسائل مار يعقوب السروجي ص ٦٣ ـ ٨٦ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٢٥٠ ـ ٢٥٥ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ ص ١٨٧ وتاريخ الانشقاق لجراسيموس مسرة ج ٣ ص ٢٦٥ ودائرة المعارف البريطانية طبعة ٩ مج ٢٤ ص ٧٧٨ ومختصر تواريخ الكنيسة تأليف لومون الفرنسي طبعة الموصل ص ٢٧٧ والخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة للاسقف ايسيدوروس ج ١ ص ٥٣٣ و ٥٨١ و ٥٨٢ .

قلنا : ان الارمن كانوا متمسكين بالطبيعة الواحدة قبل المجمع الخلقيدوني . والفضل في ذلك يعود الى القديس فروقلوس القسطنطيني (+ ٤٤٦) الذي كتب اليهم رسالة في ست عشرة صفحة ، شرح لهم فيها سر التجسد الالهي ، ناقضاً رأي القائلين بالطبيعتين للمسيح بعد الاتحاد ، ومؤيداً التعليم الرسولي القائل بالطبيعة الواحدة والاقنوم الواحد[٣١] . ولبُعد بلادهم ، لم يتسن لهم الاشتراك في المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ . فلما انتهت اليهم اخباره ، ووقفوا على ما اتاه في حق الايمان القويم من الشطط والاعتساف ، رفضوه بالاجماع .

١٤ — قال : «فشغور البطريركية الانطاكية من بطريرك ، ووضع الكنيسة الديني والاجتماعي اثر الحروب والسياسة والخلافات الدينية ، حدوا الموارنة على ان «يقيموا بطريركا واساقفة من ديرهم» كما يقول التلمحري . هذا هو اقدم نص معروف لدينا حتى الآن عن نشأة البطريركية المارونية . لكن كما يقول المؤرخ نفسه «الموارنة ظلوا كما هم الآن يرسمون بطريركا ..». وهذا كان سنة ٧٤٥ — ٧٤٦ » .

قلنا : ان البطريركية الانطاكية لم تشغر قط من بطريرك ، كما تدل سلسلة بطاركتنا الشرعيين . اما بطريركية الملكيين فقد شغرت للمرة الثانية من سنة ٧٠٢ حتى سنة ٧٤٢ . وفي ١٩ نيسان هذه السنة نصب اسطيفان الثالث* (٧٤٢ — ٧٤٥) فثاوفيلكط ابن قنبرة الحراني (٧٤٥ — ٧٦٨)[٣٢] الذي حصّل الاوامر من الخليفة مروان الثاني في اضطهاد الموارنة

---

٣١) راجعها في تاريخ زكريا الفصيح مج ١ ص ١٢٧ ـ ١٤٣ .

★) ذكرته بعض الجداول باسم اسطيفان الرابع .

٣٢ الملكيون للخوري اسحق ارمله ص ٣٤ ـ ٣٦ . راجع ايضاً تقويم النعمة ١٩٦٤ للروم الارثوذكس ص ٧٧ وكنيسة مدينة الله انطاكية العظمى للدكتور اسد رستم ج ٢ ص ٣١١ وخلاصة تاريخ الكنيسة الملكية للاب يوسف الشماس المخلصي ج ٢ ص ٢٠ ـ ٢٢ .

وسار في عسكر الى دير مار مارون ليضطر الرهبان ان يقولوا بمشيئتين وان يبطلوا عبارة « يا من صلبت لاجلنا » من التريصاجيون (التقاديس الثلاثة) ، ولكنه باء بالفشل[٣٣] . ذلك ان هؤلاء الرهبان الموارنة ، كانوا قد انفصلوا عن السريان الارثوذكس نحو سنة ٦٣٠ اثر الاضطهاد الذي اثاره الملك هرقل على الكنيسة ، وتبعوا الروم على مذهب الملك القائل بمشيئة واحدة وطبيعتين للمسيح[٣٤] ، ثم انفصلوا عنهم سنة ٦٨١ في اعقاب الحرم الذي اصدره مجمعهم السادس على القائلين بالمشيئة الواحدة[٣٥] . فلم تكن اذن بطريركية الملكيين ايضاً شاغرة حين اقدم الموارنة على رسامة بطريرك لهم . هذا مع العلم انهم لم يكونوا يمتون الى الملكيين بصلة يومذاك بل كانوا مختلفين معهم بالرأي في قضية مشيئة المسيح كما اعترف الاب انطوان نفسه . ومن العجيب الغريب ان يستشهد الكاتب الماروني اللبق على قيام بطريركية الموارنة ، ببطريركنا التلمحري لا بمؤرخي الموارنة انفسهم . ومع هذا فان التلمحري لم يقل انهم رسموا لهم بطريركا انطاكياً . واليك شهادة هذا المؤرخ النزيه : « وظل الموارنة كما هم حتى اليوم . اذ هم يرسمون لهم بطريركا واساقفة من ديرهم . يختلفون عن المكسيميين (اصحاب المشيئتين) باعترافهم بان للمسيح مشيئة واحدة ، وباستعمالهم عبارة « يا من صلبت لاجلنا » . لكنهم يقبلون المجمع الخلقيدوني »[٣٦] . من هنا لم يكن بطريرك الموارنة بطريرك انطاكية . لذلك حين انضم الموارنة الى روما في عهد الصليبيين ، اخضع البابا انوكنتيوس الثالث (في اوائل القرن الثالث عشر)

---

٣٣) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٤٦٧ .

٣٤) فيه ص ٤٠٨ - ٤١٠ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ ص ٢٧٣ والمجلة البطريركية (دمشق) العدد العشرون ص ٥١٨ ومختصر تواريخ الكنيسة تأليف لومون ص ٣١٣ .

٣٥) لومون ص ٣١٣ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣٨٨ .

٣٦) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٦٧ :

بطريركهم للبطريرك اللاتيني . بيد ان البابا الكساندر الرابع سمح لبطريركهم شمعون (في اواسط هذا القرن) بان يسمى بطريركا انطاكياً . والظاهر ان الباباوات خلفاء الكساندر حتى بندكتوس الرابع عشر ، لم يسموا هذا البطريرك انطاكياً ، لكنهم خصوه باسم بطريرك الموارنة فقط[37] .

١٥ — قال : « واشتدت حركة العودة الى الكثلكة في القرنين السادس عشر والسابع عشر لاسباب عديدة ، نذكر منها اتصال الغرب بالشرق (الذي نتج عنه التعارف ، وكل تعارف ينتهي بالتفاهم الصحيح) » .

قلنا : لم تكن الكنائس الشرقية يوماً خاضعة للكثلكة أي لروما ثم انفصلت عنها ليقال « اشتدت حركة العودة الى الكثلكة » . لكنها كانت مستقلة عنها وفقاً لمقررات المجامع المسكونية . كيف لا وهي رسولية المصدر قبل ان تكون روما كذلك . كما انه لم يكن التعارف هو الذي انتهى بالتفاهم الصحيح مع روما ، بل ان جور الحكام من جهة والفقر المدقع والجهل المطبق والجشع الرذيل من جهة اخرى ، كل هذا ولد تلك الحركة الناشزة . لا سيما وان فرنسا كانت تجعل الانضمام الى روما ، شرطاً اساسياً لبسط حمايتها .

١٦ — قال : « بطريركية الكلدان الكاثوليك . بدأت عودة الكلدان أي مسيحي العراق الى الكثلكة مع يوحنا سولاقا سنة ١٥٥٣ » .

قلنا : ليس هنالك كلدان كاثوليك وكلدان ارثوذكس . بل لم تعرف المسيحية طائفة باسم كلدانية قبل سنة ١٤٤٤ التي فيها اطلقه اوجين الرابع بابا رومية على نساطرة قبرص عند انضمامهم اليه[38] .

---

٣٧) اومون ص ٥٩٠ — ٥٩١ .

٣٨) تاريخ كلدو واثور للمطران ادى شير ج ٢ المقدمة وذخيرة الاذهان للقس بطرس نصري مج ٢ ص ٩٢

١٧ - قال عن بطريركية السريان الكاثوليك : « بدأت محاولة الوحدة في عهد الصليبيين وتمت على عهد البطريرك اندراوس اخيجان . ولد في ماردين ارثوذكسياً ثم تكثلك واتى الى دير قنوبين حيث كان البطريرك الماروني يوسف صليبا العاقوري ، فأرسله الى المدرسة المارونية في روما ودرس ورجع الى حلب ثم الى لبنان . وسامه البطريرك الماروني يوحنا البواب كاهناً ثم مطراناً سنة ١٦٥٦ وارسله الى حلب ... وعين بطريركا سنة ١٦٦٢ » .

قلنا : اولاً - لا صحة لزعمه ان محاولة الوحدة بدأت في عهد الصليبيين . فكان على الكاتب القدير ان يبرز ولو شهادة واحدة يدعم بها زعمه هذا . ثانياً - ان اندراوس اخيجان لم يكن سريانياً بل ارمنياً فكيف يعقل ان يمثل الكنيسة السريانية ، في تحقيق الوحدة ما بينها وبين روما هذا الغريب الذي لا يمت الى الكنيسة السريانية بصلة ما ، خاصة وقد كان شابا عامياً حين تكثلك وانضم الى الموارنة ، بل هم الذين قلدوه الدرجات الكهنوتية كما يقول الأب ضو نفسه . والصحيح ان الرهبان الكبوشيين والقنصل الفرنسي في حلب هم الذين لعبوا دوراً هاماً في قضية اخيجان . ذكر المطران غريغوريوس جرجس شاهين مطران حمص للسريان المنفصلين ان هؤلاء الرهبان القوا بذار الشقاق بين السريان الحلبيين واغروا بعضهم ليطلبوا الى البطريرك مار اغناطيوس شمعون ان يرسم القس اندراوس المشار اليه اسقفاً لهم . واذ كان البطريرك عالماً بان اندراوس ساحر وقد امضى ايامه في مطالعة كتب السحر ، وانه بالتالي لا يستحق رتبة الاسقفية السامية رفض طلبهم . فاعتنقت تلك الشرذمة المذهب الروماني باغراء القنصل الفرنسي فرنسيس بيكيت ورهبان اللاتين المومأ اليهم ، الذين حاولوا

اضطرار البطريرك الى رسامته فأبى . فاخذوه من ثم الى اسقف المزارنة[39] فرسمه اسقفاً سنة ١٦٥٦ . ثم استولت شرذمته على كنيسة حلب بمساعدة القنصل الفرنسي فرنسيس بارون ، ونادت به بطريركا سنة ١٦٦٢[40] .

اما رسامته بطريركا فقد ذكرها البطريرك اسطيفانوس الدويهي الماروني في كتابه « تاريخ الازمنة » كما يلي :

وفي هذه السنة (١٦٦٠) اغناطيوس شمعون بطرك اليعاقبة قصد السفر الى مدينة دمشق ليوفي بعض ديونات كانت عليه ... فصار انه توفي في دمشق . والقنصل بيكت (الفرنسي) بادر في بعثان قصاد الى القصطنط (أي القسطنطينية) لحضرة سلطان محمد بخدمة عظيمة ان يمن على المطران اندراوس بمنشور شريف انه يكون بطرك على الملة اليعقوبية وعطاه الامر عن ذلك وتولى المطران ديونيسيوس اندراوس بطركية اليعاقبة واقتبلته الطائفة رغماً عنها . ١ً — لأجل امر السلطان ٢ً — لأجل الديونات التي كانت على الكرسي فتكفل لهم المذكور انه ما يخصرهم (يخسرهم) درهم الفرد لاجل ورود الامر وانه لا يكلفهم شيئاً لاجل قوته . ٣ً — يوفي جميع الديونات التي كانت عليهم ويسترجع آلات (آنية) الكنيسة التي كانت مرهونة عند اهل الدين . ثم انه بسعي القنصل المذكور والرهبان الفرنج رسم اخاه رزحيجان بهنم مطران على حلب ولقبه بديونيسيوس وارسل مكاتيب الى مدينة رومية اذ يقر في أمانته وأمانة اخيه المطران . فيقال ان جا المطران سليمان من قدس البابا بانه يسيم البطرك وعلى يده يعمل الحلفان . واما في الظاهر صارت الرسامة على يد البطرك مكاريوس بطرك الروم الذي

---

٣٩) اي لا الى البطريرك الماروني يوحنا البواب كما ذكر الاب ضو خطأ .

٤٠) كتابه « نهج وسيم » ج ١ ص ٤١ ـ ٤٢ ؛ طبعة سنة ١٩١١ .

عندما وقف بين يديه طالب منه السياميذ (الرسامة) قال له ان قد رفعتك من درجة الاغنسطية الى درجة البطركية قاصداً بذلك ان جميع السياميذ التي كان اقتبلها كانت لا شيء . وصارت هذه الاختباطات جميعها لانه تنكر على بطركية انطاكية التي بيد الموارنة . فمنهم ارتسم مطران على قنوبين . ومنهم في الواجب يطلب العدل انه يوسل يطلب سيام البطركية . فكان قدس البطرك جرجس يقدر يرسل له مطران او اثنين مطارين الذين يرسموه بطركا بمجاري العادة ولا يلتجي الى اعده (اعداء) كنيسة رومية . وثانياً انه اخذ تلك البطركية عنوة وخلاف سنن الكنيسة ، لان ما اخذها السيف صاحب السيف . وهكذا باطلاً تقلد فيها ... »[41] .

قال عن بطريوكية الروم الكاثوليك : « في مطلع القرن الثامن عشر اعتلى الكرسي البطريوكي للروم اثنان : هما كيرلس الخامس زعيم واثناسيوس الثالث دباس . وراحت روما مرة تؤيد هذا ومرة ذاك . ومات كيرلس في ٥ كانون الثاني ١٧٢٠ ومات اثناسيوس في ٥ آب ١٧٢٤ . وما ان مات البطريرك اثناسيوس حتى راح الفريق الكاثوليكي يفتش عن خلف له . لكن الاساقفة من اين ؟ واخذ مطران صيدنايا القضية على عاتقه فاستدعى مطرانا من دير المخلص وقررا معاً سيامة مطران فرسموه ، وبهمة بعض الكهنة والعلمانيين انتخبوا بطريركا كيرلس طاناس نصب في ٢٠ ايلول ١٧٢٤ .. وانتهى الامر بمجيئه الى لبنان محتمياً عند البطريرك يعقوب عواد الماروني » .

قلنا : لقد كانت روما وما زالت ، تنتهز فرصة نشوء خلاف ما في احدى الملل المسيحية ، لتدخل فيه انفها . ذلك ان دأبها انما هو الاصطياد في الماء العكر . وهذا ما يعنيه الاب ضو عند كلامه عن الخلاف الذي نشأ

---

٤١) ص ٣٥١ - ٣٥٧ .

في طائفة الروم الارثوذكس في مطلع القرن الثامن عشر ، بقوله : « وراحت روما مرة تؤيد هذا ومرة ذاك » . اي تغذي الخلاف ، وتذكي شرارته بما تقدم له من وقود . انه ولا شك عمل يتبرأ منه الضمير الحي .

اما حكاية الاب ضو عن كيفية رسامة البطريرك كيرلس طاناس فلا تمت الى الحقيقة بصلة[٤٢] . ففي حين انه يقر بحقيقة عدم وجود اساقفة للقيام بها ، اذا به يموه الحقيقة ويقول ان مطران صيدنايا استدعى مطرانا من دير المخلص وقررا معاً سيامة مطران فرسموه . وكذلك فيما انه يتكلم بالمثنى « قررا معاً » ، اذا به يقفز الى الجمع ويقول « رسموه » . كل ذلك دليل واضح على اضطراب حكايته . اما الحقيقة الثابتة فهي : ان سيرافيم المعروف بكيرلس طاناس رشى الامير حيدر الشهابي الذي استدعى مطرانا من الروم الارثوذكس واسقفاً من الارمن الكاثوليك ، وتهددهما بالقتل ليرسما سيرافيم ، فأخذاه ليلا الى مغارة – وثلاثتهم سكارى – حيث رسماه ثم حرماه . وبعد مـــدة نفخ في وجهه راهب كبوشي وقال له : بالنعمة المعطاة لي والسلطان الذي من الحبر الروماني ، قد صيرتك بطركاً على انطاكية العظمى وسائر المشرق[٤٣] .

١٩ – قال عن بطريركية الاقبـــاط الكاثوليك الاسكندرية :

---

٤٢) مما يؤسف له كثيرا ، التزوير الفاضح الذي ادخله على التاريخ الكنسي ، المنشقون عن الكنائس الشرقية في الأجيال الاخيرة ، ولا سيما مـــا يدور حول نشأتهم ، بحيث يصعب حتى على من كان بصيرا في الحقائق التاريخية ، التمييز ما بين الغث والسمين (راجع مثالا لذلك خلاصة تاريخ الكنيسة الملكية للاب يوسف الشماس المخلصي ص ٢١٢ ـ ٢١٨) .

٤٣) كتاب الحقائق الوضية في تاريخ الكنيسة الانطاكية الارثوذكسية ، طبعة القاهرة سـنة ١٩٠٣ ص ١٠١ ـ ١٠٦ .

« بدأت المحاولة الرسمية الاولى في اعادة الاقباط الى الكثلكة بعناية من روما ونجحت للمرة الاولى سنة ١٨٢٤ ، لكن دون الاستمرار . وسنة ١٨٩٩ عين البابا لاوون الثالث عشر كيرلس بطريركا واستقال في ١٩٠٨ . ثم اعيد تعيين بطريرك سنة ١٩٤٧ » .

قلنا : ان الكاتب اللبيب ، « بقوله اعادة الاقباط الى الكثلكة » قلد غيره من اتباع روما ، مستعملا نفس « الكليشة » التي اعتاد هؤلاء استعمالها ، والا كان عليه – وهو يعلم اننا في عصر يأبى ان تفوته الاكاذيب والاراجيف – ان يذكر متى كان الاقباط خاضعين لكثلكة روما ، ومتى وكيف تم انفصالهم عنها ، ليتسنى له هذا القول . اما قوله « نجحت روما للمرة الاولى سنة ١٨٢٤ ، لكن دون الاستمرار » ، فيشير الى عهد الاحتلال الفرنسي لمصر . فقد روت التواريخ القبطية ، انه في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر ، وصلت الى مصر الارساليات التبشيرية « الكاثوليكية » تحميها جيوش نابليون لتأسيس كنيسة غربية يرئسها بابا روما ، ليسير النفوذ الغربي الديني جنباً الى جنب مع النفوذ والاستعمار السياسي الذي كان يقصده نابليون من تأسيس امبراطورية فرنسية في الشرق . وقد استعان محمد علي بالخبراء الفرنسيين بعد ان تم له الحكم . وفي سنة ١٨٢٠ اراد ان يكافئهم ، فقالوا ان اعظم مكافأة هي ان يأمر فتنضم الكنيسة القبطية الى كنيسة روما وتخضع للبابا . فعرض محمد علي الامر على المعلم غالي رئيس ديوانه وولده باسيليوس ، فاخبراه ان ذلك لا يمكن قبوله من الاقباط اطلاقاً ، وستحدث مذابح اذا ما ارغمناهم ، واكراماً للباشا سنعتنق الكثلكة وحدنا[٤٤] . بيد ان هذه الحركة غير

---

٤٤) الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة للاسقف ايسيدورس الجزء الثاني ص ٥٢٨ - ٥٢٩ وكتاب فتاة الدير المسلمة تأليف العقيد غبريال اسكاروس - الاسكندرية - ص ١٣ .

الشريفة ، فشلت بعد مدة يسيرة . وهذا معنى قول الاب ضو « ولكن دون الاستمرار » .

واما كيرلس الذي عينه البابا لاون الثالث عشر بطريركا سنة ١٨٩٩ واستقال في ١٩٠٨ كقول الاب ضو ، فهو العلامة كيرلس مقار الشهير بمواقفه المشرفة مع روما . وقد استقال او بالاحرى أُقيل لاسباب لا مجال لذكرها هنا ، واضحى سجين مقر اليسوعيين في بيروت ، حيث الف بالفرنسية احسن كتاب عرفته المسيحية في مدى علاقات روما بالكنائس الاخرى عبر التاريخ ، اسماه : Le Constitution Devine de l'Eglise ، وهو خير معين لمن يبغي تحري الحقائق التأريخية[٤٥] . وفور نشر هذا الكتاب ، لقي كيرلس مقار حتفه في مقر اليسوعيين في بيروت ، في ظروف غامضة ، فارتد الى الكنيسة القبطية الأم ، سكرتيره الفاضل الارخدياقون فرنسيس العتر المشهور بمؤلفاته ومقالاته النفيسة . اما كتابه فنقله الى العربية بعد مدة ، المرحوم الاسقف ايسيدورس السرياني القبطي صاحب مجلة صهيون الشهيرة وطبعه باسم « الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة » .



٤٥) طبع في باريس للمرة الثالثة سنة ١٩٢٢ .



ܥܕܬܐ ܣܘܪܝܝܬܐ ܬܪܝܨܬ ܫܘܒܚܐ

الكنيسة السريانية الارثوذكسية

بقلم

سويريوس يعقوب

متروبوليت بيروت ودمشق وتوابعهما للسريان

بيروت ١٩٥٧